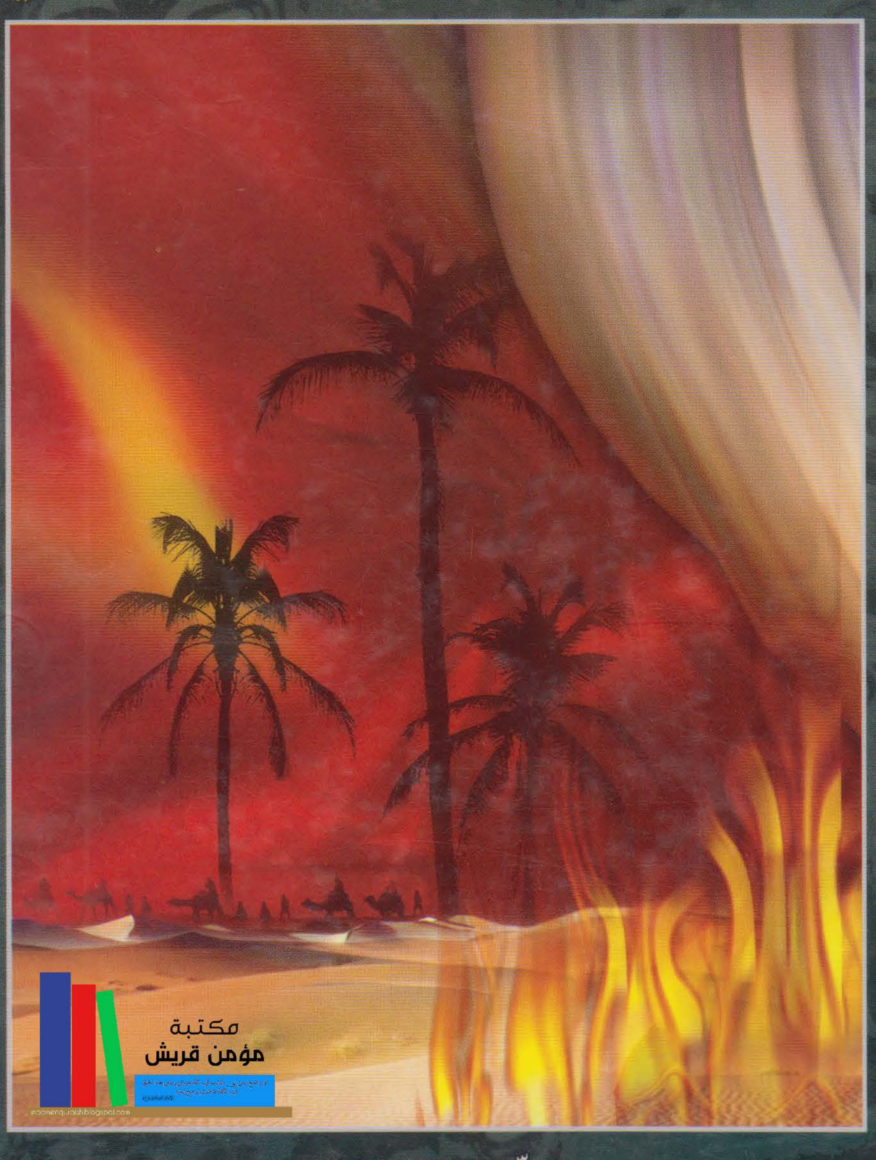
مابعد كربلاء

الاحداث التي جرت من عصر عاشوراء الى ثورة المختار الثقفي



العلاّمة الشيخ محمود قانصو

ما
بعد
كربلاء

ما بعد كربلاء

الشيخ محمود قانصو



● الناشر: مدين

● الكمية: ١٠٠٠ نسخة

● المطبعة: سرور

● الطبعة: الثانية

● تاريخ الطبع: ٢٠٠٦م ـ ١٤٢٧هـ.ق

● القطع وعدد الصفحات: وزيري ـ ٢٨٠ صفحة

شابك : ٩٦٤ـ٦٦٤٢ـ٩٢ـ٦

عنوان الناشر: ايران ـ قم ـ شارع انقلاب ـ بناية ميلاد ـ رقم ٢٢٨ ـ تلفون: ٧٧٢٣٦٠١

مركز التوزيع : ايران ـ قم ـ مجمع الإمام المهدي (عج) ـ الطابق الأرضي

رقم ١١٦،١١٧ ـ تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤



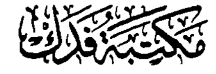
ما بعد كربلاء

الأحداث التي جرت من عصر عاشوراء
الى ثورة المختار الثقفي

تأليف

سماحة العلامة

الشيخ محمود قانصو





مدخل

إن إنحراف أمة النبي محمدﷺ عن قيادتها الإلهية المتجسّدة بالأئمة المعصومين أولي الأمر من أهل بيت نبيهم كان فاجعة عظمى ومصيبة كبرى أصابت الأمة بإثم عظيم أحاط بها حتى رأسها. فأصبحت الأمة جسداً بلا رأس، والرأس لا غنى للجسد عنه ويستحيل أن تتم أموره وأن يكون جسداً طبيعياً إلا به.

لقد استمر هذا الانحراف الخطير يشتد ويوغل في الظلمات حتى بلغ الذروة التي ما بعدها شيء عندما أقدموا على استئصال ذرية محمدﷺ وذبح ريحانته وسبطه ووصيه أبو عبد الله الحسين عليه السلام ومعه سبعة عشر بدراً من صلب علي وفاطمة صلوات الله عليهما وأصحابهم الأبرار.

وكان أشد ما في هذه المأساة على قلب الرسولﷺ وأولياء الإسلام هو أن الأمة كلها ـ إلا نذر قليل ـ اشتركت في ارتكاب هذا العمل الشنيع وإنما أقول الأمة كلها وأشدّد على ذلك لأن الأمة كلها كانت ما بين آمر أو فاعل أو مشارك بيده وسيفه أو مجلب بخيله ورجله أو مدد ومعين أو مؤيد بلسانه أو راض بجنانه أو ساكن بخذلانه ينظر إلى ذرية محمد وهي تُضْطَهد وتُظلم وتُقْصى وتُهْضَم حتى أَلِفوا ذلك واستأنسوا به مما شجَّع خليفة الإسلام!!! وأمراء المؤمنين!!! على أن يقوموا بهذا العمل الشنيع بحد ذاته بطريقة مهولة زادت في شناعة هذا العمل شناعة وفي قباحته قباحة وفي هوله هولاً عندما قاموا بهذا العمل بكل رودة أعصاب بل كانوا يلعبون

ويمرحون ثم أمروا خيَّالتهم فطافوا على أجساد الشهداء من ذرية محمد ﷺ وهي ملقاة على صعيد الأرض ثم رفعوا رؤوسها على أطراف الرماح ثم سبوا نساء محمد ﷺ كأنهن نساء الكفار ثم طافوا بنساء محمد ﷺ ورؤوس ذرّيته في قرى ومدن الإسلام الذين كانوا يستقبلون هذا الموكب بالإبتهاج والأفراح والرايات ودق الطبول والأهازيج.

وكما كان انحراف الأمة عن قيادتها الإلهية هو الحدث المركزي في قضية الله تعالى في الأرض في فترة ما بعد النبي محمد ﷺ كان استشهاد الحسين عليه السلام هو الحدث الذي كان قلب الحدث المركزي لأنه مثَّل ذروة وقمَّة التضحية الإلهية في مقابل ذروة وقمة الإنحراف البشري، وبذلك كان هذا الاستشهاد الفريد هو العنوان الأشد بريقاً للطهارة والقداسة وكل خير كما كان قتله وظلمه في الطرف المقابل هو العنوان الأشد ظهوراً للقذارة واللعنة وكل شر.

هكذا شاء ربُّك جلَّت حكمته وتعالت كلمته أن يكون الحسين بن فاطمة بنت محمد ﷺ هو ضحيَّة الله وأن تكون دماؤه الزكية هي المدد الإلهي والوقود الرباني العجائبي الذي منع وما زال يمنع نار الإسلام من أن تخبو أو تخمد.

ولهذه الأهمية الإلهية ركَّز الأئمة الأطهار العارفون بأسرار الله تعالى على مأساة الحسين عليه السلام وعلى رفع رايته وعلى نشر كلمته وعلى بيان قضيته وعلى الجزع على مصيبته في ضمن كتلة عظيمة من أفعالهم المنسجمة مع هذه الحقيقة الإلهية وضمُّوا إليها كتلة عظيمة هائلة من الأقوال المبيِّنة لعظيم وقع مأساة الحسين والتي تحث المسلمين وشيعة آل محمد ومحبيهم على الإنضمام إلى الحسين عليه السلام والانسجام مع قضيته الإلهية.

إن هذه الأفعال والأقوال الصادرة عن الأئمة الأطهار في شأن قضية استشهاد الحسين عليه السلام قد بلغتنا وبلغت كل مسلم بنحو متواتر تواتراً عظيماً بحيث فهم جميع طبقات المسلمين من أعلاهم حتى أدناهم علماً وفهماً وإدراكاً أن مظلومية الحسين عليه السلام هي قلب الحدث المركزي في قضية الله تعالى شأنه في هذا الكون في كامل الفترة الزمنية الممتدة من حين وقوع

هذا الحدث المهول سنة ٦١ هجرية إلى حين خروج وقيام حفيد الحسين عليه السلام الإمام القائم روحي فداه الذي سيتولى إعادة الأمور إلى نصابها وتقويم الإعوجاج وإصلاح الإنحراف وبالتالي إزالة الإثم الذي أحاط بالأمة.

وعندما نقول أن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو قلب قضيَّة الله تعالى في أرضه في كامل هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبيّاً فنحن نؤمن بهذه المقولة حتى قعر أعماقها إيماناً مطلقاً وربما ندعي وعيها وفهمها إلى حد بعيد وعياً مستفاداً من الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار.

وليست هذه المقولة مجرد مقولة أسطورية تعيش في أعماق المؤمن إحياءً للماضي الغابر أو للمعاني السامية في نفسه.

كما أنها ليست مجرد مقولة عاطفية تدغدغ الشعور ويعيشها المؤمن وفاءً لمقدساته دون أن يكون لها دعوة تحرِّك نحو هدفها وتكون مؤثرة ومتأثرة بالواقع الحي.

بل إن هذه المقولة مقولة حيَّة ذات أهداف حيَّة، أما حياتها فهي بكل وضوح أن الأمة عندما فصلت رأس الحسين عليه السلام عن جسده الشريف فإنما هي في حقيقة الأمر قد فصلت رأسها عن جسدها، فأضحت بالتالي جسداً لا رأس له بكل ما لهذا التمثيل من مداليل والتي منها أن الأمة أضحت متخبطة عمياء يستحيل صلاحها حتى يعود رأسها.

وأما حياة أهدافها فهي أن الصالحين من شيعة الحسين عليه السلام يعيشون هذا الهم ويسعون بكل قواهم إلى ربط الأمة برأسها، وهذا السعي هو السعي نحو تعميق فهمهم وارتباطهم والتزامهم بمفهوم ومصداق الإمامة الإلهية المعصومة، والسعي نحو انتشار وتعميق هذا الفهم والإرتباط والإلتزام بين الناس حتى يعم الأمة جميعاً أو المقدار اللازم المستدعي إلهياً للإذن المرجو لخروج الإمام القائم عليه السلام ـ روحي فداه ـ والذي على خروجه فقط يتوقف صلاح الأمة.

هذه هي قضية الله تعالى في أرضه أعني خلافته تعالى في الأرض،

وهذا هو الهم الأساسي عند رسل الله تعالى من أولهم آدمعليه السلام إلى خاتمتهم وسيدهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي عند أئمتنا من لدن أولهم علي بن أبي طالبعليه السلام إلى خاتمتهم القائم صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي الذي يجب أن يعيشه كل مؤمن صالح منقاد لهؤلاء، وأما الهموم والقضايا الأخرى فهي مهما تعاظمت أهميتها في الحياة الدنيا الفانية أو تعاظمت نسبة حقَّانيتها وقربها من الحق فلا تعدو أن تكون همّاً ثانوياً وقضيَّة ثانوية لأنها من ثمرات الشجرة الخبيثة الملعونة أعني شجرة تغييب الإمام المعصوم التي طالما هي موجودة طالما ستنتج هذه الثمرات.

ومن هذا المنطلق شرع الرسولصلى الله عليه وآله في بيان قضية الحسينعليه السلام بلسانه ودموعه وعبراته وعباراته واستمر على ذلك ائمتنا والصالحون من أتباعهم، وتعاظم ذلك الأمر فور تحقق الفاجعة واستشهاد الإمام الحسينعليه السلام وما زالت هذه السيرة هي سيرة الأولياء الصالحين من موالي أئمتنا الطاهرين حتى يومنا هذا.

ومن هذا المنطلق أيضاً تملَّكني أنا العبد الظالم لنفسه بذنوبه والجاني على قلبه بعيوبه رغبةً عارمةً أن يكون لي في هذا النهر المقدس الجاري قطرة ماء فكتبت هذه الصفحات عسى أن يقبلها الرحمٰن فيدرجني بلطفه وبرِّه وحنانه في موالي الحسينعليه السلام وخدَّامه.

ولقد عمدتُ في هذه الصفحات إلى شرح ما جرى بعد استشهاد الحسينعليه السلام من الأحداث التي تُعَد من آثار استشهاد الحسينعليه السلام وتوابعه، ولقد عمدت إلى سرد الأحداث والأخبار دون التعرض لمصادرها أو رواتها نظراً لأن سائر هذه الأحداث والأخبار منقولة من مصادر مشهورة معروفة لدى المتتبعين، وإنما كان عملي هو جمعها وتصنيفها مبوَّبةً على أبواب.

وكان سبب تركيزي على هذه الجهة من جهات الحدث الكربلائي المقدَّس ـ بعد قلَّة تصنيف علمائنا رضوان الله عليهم فيها ـ هو أهميتها الرفيعة من حيث إمكانية انتقال القارىء من عظيم آثار الحدث ونتائجه إلى إدراك جوانب من عظمة وأهمية ذات الحدث.

هذا ولقد رأيت بعد التأمل أن هذه الأحداث تنقسم إلى أقسام ستة فقسَّمت الكتاب على أساسها إلى ستة فصول:

١ ـ **الفصل الأول**: ما جرى على أجساد الشهداء وسميته بـ(أحوال الأجساد).

٢ ـ **الفصل الثاني**: ما جرى على النساء والذريَّة، وسميته بـ(أحوال السبايا).

٣ ـ **الفصل الثالث**: ما جرى من أحزان ومآسي على الكون، وسميته بـ(حزن الكائنات).

٤ ـ **الفصل الرابع**: إنتقاض ممالك الإسلام وخلافاتها، وسميته بـ(إنتقاض الممالك).

٥ ـ **الفصل الخامس**: إنتقاض الشيعة وتحركاتهم المتواصلة للإنتقام والتكفير، وسميته بـ(إنتفاضة الشيعة).

٦ ـ **الفصل السادس**: ثورة المختار الثقفي وقتله لأعداء الله وقتلة الحسين عليه السلام، وسميته بـ(ثورة المختار والأخذ بالثأر) وأحداث هذا الفصل وإن كانت تدخل في أحداث سابقة إلا أني ارتأيت فصله لعظيم أهميته وكثرة أحداثه.

ثم ختمت الكتاب بخاتمة بها يتم الكتاب الذي أرجو أن يقبله الله ويثيبني خير الثواب وأن يغفر لي ولوالدي وولدي وإخواني المؤمنين يوم الحساب.

الفصل الأول

أحوال الأجساد

الباب الأول

الأجساد في كربلاء

بعد انقضاء المعركة ما كان من الجيش اليزيدي العاتي إلا أن أبرز ما أكنته قلوبهم من غلٍّ وحقد ولؤم وخبث وحقارة على أهل بيت الطهارة وذلك برز في الأفعال التالية:

1 ـ فصل الرؤوس:

١ ـ في ذروة خاتمة معركة كربلاء كان الإمام الحسين بن علي عليه السلام صريعاً على أرض كربلاء يجود بنفسه ويناجي ربَّه وإلى جانب منه كل جنوده وأصحابه شهداء صرعى مضرجين بدمائهم، وكان جيش يزيد بزعامة عمر بن سعد قد استبدَّ بأرض المعركة حتى أحسَّ بنشوة النصر على آل بيت محمد صلى الله عليه وآله.

ظلَّ الحسين عليه السلام صريعاً على الأرض وقتاً ما... حتى استطال اعداؤه عليه هذه اللحظات وبخلوا عليه بلحظات أخرى يستتم بها مفارقته الدنيا... عظم عليهم أن ينتظروا لحظات أخرى هي الوقت الكافي حتى تفارق روح الحسين عليه السلام جسده الصريع المصاب بثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رميه بسهم، فكم عسى أن تطول لحظات مفارقة الروح لهذا الجسد... لكنهم قوم قد عُجنوا باللؤم والجبن والحقارة فاستعجلوا قطع رأسه مع أنه ما زال على رمق من الحياة... ما زال ينظر... وربما ينطق بحروف... فقال عمر بن سعد لجلوازه شمر بن ذي

الجوشن: إنزل واقطع رأس الحسين عليه السلام، نزل، تقدم إليه، فلما بصر به الحسين عليه السلام ذكر أن جده الرسول صلى الله عليه وآله قد أخبره أن كلب ابقع يلغ في دماء آل محمد صلى الله عليه وآله وله شعر كشعر الكلاب والخنازير، غضب الشمر اللعين وجعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام حتى استتم اثنا عشر ضربة، وفي هذا الوقت بالذات أمر اللّه تعالى منادياً يناد من بطنان العرش: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لا وفقكم اللّه لأضحى ولا فطر. وضجَّت الملائكة إلى اللّه بالبكاء، وقالت: يا رب، هذا الحسين عليه السلام صفيُّك، وابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله، فأقام اللّه تعالى ظل القائم عليه السلام، وقال: بهذا انتقم لهذا.

لحظات خطيرة على الكون فارتفعت في السماء غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر حتى ظنَّ القوم أن العذاب قد وقع، فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم ورأس الحسين عليه السلام مفصول عن جسده فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

ثم عمدوا إلى جثث الشهداء أصحاب الحسين عليه السلام ففصلوا الرؤوس عن الأبدان حتى غدت الجثامين الطاهرة بلا رؤوس.

2 ـ اقتسام الرؤوس:

بعد أن فصلوا الرؤوس اقتسموها فيما بينهم لينالوا الجائزة عليها، وكانت القسمة كما يلي:

أ ـ قبيلة كندة وعلى رأسها قيس بن الأشعث ولها ثلاثة عشر رأساً.

ب ـ قبيلة هوازن وعلى رأسها شمر بن ذي الجوشن ولها اثنا عشر رأساً، وقيل: عشرون، وقيل: اثنان وعشرون.

ج ـ قبيلة تميم وعلى رأسها الحصين بن نمير ولها سبعة عشر رأساً، وقيل: تسعة عشر.

د ـ بنو أسد وعلى رأسها هلال الأعور ولها ستة عشر رأساً، وقيل: تسعة رؤوس، وقيل: ستة رؤوس.

هـ ـ بنو مذحج ولها سبعة رؤوس.

و ـ قبيلة الأزد وعلى رأسها عيهمة بن زهير ولها خمسة رؤوس.

ز ـ قبيلة ثقيف وعلى رأسها الوليد بن عمرو ولها اثنا عشر رأساً.

ح ـ سائر الناس تقاسمت ثلاثة عشر رأساً وقيل: باقي الرؤوس.

ط ـ وأما رأس الحسين بن علي صلوات اللّه عليه فكان مع خولي بن يزيد الأصبحي.

وكانت هذه الرؤوس منها ما يرفع على أطراف القناة والرماح كما هو حال رأس الحسين عليه السلام، ومنها ما يعلق في عنق الفرس كما هو حال رأس حبيب بن مظاهر الأسدي (رض).

ي ـ وأما الحرّ بن يزيد الرياحي (رض) فقد منعت عشيرته بنو رياح من قطع رأسه وأخذت جسده كاملاً ودفنته في حيِّها.

3 ـ سلب الجثث:

وقام أعداء اللّه بسلب جثث الشهداء كما سلبوا معسكر الحسين عليه السلام فكانوا يأتون إلى جسد الشهيد وينزعون ما عليه من درع أو خاتم أو رداء أو نعل حتى يتركوا الأجساد الشريفة مجردة عارية ولم يراعوا أي حرمة حتى إنهم لم يستثنوا من هذا العمل الشنيع جسد الإمام الحسين عليه السلام وكان سلبه على هذا النحو:

١ ـ برنس الحسين عليه السلام سلبه مالك بن اليسر وكان هذا البرنس من خزّ وكان قد امتلأ من دماء الحسين عليه السلام.

٢ ـ سروال من حبرة كان الحسين عليه السلام قد مزَّق هذا السروال ولبسه تحت ثيابه حتى لا يجرد ولكن أبجر بن كعب التميمي سلبه وترك الحسين عليه السلام مجرداً فكانت يداه بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنهما عودان ويترطبان في الشتاء فينضحان دماً وقيحاً حتى مات وروي مثل ذلك في مالك بن اليسر الذي سلب البرنس.

٣ ـ قميصه عليه السلام سلبه إسحاق بن حويه الحضرمي ولبسه فصار أبرص وامتعط شعره.

٤ ـ عمامته عليه السلام سلبها أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي، وقيل: بل سلبها جابر بن يزيد الأودي فاعتم بها فصار معتوهاً وقيل صار مجذوماً.

٥ ـ درعه عليه السلام سلبها مالك بن بشير الكندي فصار معتوهاً.

٦ ـ نعلاه عليه السلام سلبها الأسود بن خالد.

٧ ـ خاتمه الشريف عليه السلام سلبه بجدل بن سليم الكلبي وقد قام هذا الكلبي بقطع إصبع الحسين عليه السلام ليتمكن من سلب الخاتم.

٨ ـ قطيفة الحسين عليه السلام سلبها قيس بن الأشعث الكندي وهو أخو جعدة بنت الأشعث قاتلة الحسن عليه السلام.

٩ ـ درعه عليه السلام البتراء سلبها عمر بن سعد، وهذه الدرع كانت هي الجائزة التي أخذها بعد مدة قاتل عمر بن سعد.

١٠ ـ سيفه عليه السلام، وهو غير ذي الفقار، سلبه جميع بن الحلق الأزدي وقيل غيره.

١١ ـ ثوبه عليه السلام، سلبه أخ لإسحاق بن حويه الحضرمي.

١٢ ـ قوسه عليه السلام، سلبه الرجيل بن خيثمة الجعفي.

١٣ ـ وانتهب الناس ورساً كان في متاع الحسين عليه السلام فما تطيَّبت به امرأة إلا برصت.

4 ـ رضّ ضلوع الحسين عليه السلام وأصحابه:

ثم بعد ذلك جعلوا الجثث جميعاً على صعيد الأرض ونادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطىء الخيل ظهره، فانتدب منهم عشرة هم:

١ ـ إسحاق بن حويه.

٢ ـ أخنس بن مرثد.

٣ ـ حكيم بن الطفيل السنبسي.

٤ ـ عمرو بن صبيح الصيداني.

٥ ـ رجاء بن منقذ العبدي.

٦ ـ سالم بن خيثمة الجعفي.

٧ ـ وتجظ بن ناعم.

٨ ـ صالح بن وهب الجعفي.

٩ ـ هاني بن ثبيت الحضرمي.

١٠ ـ أسيد بن مالك.

فقاموا كلهم فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضّوا ظهره وصدره، ثم أقبلوا جميعهم مفتخرين إلى أميرهم عبيد اللّه بن زياد في الكوفة يتقدمهم أسيد بن مالك فقال يرتجز:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الاسر

فقال عبيد اللّه بن زياد: من أنتم؟ فقالوا: نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين عليه السلام حتى طحنا جناجن صدره. طمعاً بجائزة عبيد اللّه بن زياد الذي أمر لهم بجائزة يسيرة.

قال أبو عمر الزاهد: نظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زنا.

ولأنهم كانوا جفاة مجرمين لا محل للرحمة في قلوبهم كانوا يفعلون ذلك بمرأى من نساء الحسين عليه السلام وبناته كما شهدت بذلك فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام التي شاهدت الخيول تجول على جسد أبيها وأصحابه وقد روى رضّ الخيول لجسد الحسين عليه السلام جماعة منهم علي بن اسباط.

لكن العلاّمة المجلسي وجماعة من العلماء رضوان اللّه عليهم

استعظموا هذا الحدث ومالوا إلى إنكاره وعملوا برواية رواها الكافي بسنده عن إدريس بن عبد اللّه الأودي إن القوم لما أرادوا أن يوطؤه الخيل قدم أسد حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد: فتنة لا تثيروها إنصرفوا فانصرفوا.

أقول: والذي أميل إليه هو صحة أخبار رضّ صدر الحسين عليه السلام وردّ هذه الرواية فإنها غير منسوبة إلى الإمام ولا مشهورة ولا تسوغها الإفهام فإنّ الأهوال التي جرت على الحسين عليه السلام وعترته أعظم من رضّ ضلوعه بحوافر الخيول وكل ذلك لم يمنعه اللّه تعالى بمعاجز قدرته على أن أخبار رض صدر الحسين عليه السلام كثيرة كما تقدم.

ومن مصائب ذلك الزمن الأسود أن بعض هذه الخيول التي وطأت صدر الحسين عليه السلام وصلت إلى بلاد مصر فقلعوا نعالها من حوافرها وسمروها على أبواب بيوتهم تبركاً بها ثم صار ذلك سنَّة فصاروا يعملون نظيرها ويعلقونها على ابواب بيوتهم تبركاً، وما زالت هذه السنَّة جارية إلى الآن إلا أن من يعملها لا يعلم ما هو اساس هذه السنَّة.

5 ـ ترك أجساد الشهداء:

ثم إن أعداء اللّه تعالى بقوا في كربلاء إلى زوال يوم الحادي عشر من المحرم فجمعوا قتلاهم وصلوا عليهم ودفنوهم ثم حملوا السبايا والأسارى وتركوا أجساد الشهداء الأبرار مجردة عارية بلا رؤوس مرملة بدمائها على تراب الأرض تحت أشعة الشمس تسفها الرياح زعموا لتأكلها الطير والعقبان ووحوش الفلوات، فسارت قافلة السبايا والأسارى وهم ينظرون هذا المنظر الفظيع، قال علي بن الحسين عليه السلام يصف هذا المنظر ووقعه على قلبه:

إنه لما أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهله وحُملت حرمه ونساؤه على الاقتاب يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنت ذلك مني عمتي زينب بنت

علي عليه السلام الكبرى فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرَّجين بدمائهم مرمّلين بالعراء مسلَّبين لا يكفّنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر.. الحديث.

6 ـ دفن الجثث:

وبقيت الجثث كذلك إلى اليوم الثاني عشر حتى جاء قوم من بني أسد من أهل الغاضرية ورد مدحهم في بعض الأخبار[1] فجمعوا الجثث الطواهر وصلوا عليها ودفنوها كما هي عليه الآن.

وفي الخبر الذي رواه الكشي بسنده عن بعض أصحابنا عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال له بعض الناس الذين هم من الواقفة على أبيه موسى الكاظم عليه السلام: إنّا روينا عن آبائك إن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو غير إمام، فقال هذا الواقفي: كان إماماً، قال عليه السلام: فمن ولي أمره قال: علي بن الحسين عليه السلام قال عليه السلام: وأين كان علي بن الحسين عليه السلام كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد، قال الواقفي: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى ولي أمر

(١) جاء في الخبر عن زين العابدين عليه السلام فيما يرويه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل يذكر فيه ما أخبره به جبرئيل عليه السلام فيما يقع على الحسين عليه السلام وفيه قال: ... فإذا زرت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز جل قبض أرواحهم بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة، فغسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل، وحنّطوها بذلك الطيب، وصلّت الملائكة صفاً صفاً عليهم، ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز وتحفّه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ويصلّون عليه ويسبّحون الله عنده ويستغفرون الله لمن زاره... الحديث وهو طويل يدل على أن الملائكة استقلّت بغسل الجثث الزواكي وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها.

أبيه ثم انصرف، فقال الرضاﷺ: إن هذا الذي أمكن علي بن الحسينﷺ أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه فهو يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد ويلي أمر أبيه.

وكما ترى فإن الرضاﷺ في هذا الخبر قد قبل ما قاله الواقفي من أن علي بن الحسينﷺ هو الذي دفن أباه الحسينﷺ بل في كلام الرضاﷺ ما هو كالتصريح بذلك.

وفي بعض الأخبار أنه لمّا وصل زين العابدينﷺ إلى عرصة كربلاء يوم الثالث عشر من المحرم وجد هناك بني أسد وهم مجتمعون لدفن الأجساد إلا إنهم متحيّرون لا يدرون ما يصنعون لأنهم عاجزون عن معرفة أصحاب الجثث لأنها بلا رؤوس، فأخبرهمﷺ بأمره وعرفهم بأسماء الأجساد وميَّز لهم الهاشميين من الأصحاب فارتفع البكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل، ثم مشى زين العابدينﷺ إلى جسد فاعتنقه وبكى بكاءً لم يبك مثله وإذا هو جسد أبيه.

فبسط كفيه تحت ظهره وقال: بسم اللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملة رسول اللّهﷺ صدق اللّه ورسوله،(ما شاء اللّه لا حول ولا قوة إلا باللّه العظيم)، ثم أنزله في قبره وحده وأبى أن يشاركه أحد من بني أسد وقال لهم: إن معي من يعينني، ونزل معه في لحده ثم وضع خده على منحره الشريف ثم قال: طوبى لأرض تضمنت جسدك الطاهر فإن الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أما الليل فمسهّد والحزن سرمد أو يختار اللّه لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم وعليك مني السلام يابن رسول اللّهﷺ. ثم بعد أن أنتهى من تسوية القبر كتب عليه: هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم مشى إلى بدن عمه العباس بن عليﷺ فارتمى عليه يقبل منحره الشريف وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة اللّه وبركاته، وفعل معه ما فعله بأبيه فأنزله في لحده وحده.

ثم أمرهم فحفروا حفرتين وضع في الأولى بني هاشم وفي الثانية بقية الأصحاب.

وفي رواية عن الباقر عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام أن جون مولى أبي ذر الغفاري وهو أسود اللون عثروا عليه بعد عشرة أيام فوجدوه يفوح منه رائحة المسك، أقول: وعلى هذا فيكون جون هو الوحيد الذي تأخر دفنه عشرة أيام ولعله تحقيقاً لدعاء الحسين عليه السلام بقوله: اللهم بيض وجهه وطيب ريحه، والله العالم.

الباب الثاني

الرؤوس في الكوفة

1 - إرسال الرؤوس إلى الكوفة:

ثم إنّ عمر بن سعد استعجل إرسال رأس الحسين عليه السلام وبقية الرؤوس إلى عبيد اللّه بن زياد في الكوفة فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض أصحابه وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش، وكأن عمر بن سعد كان يريد المبادرة لإرضاء أميره برؤية رأس الحسين عليه السلام ولم يكتف بمجرد تعجيل البشير بالخبر.

ولهذا فإنه بعث برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الازدي وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج.

وكان خولي بن يزيد حامل رأس الحسين عليه السلام رجلاً فاجراً جبّاراً كان إذا نزل ليستريح جعل يشرب ويتبجح بالرأس مع أصحابه، ويروى أنه وصل إلى الكوفة ليلاً فوجد باب قصر الإمارة مغلقاً فأتى بالرأس إلى منزله على بعد فرسخ من الكوفة فدخل بالرأس الشريف على امرأته النوار الحضرمية، ويقال: العيوف الانصارية، فآوى به إلى فراشها فقالت له: ما الخبر؟ فقال لها جئتك بالذهب، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار، فقالت له: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، واللّه لا يجمع رأسي ورأسك وسادة أبداً، قالت النوار: فقمت من فراشي

فخرجت إلى الدار فما زلت والله أنظر إلى نور مثل العمود يسطع من الإجانة التي فيها رأس الحسين عليه السلام إلى السماء ورأيت طيوراً بيضاً ترفرف حولها وحول الرأس. أقول: وهذا الخبر رواه أهل السنّة.

كما يظهر من بعض الأخبار المعتبرة أن رأس الحسين عليه السلام قد وصل إلى موضع قريب من مرقد أبيه علي عليه السلام وهذا الخبر يرويه المفضل يقول: جاز مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالقايم المايل في طريق الغري، فصلى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذا موضع رأس جدي الحسين عليه السلام وضعوه ههنا، ويظهر من بعض الأخبار أن هذا كان اثناء مسيرة العودة من كربلاء إلى الكوفة.

أقول: الظاهر أن القايم المايل هو معروف الآن في مدينة النجف الأشرف وهو مشهور وأصبح مسجداً تقصده الناس للتبرك به ويسمى مسجد الحنَّانة، ويروى عن الصادق عليه السلام في سبب تسميته بالقايم المايل فقال عليه السلام: إنه لما جازوا بسرير أمير المؤمنين عليه السلام انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم إن الرؤوس الطاهرة بقيت في الكوفة ولا يحدثنا المؤرخون عن مكان وضعها قبل مجيء السبايا إلى الكوفة إلا أن الثابت أنّ الرؤوس الطاهرة قد وصلت الكوفة قبل وصول السبايا ثم عادوا وأظهروها حين قدوم السبايا وذلك احتفالاً بإدخال الرؤوس مع السبايا كما سيأتي أن الرأس الشريف كان يتقدم قافلة السبايا حين دخولهم الكوفة وكان على رمح طويل قد لاحت شواربه والنور يخرج من فيه ساطعا إلى عنان السماء. وفي الخبر أن السبايا عند وصولهم إلى الكوفة فيما كانت أم كلثوم تخاطبهم فإذا بضجة قد ارتفعت فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السبج (حجر شديد السواد) قد انتصل منها الخضاب ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً، وهكذا استمروا يطوفون بالرأس الشريف في سكك وأزقة وشوارع الكوفة.

2 ـ وعند عبيد اللّهَ بن زياد:

وإيغالاً في الغي والبغي وإظهاراً للكبرياء والجبروت أمر عبيد اللّه بن زياد فوضع رأس الحسين عليه السلام أمامه في طست من ذهب في مجلسه في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأدخل السبايا فأجلسهم أمامه وجعل ينظر إلى رأس الحسين عليه السلام ويبتسم ويضربه بقضيب في يده يضرب ثناياه (اسنانه) ويضرب أنف الحسين عليه السلام وعينه ويطعن في فمه، ويقول: إنه كان حسن الثغر، ويقول أيضاً: لقد أسرع الشيب إليك أبا عبد اللّه، ولم نسمع أحداً استنكر على عبيد اللّه هذا العمل الشنيع إلا ما نقل عن زيد بن أرقم وهو شيخ كبير من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذي لم يتمالك نفسه حين رأى هذا المنظر أن ينتحب باكياً، فقال له عبيد اللّه بن زياد: أبكى اللّه عينيك عدو اللّه لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فقال زيد: واللّه الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول اللّه صلى الله عليه وآله عليهما ما لا أحصيه يقبلهما، ثم خرج من المجلس رافعاً صوته بالبكاء وهو يقول: ملك عبدٌ حراً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة عليها السلام وأمَّرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذل فبعداً لمن رضي.

ويروى أن هذه المحادثة كانت بين زيد بن أرقم ويزيد بن معاوية واللّه العالم.

ويروى أيضاً ان أنس بن مالك وهو من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله أيضاً قال لعبيد اللّه في هذا المجلس: أَمَ واللّه لأسوأنك لقد رأيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقبل موضع قضيبك من فيه. أقول: وهذا الكلام المروي عن أنس كلام حق إلا أنه فيه لين لا يبلغ درجة الاعتراض.

ثم إن الرباب بنت امرىء القيس زوجه الحسين عليه السلام وهي أم سكينة لما رأت عبيد اللّه بن زياد يقرع بقضيبه رأس الحسين عليه السلام لم يمكنها أن تحتمل فقامت وألقت بنفسها وأخذت رأس الحسين عليه السلام ووضعته في حجرها وقبلته وشمته وقالت:

واحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الاعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لاسقى اللّه جانبي كربلاء

ويروى أنها قالت تندبه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط البين جزاك اللّه صالحة عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يعنى ويأوي إليه كل مسكين
واللّه لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيَّب بين الماء والطين

ثم إن ابن زياد أمر برأس الحسين عليه السلام فداروا به في سكك الكوفة كلها وفي قبائلها، ولما فرغوا أعاده إلى الكوفة ثم نصبه هو وبقية الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، وهي أول رؤوس نصبت في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل صلوات اللّه عليهم.

الباب الثالث

الرؤوس في الشام

1 ـ الرؤوس إلى الشام:

ثم إن يزيد بن معاوية لعنه اللّه بعدما وصله البشير يبشره بقتل الحسين عليه السلام وأصحابه وسبي عياله أرسل إلى عبيد اللّه بن زياد يأمره بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه والسبايا والأسارى إلى الشام، فاستدعى ابن زياد أحد رجاله وهو مخفر بن ثعلبة العائذي فسلّم إليه الرؤوس والنساء وأمره فسار بهم إلى الشام وقيل انه كان مع الرؤوس الشريفة زحر بن قيس ومعه أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان.

فساروا برؤوس الشهداء وكان رأس الحسين عليه السلام في صندوق، وكان الطغاة كلما نزلوا إلى منزل أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه على رأس رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ثم أعادوه إلى الصندوق.

وكانوا إذا نزلوا للإستراحة يشربون الخمر ويتبجحون بالرأس فيما بينهم.

2 ـ الرؤوس تدخل الشام:

واستمروا كذلك إلى أن وصلوا الشام فدخلوها نهاراً من باب يقال له باب ساعات وقيل: باب توما.

ورأس الحسين يحمله فارس قد جعله على لواء منزوع السنان.

ويروى هنا أن يزيد لعنه الله علم بوصول الرؤوس إلى ابواب دمشق، فخرج ليلتقيها ـ لتلقي السبايا ـ كما نقله بعض المؤرخين أو لعله كان على قصره مشرفاً فرأى فأنشد يقول:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون
صاح الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

إن هذه الأبيات كالأبيات الآتية التي قالها يزيد تدل على عداوة عظيمة وحقد كبير يكنه يزيد تجاه رسول اللهﷺ.

كما تدل هذه الأبيات على أن وصول الرؤوس إلى باب دمشق كان في أول النهار عند شروق الشمس.

ثم استمر الموكب يسير فدخل أزقة دمشق وشوارعها وكانت الرؤوس بين السبايا إلا أنه اثناء السير في الشام دفع سهل بن سعد الساعدي الصحابي مبلغ اربعمائة دينار ليقدم الرؤوس على السبايا فقدموها.

3 ـ رأس الحسين عليه السلام عند يزيد:

واستمر موكب السبايا والرؤوس يسير على هذه الهيئة الرهيبة وسط احتفالات وأهازيج أهالي الشام إلى أن انتهى الموكب إلى قصر يزيد بن معاوية فوضعوا رأس الحسين عليه السلام في حقة ودخلوا به على يزيد الذي كان جالساً على سريره وعلى رأسه تاج مكلّل بالدر والياقوت وحوله كثير من مشايخ قريش.

ثم وضعوا الرؤوس الشريفة بين يدي يزيد ومنها رأس الحسين عليه السلام وضعوه على طبق من ذهب أمام يزيد فجعل ينظر إليه ثم قال متباهياً: كيف رأيت يا حسين!!.

وقال مفتخراً:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن هاماً ومعصما
نفلّق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وكان في هذا المجلس عبد الرحمن بن الحكم أو يحيى بن الحكم فقال مستغرباً:

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل
سمية أمسى نسلها عدد الحصا وبنت رسول الله ﷺ ليست بذي نسل

فضربه يزيد على صدره وقال له: أسكت، لا أم لك.

ثم جعل يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بمخصرة (قضيب خيزران) وهو يقول:

يوم بيوم بدر، ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ولقالوا: يا يزيدَ لا تَشَل
فجزيناهم ببدرٍ مثلَها وأقمنا مثلَ بدر فاعتدل[1]
لعبَتْ هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل
لستُ من خِندفٌ إن لم انتقم من بني أحمدَ ما كان فعل

ويروى أنه عندما قرع ثنايا الحسين عليه السلام احتج عليه أبو برزة الأسلمي وقال له: ويحك يا يزيد اتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة عليها السلام!! أشهد لقد رأيت النبي ﷺ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: أنتما سيِّدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيرا. فغضب يزيد وأمر بإخراج أبي برزة فأخرجوه سحباً.

وقيل ان الذي احتج عليه هو زيد بن أرقم كما تقدم في مجلس عبيد

---

(١) أبدله بعضهم:
قد قتلنا القِرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
وزاد بعضهم:
وكذلك الشيخ أوصاني به فاتبعت الشيخ فيما قد سأل

اللّه بن زياد، وهنا قامت زينب عليها السلام فتكلمت بكلامها الكريم الآتي سرده عند بيان أحوال السبايا.

4 ـ إستهتار يزيد برأس الحسين عليه السلام:

ثم إنه ما لبث يزيد أن أمر بنصب مائدة الطعام على رأس الحسين عليه السلام فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع[1] (البيرة) ويقول: إشربوا فهذا شراب مبارك من بركته أنّا تناولناه ورأس عدونا بين أيدينا ومائدتنا منصوبة عليه ونحن نأكل ونفوسنا ساكنة وقلوبنا مطمئنة.

ثم لما فرغوا من الطعام أمر برأس الحسين عليه السلام فوضعه في طست تحت سريره وبسط عليه رقعة الشطرنج وجلس يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجده عليهم السلام ويستهزىء بهم ثم يتناول الفقاع ويصب فضلته على الطست. وكان هذا المشهد الرهيب من المشاهد ذات الوقع على قلوب أهل البيت عليهم السلام ولذا قال الإمام الرضا عليه السلام بعد ذكر هذا المشهد: فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شرب الفقاع (فإنه شراب اعدائنا) واللعب بالشطرنج ومن نظر إلى الفقاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل زياد يمحو اللّه بذلك ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم.

وروي عن زين العابدين عليه السلام ما يظهر منه أن يزيد لعنه الله قد اتخذ هذا الأمر (أي وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه ليشرب عليه في مجلسه) عادة يومية ليشفي غليله وأن ذات يوم حضر رسول ملك الروم وكان من أشراف الروم وعظمائهم فلما رأى ولعه بالرأس الشريف قال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال يزيد. هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال الرومي: ومن أمه؟ فقال: فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقال النصراني: اف لك ولدينك، لي دين أحسن من دينك ان أبي من حوافد داود عليه السلام ـ وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظموني ويأخذون من

---

(١) في الخبر أن يزيد بن معاوية هو أول من اتخذ الفقاع ويظهر من هذا الخبر أن يزيد اخترعه لمناسبة الرأس.

تراب قدمي تبركاً بأبي من حوافد داودعليه السلام وأنتم تقتلون ابن بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة، فأي دين دينكم، ثم أخبر يزيد عن كنيسة تحج إليها النصارى من بقاع الأرض البعيدة لأنهم يقولون أن فيها حافر حمار كان يركبه عيسىعليه السلام، ويروى في آخر الخبر أن هذا النصراني أسلم ووثب إلى رأس الحسين فضمه إلى صدره وجعل يبكي حتى قتله يزيد.

5 ـ صلب رأس الحسينعليه السلام:

وبقي علينا أن نذكر أن يزيد لعنه الله قد أمر بعد ذلك أن يصلب رأس الحسينعليه السلام على باب داره ثلاثة أيام فخرجت زوجته هند بنت عبداللّه بن عامر بن كريز في بعض هذه الأيام فشقّت الستر وهي حاسرة فوثبت إلى يزيد في مجلس عام فقالت: يا يزيد أرأس ابن فاطمةعليها السلام بنت رسول اللّهصلى الله عليه وآله مصلوب على فناء بابي. فوثب إليها يزيد فغطّاها ولعن ابن زياد.

ثم أمر يزيد لعنه اللّه فنصبوا رأس الحسينعليه السلام على باب مسجد دمشق وعلى باب دمشق. ومن عجائب الدهر وهوان الدنيا على اللّه أن هذا الموضع أعني باب مسجد دمشق وهو المسمّى باب جيرون هو نفس الموضع الذي نصب عليه رأس يحيى بن زكريا صلوات اللّه على نبينا وآله وعليه السلام.

فإن هذا المسجد كان للصابئة ثم صار لليونان ثم صار لليهود في أيام يحيى بن زكرياعليه السلام حيث قتلوه وقطعوا رأسه ثم نصبوه على باب هذا المسجد الذي نصب عليه رأس الحسينعليه السلام وفي هذا عبرة عظيمة لمن يعتبر ليعلم أن اللّه بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرا.

الباب الرابع

حوادث مع الرأس الشريف

1 ـ البلدان التي وصلها رأس الحسين عليه السلام :

من المعلوم ان الأمويين قد أطافوا برأس الحسين عليه السلام ومعه بقية رؤوس الشهداء والسبايا والاسارى من آل محمد صلى الله عليه وآله من الكوفة في العراق إلى دمشق الشام عاصمة الأمويين، وبالتالي فلا بد أن الرأس الشريف قد سار بالطريق المتعارف الذي كان يربط بين الكوفة ودمشق، كما لا ريب أنه قد مرَّ بالمدن التي كانت تمتد على طول الطريق، ومن أهم هذه البلدان: تكريت ونصيبين وقنَّسرين وحلب وحماه وبعلبك ثم دمشق الشام.

ولكن يبقى احتمال أن يكونوا قد أطافوا بالرأس الشريف في مدن أخرى تقع خارج هذا الطريق، ولقد سمعنا مشايخنا يتناقلون أن الأمويين قد أطافوا بالرأس الشريف ومعه بقية الرؤوس في أنحاء العالم الإسلامي أعني في أنحاء الشام ومصر والحجاز حتى وصلوا بالرأس إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا المعنى المتناقل همساً لم أجده منصوصاً عليه في كتب المؤرخين ولكني وجدت نصاً قد يؤيد هذا المعنى وهو ما عن تاريخ البلاذري من أنه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة سمعت الواعية من كل جانب فقال مروان بن الحكم:

ضربت دوسر[1] فيهم ضربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر

(١) دوسر كتيبة من كتائب النعمان بن المنذر ذكرها هنا كناية عن الجيش القوي الجبار.

ثم أخذ مروان بن الحكم ينكت وجه الحسين عليه السلام بقضيب ويقول:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنه بات بمجسدين شفيت منك النفس يا حسين

وهذا النص يدل على وصول الرأس الشريف إلى مدينة الرسول قبل عودة السبايا ومعهم علي بن الحسين عليه السلام إلى مدينة جدهم، إذ من المعلوم انهم عندما عادوا إلى المدينة المنورة وكانوا قد استعادوا حريتهم ولم يكن معهم رأس الحسين عليه السلام، ولو كان معهم لكان في عز ومكرمة وغير مسموح لأحد أن ينكته بقضيب.

2 ـ مدفن الرأس الشريف:

ليس لنا نصوص مؤكدة تحدد لنا بالتأكيد أين مدفن الرأس الشريف، والاحتمالات في هذا المجال متعددة:

الاحتمال الأول: انه دفن في كربلاء وأنه أعيد ضم الرأس إلى البدن، وهذا الاحتمال مشهور جداً ويدل عليه خبر رواه الصدوق في الأمالي بإسناده عن فاطمة بنت علي عليه السلام انها قالت: انّ علي بن الحسين عليه السلام ردّ رأس الحسين عليه السلام إلى كربلاء.

وعن ابن نما الحلّي أن هذا الاحتمال هو المعوَّل عليه عند الإمامية، وعن ابن طاووس أنه عليه عمل الإمامية، وعن جماعة من المؤرِّخين من العامَّة والخاصة أن ردّ الرأس إلى جسده كان في العشرين من صفر ولهذا الحدث كانت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.

وفي خبر آخر رواه ابن طاووس أن أحد خاصة غلمان يزيد كان من الشيعة وممَّن يوالي الحسين عليه السلام فاشترى رأس الحسين عليه السلام بمائة ألف دينار وردَّه إلى كربلاء وما زال بعدها يلبس السواد صائم النهار قائم الليل ويفطر على خبز الشعير ويعمل الزنانير كل يوم بخمسمائة درهم يأكل منه ويتصدق بالباقي على فقراء الشيعة ولا يأكل من مال يزيد شيئاً، كل ذلك ويزيد لا يعلم بحاله بل كان لعنه اللّٰه مشغوفاً بحب هذا الغلام ولا يقدر أن يفارقه ولا يُغضِبه أبداً.

الاحتمال الثاني: إنه دفن في النجف الأشرف إلى جانب والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جهة رأسه الشريف، ويدل على هذا الاحتمال خبر رواه جعفر بن قولويه القمي في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: ان الرأس قد رُد إلى الكوفة فأمر الملعون عبيد اللّه ابن زياد بإخراجه عنها حتى لا يفتتن به أهل الكوفة فصيَّره اللّه عند أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذا الخبر لم يوضح لنا كيف صار الرأس إلى أمير المؤمنين إلا أن ذلك قد أوضحه خبر آخر يرويه كامل الزيارات أيضاً ويقول فيه ان الصادق عليه السلام كان عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام يزوره فقال لابنه إسماعيل: قم فسلِّم على جدِّك الحسين بن علي عليه السلام، فقال له أحد أصحابه: جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام بكربلاء؟ فقال عليه السلام: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام.

الاحتمال الثالث: إنه دفن في دمشق وهذا خبر نقله ابن نما عن منصور بن جمهور أن يزيد لعنه اللّه جعل الرأس الشريف في جؤنة حمراء وجعلها في خزانته فلما فتحت بعد زوال ملكه أخذوا الرأس ولفوه بثوب ثم دفنوه في دمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق. ولعل الذي دفنه بعد يزيد هو الأموي سليمان بن عبد الملك بن مروان وادعى بعد ذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يبرُّه ويلطفه.

ويظهر أن الرأس الشريف قد أصبح مركزاً مشهوراً يتعبد فيه العباد وذلك قبل زمن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام إذ يروي الصفَّار في كتاب البصائر خبراً عن إحدى معجزات الإمام الجواد عليه السلام أنه جاء إلى رجل شامي كان يتعبد عند رأس الحسين بن علي عليه السلام في الشام فأخذه بلمح البصر من الشام إلى الكوفة ثم منها إلى مكة ثم ردّه إلى موضعه، ولعل هذا المركز هو المركز الموجود في عصرنا هذا، وهو مزار معروف في دمشق الشام في الجهة الشمالية الشرقية من الباحة المكشوفة من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي، كما يحتمل أن هذا المزار هو موقع نصب الرأس الشريف واللّه العالم.

الاحتمال الرابع: إنه دفن في مصر وهذا زعم يزعمه أهل مصر وله هناك مقام يزورونه ويتبرّكون به ويزعمون أن فيه رأس الحسين عليه السلام، وذكر بعضهم إن أصل هذا المزار أن الخليفة الفاطمي بمصر أرسل إلى عسقلان ـ وهي بين مصر والشام ـ فاستخرج رأساً قال انه رأس الحسين عليه السلام فجاء به ودفنه في مصر.

الاحتمال الخامس: إنه في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وأن الذي دفنه هناك هو عمرو بن سعيد الأموي. وهذا خبر منقول عن الحافظ أبي العلا الذي رواه باسناده عن مشايخه أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو ابن سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به اليَّ، ثم أمر عمرو به فدفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء عليها السلام.

الاحتمال السادس: انه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين عليه السلام وهذا الاحتمال فيه رواية عن الكليني(ره) رواها في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام.

استنتاج:

والذي أميل إليه هو الاحتمال الثاني أي أن الرأس الشريف دفن في النجف الأشرف إلى جانب امير المؤمنين عليه السلام وذلك إستناداً إلى الأخبار الواردة عن المعصوم عليه السلام والتي هي أولى بالإتباع من بقية الاحتمالات غير المستندة إلى مثل هذه الاخبار، ولا أستبعد بل ربما يكون قريباً جداً أن يكون أركان النظام الأموي برئاسة يزيد بن معاوية وعبيد اللّه بن زياد قد تعمدوا إلى إخفاء الحقيقة وتمويهها فبعثوا برؤوس متعددة إلى أماكن متعددة فكانت كل فرقة وصل إليها رأس تتخيل أنه رأس الحسين عليه السلام ولأجل ذلك تعددت الأقوال في موضع دفن الرأس.

3 ـ معجزات الرأس:

لقد نقل المؤرخون عن الرأس الشريف معجزات عديدة منها:

المعجزة الأولى: روي عن زيد بن أرقم أنه قال: مُرَّ برأس الحسين عليه السلام عليَّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي فلما حاذاني سمعته يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ فوقف - والله - شعري، وقلت: والله يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله رأسك أعجب وأعجب.

المعجزة الثانية: وروي عن المنهال بن عمرو أنه قال: انا والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ فأنطق الله الرأس بلسان ذرب ذلق فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي.

المعجزة الثالثة: نصبوا رأس الحسين عليه السلام في موضع الصيارفة وكانت الناس في أعمالها ولغطها وضوضائها فتنحنح الرأس تنحنحاً عالياً فاتجهت إليه الانظار مندهشة فشرع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، وروي هذا الخبر عن أبي مخنف عن الشعبي.

المعجزة الرابعة: ونصبوا الرأس أيضاً على شجرة فاجتمع أناس فسمعوه يقرأ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

المعجزة الخامسة: سمع سلمة بن كهيل أحد فقهاء العامة الرأس وهو على قناة يقرأ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

المعجزة السادسة: روي عن ابن وكيدة أنه سمع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف، فتردد أن يكون القراءة من الرأس الشريف فالتفت إليه الرأس يخاطبه: يا بن وكيدة أما علمت أنا معشر الائمة أحياء عند ربهم يرزقون، فعندما سمع ذلك عزم على أخذ الرأس الشريف ودفنه، فخاطبه ثانية وقال: يا بن وكيدة ليس إلى ذلك سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون.

المعجزة السابعة: وفي مجلس يزيد عندما احتج عليه رسول ملك الروم وأمر بقتله نطق الرأس بصوت رفيع: لا حول ولا قوة إلا باللّه.

المعجزة الثامنة: وفي الأخبار الواردة إنهم لمّا وصلوا برأس الحسينعليه السلام مع السبايا إلى الجبل غربي مدينة حلب قطرت من الرأس الشريف قطرة دم فعمر هناك مشهد سمي بمشهد النقطة. وفي خبر آخر إنهم وضعوا الرأس على صخرة فسقطت منه قطرة دم على الصخرة فكانت هذه النقطة تغلي كل سنة يوم عاشوراء فيجتمع الناس هناك فيقيمون المأتم على الحسينعليه السلام ويكثر العويل والبكاء حولها واستمر هذا الأمر إلى أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي أمر بنقل الحجر فلم يُر له أثر بعد ذلك فبنوا محل الحجر قبة سموها (النقطة)، أقول: ولقد أخبرني بعضهم بوجود المسجد إلى الآن ويسمى (مسجد النقطة).

المعجزة التاسعة: روى الطبري وابن الأثير وهما من علماء العامة عن هشام عن أبيه عن النوار بنت مالك زوجة خولي بن يزيد الذي جاء برأس الحسينعليه السلام إلى بيته. قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار وجلست انظر إلى الرأس قالت فواللّه ما زلت انظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة (التي فيها رأس الحسينعليه السلام) ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها.

المعجزة العاشرة: وروى ابن طاووس عن محمد بن النجار شيخ المحدثين في بغداد في ترجمة علي بن نصر الشبوكي أنه لما قتل الحسينعليه السلام وحملوا برأسه جلسوا يشربون ويجيء بعضهم بعضاً بالرأس، فخرجت يد وكتبت بقلم الحديد على الحائط:

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جدّه يوم الحساب

قال: فلما سمعوا بذلك تركوا الرأس وانهزموا.

أقول: وهذا الخبر رواه من علماء السنة أبو عبد الله الحافظ والبلاذري في أنساب الأشراف.

المعجزة الحادية عشرة: وروي أنه لما حمل الرأس إلى الشام جنَّ عليهم الليل فنزلوا عند رجل من اليهود فلما شربوا وسكروا قالوا: عندنا رأس الحسين عليه السلام، وأروه لليهودي وهو في الصندوق ويسطع منه النور نحو السماء، فتعجب اليهودي فاستعار الرأس وخاطبه قائلاً: اشفع لي عند جدِّك، فأنطق الله الرأس، فقال: إنما شفاعتي للمحمديين، ولستَ بمحمدي، ثم إن اليهودي استوصى بالرأس وجعل يتلهف أنه لم يلحق بالرسول صلى الله عليه وآله فنطق الرأس بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قال ذلك ثلاث مرات، فأسلم اليهودي.

المعجزة الثانية عشرة: وروي أنهم أقاموا في طريقهم على دير للنصارى والظاهر أنه في قنسرين، وفي الليل رأى راهب الدير نوراً ساطعاً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فنزل الراهب إلى القوم وسألهم عن الرأس فعرَّفوه أنه رأس الحسين ابن فاطمة بنت نبيهم صلى الله عليه وآله، فقال: تبّاً لكم، والله لو كان لعيسى ابن مريم ابن لحملناه على أحداقنا، ثم إنه بذل لهم عشرة آلاف درهم حتى أعاروه الرأس إلى حين رحيلهم، فأخذه وغسَّله ونظَّفه، وحشاه بمسك وكافور ثم وضعه في حجره ولم يزل ينوح ويبكي حتى طلبوا الرأس، فقال الراهب يخاطب الرأس: يا رأس، والله لا أملك إلا نفسي، فإذا كان غداً فاشهد لي عند جدِّك ثم أسلم الراهب وصار مع القافلة في خدمة أهل البيت عليهم السلام، ثم تحولت دنانير الراهب إلى خزف مكتوب عليها من جانب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وفي الجانب الآخر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾. وفي خبر آخر رواه النطنزي في الخصائص أن الراهب عندما أدخل الرأس الشريف إلى صومعته سمع صوتاً ولم يرَ شخصاً يقول: طوبى لك وطوبى لمن عرف حرمته، فرفع الراهب رأسه وقال: يا رب بحق عيسى تأمر هذا الرأس بالتكلم معي، فتكلم الرأس وقال: أنا ابن محمد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء، أنا المقتول بكربلاء، أنا المظلوم، أنا العطشان، وسكت، فوضع الراهب وجهه على وجه الحسين عليه السلام وطلب شفاعته يوم القيامة، فتكلم الرأس وقال: ارجع إلى دين جدي محمد صلى الله عليه وآله، فأسلم الراهب وتشهد بالشهادتين، فضمن له الشفاعة.

واعلم أن أخبار معجزات الرأس الشريف كثيرة رواها رواة المسلمين من الفريقين السنّة والشيعة معاً فلا يجوز للمسلم التشكيك والإعتراض على هذه الأخبار وردّها لمجرد الاستغراب، فإن مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه والإطافة برؤوسهم ونسائهم وأطفالهم من بلد إلى بلد والناس مستبشرون فرحون خطب عظيم يفوق المألوف والتصور، فمن القريب إلى العقول أن ترافقه أحداث إعجازية تفوق المألوف والتصور ليلتفت الناس إلى عظيم الجرم الذي اجترموه وفادح الخطأ الذي ارتكبوه، بل العجب أن لا يحصل عند هذا الحدث الهائل شيء في الأرض ولا في السماء.

الفصل الثاني

أحوال السبايا

الباب الأول

آل محمد ﷺ في أيدي الأعداء

1 ـ الغارة على النساء وسلبهم:

ما أن انتهوا من قتل الحسين عليه السلام وسلبه حتى غارت رعاع الجيش اليزيدي الملعون رئيسهم ومرؤوسهم على خيام آل محمد ﷺ فأضرموا فيها النيران وشرعوا ينهبون ويسرقون دون رعاية حق أو حرمة لرسول اللّه ﷺ ولم يكتفوا بالخيام بل تسابقوا على سلب نساء آل محمد ﷺ ما عليهم من حلي وحلل وثياب، ولم يكن لهؤلاء النساء لواذ سوى الصحراء والبكاء.

١ ـ ذكرت فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام إنهم دخلوا عليها وهي جارية صغيرة في فسطاطها وفي رجليها خلخالان من ذهب فجعل رجل يفضّهما من رجليها وهو يبكي، فقالت له: ما يبكيك يا عدو اللّه؟! فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنه رسول اللّه ﷺ، فقالت له: لا تسلبني، فقال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه.

٢ ـ ودخلوا على أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأخت الحسين عليه السلام فأفضوا إلى قرط كان في أذنها فأخذوه وخرموا لها أذنها.

٣ ـ رأت فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام رجلاً على ظهر جواده ففرت منه فتبعها فضربها بكعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذنها وأخذ قرطها ومقنعتها.

٤ ـ وذكر الأخنس بن زيد فقال: جررتُ نطعاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل حتى كببته على وجهه وخرمتُ أذني صفيَّة بنت الحسين عليه السلام لقرطين كانا في أذنيها.

٥ ـ وقال أبجر بن كعب: أخذت قناع زينب عليها السلام من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى خرمتُ أذنيها، فقالت له زينب عليها السلام قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

أقول: وقد استجاب الله تعالى دعاء زينب عليها السلام وتحقق ذلك في أيام المختار.

2 ـ كشف ستور حرم الرسول صلى الله عليه وآله:

ولم يكتفِ أعداء اللّه ورسوله صلى الله عليه وآله بنهب ما في المعسكر بل عمدوا إلى نساء الرسول صلى الله عليه وآله فسلبوا ما عليهن من مقانع ولباس حتى كشفوا رؤوسهن وشيئاً من أجسادهن وهذا شيء إداً تكاد السماوات يتفطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هدّاً إلا إنهم فعلوه ولم يبالوا ويحسبونه هيناً وهو عند اللّه عظيم.

ولم يكن هذا بسبب اضطراب الأمور واختلاط الحابل بالنابل بل كان عملاً مقصوداً وحرمة للرسول صلى الله عليه وآله تعمدوا انتهاكها إذ تقول الأخبار إنهم أقبلوا حتى احدقوا بالخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن فأمرهم بدخول الخيام ونهبها وسلب بزّات النساء فدخل الاعداء وفعلوا ما أمروا به.

١ ـ عن صاحب المناقب ومحمد بن أبي طالب قال: .... حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تُغلب عليه.

٢ ـ وفي خبر آخر إنهم انتهبوا كل شيء حتى الملاحف عن ظهور النساء.

٣ ـ ونقل العلاّمة المجلسي في البحار عن بعض الكتب إن فاطمة الصغرى عليها السلام كانت واقفة بباب الخيمة تنظر إلى أبيها عليه السلام وأصحابه مجزَّرين كالأضاحي والخيول على أجسادهم تجول فإذا برجل على ظهر جواده

يسوق النساء فلما قصدها فرَّت منهزمة فتبعها فذهلت خشية منه، فضربها بكعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذنها وأخذ قرطها ومقنعتها (المقنعة هي ستار الرأس): وترك الدماء تسيل على خدها ورأسها تصهره الشمس وغشي عليها، قالت فاطمة وإذا أنا بعمتي زينب عليها السلام عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقمت وقلت: يا عمتاه هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار، فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك، فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد أسود من الضرب.

٤ ـ ولقد استمرت نساء الرسالة هكذا مكشوفات الأستار قد هتكت حرمتهن طوال يوم عاشوراء والذي يليه حتى وصلوا مشارف الكوفة، إذ يروي السيد: إن ابن سعد سار بالسبي فلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسارى انتن؟، فقلن: نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله: فنزلت من سطحها وجمعت ملاء وأزر ومقانع فأعطتهن فتغطين.. ومن الواضح أن المقانع تستر الرأس، والأزر تستر ما تحت السرة، والملاء ما توضع على الرأس إلى أسفل الجسد مما يعني أن بنات الرسالة كن يفتقدن هذه الألبسة أو كانت عليهن ممزقات إلى حين اعطتهن إياها هذه المرأة الكوفية.

٦ ـ ومع هذه الثياب التي وصلتهم فإن بنات الرسالة بقين مكشوفات الوجوه طوال مدة السبي كما سيأتي.

3 ـ إحراق الخيام:

ثم بعد أن سلبوا خيام آل الرسول وما فيها وسلب ما على ابدان الشهداء وما على ظهور النساء اخرجوا نساء الرسول صلى الله عليه وآله من الخيام وأشعلوا فيها النيران فخرجن نساء الرسول صلى الله عليه وآله حواسر مسلبات حافيات باكيات والنيران تأكل خيامهن.

4 ـ السبايا تودِّع حماتها:

جاءت النسوة إلى أجساد القتلى ويا له من منظر إذ نظرن إلى إخوتهن وابنائهن وآبائهن أجساداً بلا رؤوس مقطَّعة الاوصال مرمَّلة بالدماء معفَّرة بالتراب مجرَّدة عارية تلفحها الرياح وحرارة الشمس قد طحنتها حوافر الخيول، فصحن بأعلى أصواتهن ولطمن وجوههن وصاحت زينب عليها السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين: يا محمداه صلى عليك مليك السماء هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطَّع الاعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، إلى اللّه المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه هذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه واكرباه، اليوم مات جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذريَّة المصطفى صلى الله عليه وآله يُساقون سوق السبايا.

وفي رواية أخرى أنها عليها السلام نادت: يا محمداه بناتك سبايا وذريتك مقتَّلة تسفي عليهم ريح الصبا، هذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحى عسكره يوم الاثنين نهبا، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء... فأبكى صوتها هذا كل جلمود، ثم وقعت على جسد أخيها الحسين عليه السلام وبسطت يديها تحت بدنه المقدَّس ورفعته نحو السماء ونادت نداءها الرباني التاريخي المشهور: إلهي تقبل منا هذا القربان.

وأما سكينة بنت الحسين عليه السلام فأقبلت على جسد أبيها واعتنقته فأغمي عليها فسمعت صوتاً يخرج من عنق الحسين عليه السلام:

شيعتي ما إن شربتم	ريَّ عذبٍ فاذكروني
أو سمعتم بغريب	أو شهيد فاندبوني

فقامت مرعوبة قد قرحت مآقيها وهي تلطم على خديها.

وتفانت النسوة في عناق وضم أجساد أحبائهن حتى جاء الملعون

زحر بن قيس فصاح بهن فلم يقمن، فأخذ سوطه وشرع يضربهن واجتمع الناس عليهن فأقمنهن.

5 ـ سوق النساء:

قالت فاطمة الصغرى كنت واقفة بباب الخيمة وأنا انظر إلى أبي وأصحابه مجزَّرين كالأضاحي على الرمال والخيول على اجسادهم تجول وأنا أفكر فيما يقع علينا.. فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن: واجداه، واأبتاه، واعلياه، واقلَّة ناصراه واحسناه، اما من مجير يجيرنا أما من زائد يزود عنا...

6 ـ ضرب النساء:

وما تورعوا عن ضرب نساء آل محمدﷺ وكان أكثرهن ضرباً العقيلة زينب بنت عليعليه السلام، قالت فاطمة الصغرى في حديثها عن زينبعليها السلام: ... فرأيت رأسها مكشوفة ومتنها قد اسود من الضرب.

بل وصل بهم الأمر حداً أن يصيح بينهم الصائح: لا تبقوا من أهل هذا البيت باقية ولا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً، وعندما وصلوا إلى خيمة علي بن الحسينعليه السلام ووجدوه مريضاً على فراشه ينوء بنفسه جرَّد الشمر اللعين سيفه يريد قتله مدَّعياً أن ابن زياد أمره بقتل أولاد الحسينعليه السلام!! وما ردَّه إلا تدخل بعض من حوله ممن لم يرتض قتل الصغار!!.

7 ـ جمع النساء:

ثم بعد انتهاء السلب والغارة دخل عمر بن سعد على النساء والأطفال فصحن في وجهه وبكين فأمر أصحابه أن لا يدخل أحد عليهن وأن لا يتعرضوا لعلي بن الحسينعليه السلام، وسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهن ليستترن به: فقال: من أخذ من متاعهم شيئاً فليردَّه، فما ردوا شيئاً.

وكان النساء جميع النساء ـ وعددهن عشرون امرأة ـ سالمات إلا ما حكي عن شهربانويه امرأة الحسين عليه السلام من انها أتلفت نفسها في نهر الفرات وأما الذكور فلم يبق منهم إلا اثنا عشر ذكراً كلهم أطفال لم يبلغوا الحلم وكان أكبرهم علي بن الحسين عليه السلام الذي كان قد راهق الحلم، ويقال انه كان في سن الثانية والعشرين وكان معه ابنه محمد الباقر عليه السلام، وكان عمره سنتان وشهور، وممن سلم من الذكور أيضاً زيد بن الحسن عليه السلام، وعمرو بن الحسن عليه السلام، وكان عمره أحد عشر عاماً، والحسن بن الحسن المثنى عليه السلام الذي قاتل مع عمه الحسين عليه السلام وقتل رجالاً حتى اصابته الجراحات وقطعت يده اليمنى، ويقال ان الذي أنقذه من القتل هو خاله أسماء بن خارجه الفزاري لأن أم الحسن المثنى هي خولة بنت منظور بن زيان الفزارية من قبيلة بني فزارة.

الباب الثاني

آل محمد ﷺ في الكوفة

1 ـ السبايا من كربلاء إلى الكوفة:

قد عرفت أنه تم تسيير الرؤوس إلى الكوفة في نفس اليوم العاشر إلا أن السبايا والاسارى قد بقوا في عرصة كربلاء إلى زوال اليوم الحادي عشر فجمعوهن وكن عشرين امرأة وأحد عشر طفلاً ذكراً معهم علي بن الحسين عليه السلام وهو الوحيد[1] من ولد الحسين عليه السلام ثم أركبوهم على أحلاس أقتاب[2] فقط بغير وطاء مكشوفين لا شيء يسترهم من حر الشمس أو قرّ البرد أو غبار الطريق أو كعب رمح.أو سوط جلاد أو أعين النظارة، ونساء الرسالة على هذا الحال الفظيع الذي ذكرناه مكشوفات الستر منتهكات الحرمة حزينات باكيات معُولات وقد وصفهن في زيارة الناحية بما يفجع القلوب فقال: وسُبي أهلُك كالعبيد، وصفِّدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيَّات، تلفح وجوههم حرَّ الهاجرات، يُساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يُطاف بهم في الأسواق، فالويل للعصاة الفسَّاق.

نعم هكذا سار بهن عمر بن سعد مع بقية جيشه العاتي، سار بهن

---

(١) وذكر بعض المؤرخين أنه نجى للحسين عليه السلام ذكر آخر وهو عمر بن الحسين عليه السلام وكان عمره أربع سنوات.

(٢) أحلاس أقتاب: أي كساء يوضع على ظهر البعير صغير على قدر سنام البعير فقط.

على هذا النحو طوال الطريق من كربلاء إلى الكوفة وهو طريق يمتد مسيرة يومين في تلك الأيام.

ويمكننا هنا أن نتخيل عبيد اللّه بن زياد وهو يبعث رجاله لينتشروا في ساحات الكوفة وأزقتها ودواوين قبائلها وأحيائها ويخبرونهم بقتل الحسينعليه السلام وأهله وأصحابه وسبي نسائه وعترته ويحددون لهم مكان وساعة وصول قطار السبايا والأسارى، ولهذا فقد عطّلت الأسواق وأُغلِقت الدكاكين واجتمع الناس خلقاً كثيراً حلقاً حلقاً على مداخل الكوفة للنظر إلى هذا الموكب الرهيب موكب السبايا والأسارى من آل محمدصلى الله عليه وآله.

2 ـ السبايا يدخلون الكوفة:

وبالفعل وصل موكب السبايا إلى مداخل الكوفة وهناك قامت امرأة من الكوفيات فجمعت أزراً ومقانع فأعطتهن للسبايا المكشوفات فلبسن وتغطين بها.

وصل الموكب إلى مدخل الكوفة باب بني خزيمة، ووقفوا هناك ساعة من النهار، ثم دخل موكب آل محمدصلى الله عليه وآله إلى الكوفة وهم على أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها أولاد محمدصلى الله عليه وآله ونساؤه على أقتاب بغير وطاء يقودونهم بنحو مهين لا يكاد يحتمله عقل مسلم.

تحيط بهم الجنود من كل جانب والبوقات تضرب والرايات تخفق فوقهم يتقدمهم رأس الحسينعليه السلام على رمح طويل ومن خلفه السبايا وهم مكبَّلين بالحبال وأول السبايا خلف الرأس الشريف أم كلثوم عليها برقع خز أدكن وهي تنادي: يا أهل الكوفة نحن والله سبايا الحسينعليه السلام، غضُّوا أبصاركم عن النظر إلينا، معاشر الناس أما تستحيون من الله ورسوله تنظرون إلى حريم نبيِّكم وحريم علي المرتضى وفاطمة الزهراء.

وعلي بن الحسينعليه السلام على بعير بغير وطاء أيضاً وأوداجه[1] تشخب

---

(١) أقول: والسبب في أن أوداجه تشخب دماً هو حديد الجامعة وهي طوق حديدي حول العنق ولم يكن الحديد في تلك الأيام ناعماً فكان يبقى له زوايا تحف بالعنق مما يؤدي إلى الادماء.

دماً ويده مغلولة إلى عنقه، وفي عنقه الجامعة، وهو يبكي ويقول:

يا أمَّةَ السوء لاسقيا لِرَبعِكم	يا أمَّةً لم تُراعِ جَدَّنا فينا
لو أننا ورسول اللّه يجمعنا	يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيِّرونا على الأقتاب عارية	كأننا لم نشيِّد فيكُمُ دينا
بني أمية ما هذا الوقوف على	تلك المصائب لا تلبُّون داعينا
تصفّقون علينا كفكم فرحاً	وأنتم في فجاج الأرض تسبونا
أليس جدي رسول اللّه ﷺ ويلكم	أهدى البرية من سبل المضلينا
يا رقعة الطف قد أورثتني حزناً	واللّه يهتك أستار المسيئينا

فجعل أهل الكوفة ينظرون إلى هذا المنظر العظيم وهم ينوحون ويبكون، والنساء يندبن مشققات الجيوب، فقال علي بن الحسين عليه السلام بلسان ضعيف قد أنهكه المرض والتعب: أتنوحون وتبكون من أجلنا!! فمن قتلنا غيرهم.

واستمر هذا الموكب المحمدي يسير في أزقة الكوفة وأهل الكوفة ينظرون ويبكون وجعلوا يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وربما في مواضع أخرى تصيح زينب عليها السلام وتقول: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وتأخذ ذلك من أيدي الأطفال ومن أفواههم وترمي به إلى الأرض، وهكذا حتى انتهى موكب السبايا والأسارى إلى إحدى ساحات الكوفة واستقر هناك، ولا أظن إلا أن هذه الساحة هي المسجد الأعظم «مسجد الكوفة» حيث مركز الكوفة وقصر الامارة.

وفي هذه الساحة كان اجتماع الناس إجتماعاً عظيماً ووقع كلام بين السبايا والأسارى مع أهل الكوفة، ولعل أول المتكلمين مع الناس هي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام فإنها عندما رأت أهل الكوفة بهذا النحو توجهت نحوهم وخطبت فيهم خطبتها النورانية التاريخية.

3 ـ خطاب زينب عليها السلام في أهل الكوفة:

قال حذيم[1] بن بشير الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي عليه السلام يومئذ ولم أر واللّه خفرة قط أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ثم قالت:

الحمد للّه والصلاة على أبي محمد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين الأخيار، أما بعد:

يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون! فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلا الصَلِف والنطف وملق الإماء وغمز الأعداء كمرعى على دمنة (مجمع الاوساخ) أو كفضة على ملحودة (ميتة في اللحد) ألا ساء ما قدمت لكم انفسكم أن سخط اللّه عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون، أي واللّه فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها (وشنارها) وشنآنها ولن ترحضوها (تغسلوها) بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الانبياء وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجَّتكم، ومدرة سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً فلقد خاب السعي، وتبَّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من اللّه، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أي كبد لرسول اللّه صلى الله عليه وآله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، لقد جئتم بها صلعاء عنقاء (داهية) خرقاء شوهاء كطلاع (ملء) الأرض وملاء السماء، افعجبتم أن قطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون،

---

(١) قد اختلف المصنفون في تصحيف اسمه اختلافاً كبيراً.

فلا يستخفنكم المهل فإنه لا تحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار وإن ربكم لبالمرصاد، ثم أنشأت تقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم	ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي ومكرمتي	منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
إني لأخشى عليكم أن يحل بكم	مثل العذاب الذي أودى على إرم

وعندما وصلت زينب عليها السلام في خطبتها إلى هذا المقطع ضجَّ الناس بالبكاء.

قال الراوي بشير الأسدي: فواللّه لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون قد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي وقد اخضلَّت لحيته بالبكاء ويده مرفوعة إلى السماء وهو يقول: بأبي أنتم وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى.

فقال لها زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: يا عمة أسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار وأنت بحمد اللّه عالمة غير معلَّمة، فاهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر، فسكتت.

بيان: الصلف هو من يمدح نفسه بما ليس فيه، والنطف هو من يقذف غيره بالفجور، وملق الاماء هو تذلل الأذلاء الذين هم في نهاية الضعف والخور والعجز، والغمز هو الطعن والأذى بالقول والإشارة، والمدرة زعيم القوم، وقد فسرنا بعض الكلمات أثناء سرد الخطبة.

4 ـ خطاب أم كلثوم:

وكذلك تكلمت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، مع جمع أهل الكوفة فقالت لهم:

صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم!! فالحاكم بيننا وبينكم اللّه يوم فصل القضاء.

وكان من كلامها معهم أيضاً رافعة صوتها بالبكاء:

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم امواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم، وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتموها، وأي كريمة اصبتموها، وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب اللّه هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون، ثم قالت:

قتلتم أخي صبراً فويل لأمكم ... ستجزون ناراً حرُّها يتوقد
سفكتم دماءً حرَّم اللّه سفكها ... وحرمها القرآن ثم محمد
ألا فابشروا بالنار إنكم غداً ... لفي سقر حقاً يقيناً تخلّدوا
وإني لأبكي في حياتي على أخي ... على خير من بعد النبي سيولد
بدمع غزير مستهل مكفكف ... على الخد مني ذائباً ليس يجمد

وفي هذا الحال ضجَّ الناس بالبكاء والحنين والنوح، ونشر نساء أهل الكوفة شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعين بالويل والثبور، وبكى الرجال ونتفوا لحاهم، فلم يُرَ باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.

5 ـ خطاب فاطمة الصغرى[1]:

وقامت أيضاً فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام فقالت:

الحمد للّه عدد الرمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن ولده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات، اللّهم إني اعوذ بك أن أفتري عليك الكذب وأن أقول عليك خلاف ما

(١) عندما جاء الحسن بن الحسن عليه السلام إلى عمه الإمام الحسين عليه السلام ليخطب إحدى بناته قال له الحسين عليه السلام: إني أختار لك فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين.

أنزلت من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب﵇ المسلوب حقه المقتول بغير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت اللَّه تعالى فيه معاشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قبضته إليك محمود النقيبة طيب العريكة معروف المناقب مشهور المذاهب، لم يأخذه اللَّهم فيك لومة لائم ولا عذل عاذل، هديته يا رب للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت ابتلانا اللَّه بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته في الأرض لبلاده ولعباده، أكرمنا اللَّه بكرامته وفضلنا بنبيه محمدﷺ على كثير ممن خلق تفضيلاً بيِّناً فكذبتمونا وكفَّرتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً، كأنا أولاد ترك أو كابل كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم قرَّت بذلك عيونكم وفرحت قلوبكم افتراء منكم على اللَّه ومكراً مكرتم، واللَّه خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على اللَّه يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم واللَّه لا يحب كل مختال فخور.

تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب وكأنه قد حلَّ بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ألا لعنة اللَّه على الظالمين.

ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم، وأية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم وسوَّل لكم الشيطان وأملا لكم

وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تباً لكم يا أهل الكوفة أي ترات لرسول اللّه قِبَلكم وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدي وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي ... بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ... ونطحناهم فأي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث و(لك) الأثلب، افتخرتَ بقتل قوم زكّاهم اللّه وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقعِ كما أقعى أبوك وإنما لكل امرىء ما قدمت يداه، حسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضلنا اللّه عليكم.

فما ذنبنا أن جاش دهراً بحورنا ... وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل اللّه له نوراً فما له من نور.

هنا بعد هذا الكلام الذي يفجر الصم الصلاب ارتفعت أصوات أهل الكوفة بالبكاء وقالوا: حسبك يابنة الطيبين فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا.

فسكتت عليها السلام.

بيان: الكثكث هو التراب الدقيق، والأثلب هو الحجر الدقيق، والدعامص جمع دعموص وهو دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء.

6 ـ خطاب زين العابدين عليه السلام:

ثم قام علي بن الحسين عليه السلام في الناس قائماً فأومأ إليهم أن اسكتوا فسكتوا، فحمد اللّه وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتُهِك حريمه وسُلِب نعيمه وانتُهِب ماله وسُبي عياله، انا

ابن من قُتِل صبراً وكفى بذلك فخراً، أيها الناس ناشدتكم بالله هل تعلمون إنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتباً لما قدمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول اللهﷺ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي.

فارتفعت هنا أصوات أهل الكوفة من كل ناحية يقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون، فقال لهم علي بن الحسينعليه السلام: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فإن لنا في رسول اللهﷺ أسوة حسنة.

وهنا ثارت النخوة مجدداً على لسان أهل الكوفة فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يابن رسول اللهﷺ سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد ونبرأ ممَّن ظلمك وظلمنا.

فقال لهمعليه السلام: هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل، كلا وربِّ الراقصات فإن الجرح لمّا يندمل، قُتِل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه ولم ينسني ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، ووِجده بني لهاتي، (لحمة في أقصى الفم) ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه يجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

لا غرو إن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أُصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر روحي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنما

7 ـ إحضار الرؤوس:

وفي أثناء هذه الخطابات وبالتحديد أثناء خطاب أم كلثوم بنت عليعليه السلام حدث خطب جليل أثار ضجة الحشود وأدّى إلى انشغالهم عن خطاب أم كلثوم وأشاحوا بأبصارهم إلى جهة أخرى حيث الخطب الجلل

ألا وهو إحضار قافلة رماح مرفوعة عليها في أعاليها رؤوس الشهداء الأبرار يقدمهم رأس الحسين عليه السلام أشبه وجه بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله رأس يشع نوراً كأنه قمر طالع، والرمح تلعب بالرؤوس وبرأس الحسين عليه السلام وتلوح بها يميناً وشمالاً إحتفالاً وامتهاناً، وكان هذا منظراً رهيباً عظيم الثقل على قلب زينب الكبرى عليها السلام التي نظرت إلى هاتيك الرؤوس فلاح لها رأس أخيها عليه السلام فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها بخرقة بيدها وقالت:

يا هلالاً لما استتم كمالا	غاله خسفة فأبدا غروبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مقدَّراً مكتوبا
يا أخي فاطم الصغيرة كلِّمها	فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا	ماله قد قسا وصار صليبا
يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر	مع اليتم لا يطيق وجوبا
كلما أوجعوه بالضرب نادا	ك بذل يفيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضُمَّه إليك وقرِّبه	وسكِّن فؤاده المرعوبا
ما أذل اليتيم حين ينادي	بأبيه ولا يراه مجيبا

8 - السبايا إلى السجن:

وهكذا مضت الساعات ونساء آل محمد صلى الله عليه وآله وأطفاله بين يدي الجلاوزة تصيح بوجوههم وتقرعهم بالرماح تحت أنظار حشود أهل الكوفة.

وبعد هذه الساعات التاريخية المهولة جاء أمر الأمير عبيد الله بن زياد بسوق نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله إلى السجن، فجيء بعلي بن الحسين عليه السلام فغلّوه من جديد وحُمل مع النسوة إلى السجن فما يمر بزقاق من أزقة الكوفة إلا وكان مليئاً بالرجال والنساء ينظرون ويبكون ويضربون وجوههم.

واستمر العتاة الظلمة يسوقون آل محمد صلى الله عليه وآله على هذا الحال حتى أودعوهم في سجن وأطبقوه عليهم، وهذا السجن هو دار يقع إلى جانب

مسجد الكوفة، وعندما أدخلت زينب بنت علي‰ إلى هذا السجن قالت كلمتها المعبرة: لا يدخل علينا عربية إلا أم ولد أو مملوكة فإنهن سُبين كما سبينا.

9 ـ السبايا عند ابن زياد:

وفي نفس هذا اليوم أو في اليوم التالي جلس الأمير عبيد اللّه بن زياد في قصر الإمارة وأمر بفتح باب القصر وأذن للناس إذناً عاماً كما هي عادة الأمراء في الأيام المشهودة أو الاعياد والأفراح، فجاءت المشايخ وجموع المتملقين فجلسوا مجالسهم، ثم أمر الأمير ابن زياد برأس الحسين‰ فوضعوه بين يديه، ولكي يتم المنظر ويشفي حقده الدفين أمر أن يدخلوا عليه في هذا المجلس نساء محمدﷺ وصبيانه فدخلوا على هذا الحال وفيهن امرأة جليلة عليها أرذل ثيابها متنكرة فمضت حتى جلست ناحية وحفَّت بها إماؤها، وقد لفتت بجلالتها نظر عبيد اللّه بن زياد فلم يعرفها فقال: من هذه التي انحازت وجلست ناحيه ومعها نساؤها، وهو يوجه السؤال إلى هذه السيدة الجليلة، ولكنها لم تجبه، فأعاد السؤال ثانية فلم تجبه، فأعاد السؤال ثالثة فلم تجبه، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول اللّهﷺ فأقبل عليها وقال: الحمد للّه الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت زينب‰: الحمد للّه الذي أكرمنا بنبيه محمدﷺ وطهَّرنا من الرجس تطهيرا، إنما يُفْتَضح الفاسق ويُكذَّب الفاجر وهو غيرنا، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع اللّه بأخيك وأهل بيتك، فقالت: ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب اللّه عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع اللّه بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصَم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا بن مرجانة.

ولما سمع ذلك عبيد اللّه بن مرجانة هذه الإهانة وهو الأمير المتغطرس الفرح والمنتشي بنصره غضب حتى كأنه همَّ بزينب‰، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تُؤاخَذ بشيء من منطقها. فاستحى إن كان يستحي، ثم قال لزينب‰: لقد شفى اللّه قلبي من طاغيتك

الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك، فقالت زينب عليها السلام: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت، فقال ابن زياد: هذه سجَّاعة، ولعمري لقد كان أبوك سجَّاعاً شاعراً، فقالت عليها السلام: يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة. وقالت أيضاً: إن لي عن السجاعة لشغلا.

10 ـ موقف زين العابدين عليه السلام:

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: من هذا، فقيل له: علي بن الحسين عليه السلام فقال: أليس قد قتل اللَّه علي بن الحسين عليه السلام، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: قد كان لي أخ يُسَمى علي بن الحسين عليه السلام قتله الناس، فقال ابن زياد: بل اللَّه قتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: اللَّه يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فقال ابن زياد: ولك جرأة على جوابي، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فلما سمعت عمته زينب عليها السلام هذا الكلام وثبت على ابن أخيها فتعلقت به واعتنقته وقالت لابن زياد: يابن زياد حسبك من دمائنا، واللَّه لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه. فقال علي عليه السلام لعمته: أسكتي يا عمة حتى أكلمه، ثم أقبل على ابن زياد فقال له: ابالقتل تهددني يابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجباً للرحم واللَّه إني لأظنها ودَّت أني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به.

ثم إن ابن زياد أمر بردهم إلى السجن وبعث رجاله إلى نواحي الكوفة والعراق يبشرون بقتل الحسين عليه السلام.

الباب الثالث

آل محمدﷺ في شام الأعداء

1 ـ أوامر يزيد بن معاوية:

وكان ابن زياد لعنه اللّٰه قد بعث الرسول إلى مولاه يزيد بن معاويه ليبشره بقتل الحسين بن عليعليه السلام وأهل بيته وأصحابه وسبي نساء وذرية محمدﷺ، وهذا الرسول هو زحر بن قيس الذي جدَّ السير حتى دخل على يزيد، فقال يزيد له: ويلك، ما وراءك وما عندك؟ فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح اللّٰه ونصره، وَرَد علينا الحسين بن عليعليه السلام في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد اللّٰه أو القتال، فاختاروا القتال على الإستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مآخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويهربون منا بالآكام والحفر لواذا كما لاذ الحمام من الصقر، فواللّٰه يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرمَّله وخدودهم معفًره، تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح، زوَّارهم الرخم والعِقبان.

فأطرق يزيد برأسه ثم رفع رأسه وقال له: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

ثم بعث إلى عبيد اللّه بن زياد يأمره بانفاذ الرؤوس والسبايا والأسارى إليه.

أقول: لقد كذب هذا الرسول الفاجر ما لاذ ولا عاذ ولا فر منهم أحد من أصحاب الحسينعليه السلام، كيف وهو يشهد أنهم اختاروا القتال، وأنباء شجاعتهم وتفانيهم في القتال أوضح وأشهر من أن تنكر، ولقد بالغ هذا الرسول الكاذب في زمن حسم المعركة فلقد دامت إلى ما بعد الزوال بساعة، وأما ما قاله من أن زوار الحسينعليه السلام هم الرخم والعقبان فلو أنه يأتي اليوم لرأى زوار قبر الحسينعليه السلام هم الزوار اليوم، ولرأى قبره وقبور اسياده ولعلم الفرق بين الحق والباطل، وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.

ثم إنه يروى أنه كان في أهل الكوفة من يوصل الأخبار إلى ثقل آل محمد وهم في السجن وذلك أنه أثناء ذهاب الرسول زحر بن قيس إلى يزيد بن معاوية كتِبت رقعة ورُبطت بحجر ورُميت في السجن الذي فيه آل محمدصلى الله عليه وآله وفيها مكتوب: خرج البريد إلى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في يوم كذا، فإذا سمعتم التكبير فأوصوا وإلا فهو الأمان، فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا، ثم جاء البريد ولم يسمع التكبير.

2 ـ السبايا في الطريق إلى الشام:

امتثل ابن زياد أمر يزيد بن معاويه فبعث بالرؤوس مع زحر بن قيس والسبايا والأسارى مع مخفر بن ثعلبة العايذي ومعه شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي التميمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وجماعة آخرون وأمرهم أن يشهروا الرؤوس والسبايا في كل بلد، فجدوا السير حتى التقوا بالرؤوس في بعض المنازل واتحد الموكبان.

فساروا بالرؤوس وسبايا وأسارى آل محمدصلى الله عليه وآله كما يُسَار بسبايا الكفار مكشوفات الوجوه يتصفَّح وجوههن أهل الأقطار والقريب والبعيد،

بل ذكر بعض المؤرخين أن نساء آل محمد ﷺ كن في الطريق من الكوفة إلى الشام مهتوكات الأستار مكشوفات الوجوه والشعور، وهذا أمر لو صحَّ كان رهيباً وعملاً شنيعاً أقدم عليه ابن زياد متعمداً لأنك علمت أن السبايا كنَّ تستّرن وتقنّعن في الكوفة.

وفي الأسارى كان زين العابدين عليه السلام مغلولاً في عنقه بجامعة من حديد أوداجه تشخب الدم، صامتاً لا يكلم أحداً من القوم طوال الطريق من الكوفة إلى الشام ولا حتى كلمة واحدة.

3 ـ السبايا في تكريت:

ولم أجد نصاً يحدد الطريق التي مرَّ عليها نساء وذرية آل محمد ﷺ وهم سبايا وأسارى عندما نقلوهم من الكوفة إلى الشام، إلا أن الظاهر من الأخبار والتواريخ المتفرقة انهم انتقلوا من الكوفة يتبعون الطريق المحاذي لنهر الفرات فوصلوا إلى تكريت وفي هذه المدينة نشرت الأعلام وخرج الناس بالفرح والسرور.

4 ـ السبايا في نصيبين:

ثم استمرت القافلة حتى وصلت إلى مدينة نصيبين وفيها (مشهد النقطة)، يقال انه وقع فيه نقطة من دم رأس الحسين عليه السلام كما يوجد (مشهد الرأس) يقال انه عُلِّق هناك لما عبروا به.

5 ـ السبايا في قنسرين:

ثم الثابت أن القافلة انطلقت إلى مدينة حلب ولكن لم أجد نصوصاً تصرِّح ببيان المحطات الواقعة بين نصيبين، وحلب ومن ثم فالظاهر أن طريق القافلة كان هو الطريق المتعارف الذي يصل إلى دير الزور ومنها إلى الرقه، وذكر بعضهم أن القافلة مرَّت على مدينة قنسرين وهناك أسلم الراهب في القصَّة المشهورة وقد تقدم ذكرها.

6 ـ السبايا في حلب:

ثم وصلوا إلى جبل غربي مدينة حلب فقطرت هناك من الرأس الشريف قطرة دم فعمروا هناك مشهداً عرف بـ (مشهد النقطة).

ثم وصلوا قريباً من حلب من جهة الغرب أيضاً وهناك جيء بنساء الحسينعليه السلام، ففرح أهل ذلك الحي فدعت عليهم زينب بنت عليعليه السلام، وفي ذلك المكان أيضاً أسقطت إحدى زوجات الحسينعليه السلام حملها وكان اسمه (المحسن)، فبنوا مشهداً يقال له (مشهد السقط)، ويقال له أيضاً (مشهد الطرح)، ويقال له أيضاً (مشهد الدكة).

7 ـ السبايا في حماة:

ثم وصلوا إلى مدينة حماة وبالقرب منها مسجد يُقال له مسجد الحسينعليه السلام ويقال ان فيه حجر وُضع عليه رأس الحسينعليه السلام.

8 ـ السبايا في بعلبك:

ثم ساروا إلى مدينة بعلبك فلما قربوا منها كتبوا إلى أمير بعلبك فأمر بالرايات فنشرت وخرج الصبيان يتلقون قافلة سبايا آل محمدصلى الله عليه وآله على نحو من ستة أميال من بعلبك فلما رأتهم أم كلثوم بنت عليعليه السلام على هذا النحو قالت لهم: أباد اللّه كثرتكم وسلّط عليكم من يقتلكم، ثم بكى علي بن الحسينعليه السلام وقال:

وهو الزمان فلا تفنى عجائبه	من الكرام وما تهدى مصائبه
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا	فنونه وترانا لم نجاذبه
يسري بنا فوق أقتاب بلا وطأ	وسابق العيس يحمي عنه غاربه
كأننا من أسارى الروم بينهم	كأن ما قاله المختار كاذبه
كفرتم برسول اللّهصلى الله عليه وآله ويحكم	فكنتم مثل من ضلّت مذاهبه

ثم سارت القافلة إلى دمشق.

9 - السبايا على باب الشام:

ولما قربت قافلة سبايا وأسارى آل محمدﷺ من مدينة دمشق إنضم موكب الرؤوس إلى موكب السبايا حتى صار الموكبان موكباً واحداً والرؤوس الشريفة مرفوعة على الأعلام بين محامل النساء والأطفال.

وأمر يزيد جيشه فعبَّأه مائة وعشرين راية فانضموا إلى الموكب للإحتفال بإدخال رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق وأمرهم أن يدخلوا من باب جيرون ومنه إلى باب توما وأمر المنادي أن ينادي في الناس للخروج والاحتفال.

وصل الموكب إلى باب جيرون مع مشرق الشمس ومنه دخلوا دمشق ثم وصلوا إلى باب توما حيث ازدحم الناس ازدحاماً عظيماً فلم يستطع الموكب أن يدخل فعدلوا إلى باب الكراديس ثم جازوه إلى باب الساعات فوقفوا عنده ثلاث ساعات في ازدحام شديد.

10 - السبايا يدخلون الشام:

فلما أراد الموكب أن يدخل دمشق على هذه الصورة صباح النهار والنساء مكشفات الوجوه مهتوكات الأستار دنت أم كلثوم من شمر بن ذي الجوشن فقالت له: لي إليك حاجة، فقال: ما حاجتك، فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحُّونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذا الحال. ولكن الشمر لا ينضح إلا بما في جوفه من الغي والبغي والكفر والحقد واللؤم فما كان منه في جواب أم كلثوم إلا التأكيد على هذه الصفة فأمر أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل، ودخل دمشق وسلك بهم بين النظارة.

هكذا! كانت صورة الموكب الرهيب وهو يدخل الشام، علي بن الحسين عليه السلام مغلول بغل إلى عنقه وهو على بعير بغير وطاء يتقدم النساء، وهم خلفه علي البغال، والجميع مقرنون بالحبال، ورأس الحسين بن

علي عليه السلام على علم بين المحامل، وكذلك بقية الرؤوس الشريفة، ولعل عدد البغال أو الجمال التي تحمل الاسارى والسبايا أربعون أو يزيدون، يحيط بهم من كل جانب على طول القافلة فرسان غلاظ طغاة يحملون الرماح كلما دمعت عين أحد من السبايا والأسارى أو صدر منه صوت قرعوا رأسه بالرمح، هكذا دخلت قافلة السبايا سور دمشق، وما أن دخلوها حتى صاح الصائح: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون!!

ثم أقبلت الرايات تدخل دمشق يتلو بعضها بعضاً ومن بينها فارس بيده رمح طويل عليه رأس الحسين عليه السلام وجهه أشبه بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتهلل نوراً كأنه البدر الطالع وحوله نساء آل محمد أقربهم إليه أم كلثوم وهي تنادي: واأخاه، واسيداه، وامحمداه، واعلياه، وسكينة بنت الحسين عليه السلام تنادي: يا أخي، يا خالي، يا أبي، يا جدي، يا جدتي، وامحمداه، واعلياه، واحسيناه، واعباساه، هلكت عصابة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله على يدي أبي سفيان وعتبة. وعلي بن الحسين عليه السلام إذ نظر إلى الناس واجتماعهم على بغضهم وازدحامهم فرحاً بكى بكاءً شديداً فقال:

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني	من الزنج عبد غاب عنه نصيره
وجدي رسول الله في كل مشهد	وشيخي أمير المؤمنين وزيره
فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن	يزيداً في البلاد أسيره

وهكذا لا تسمع في هذه القافلة إلا صائحة تصيح: وامحمداه، واعلياه، واحسناه، واحسيناه، لو رأيتم ما حلَّ بنا من الأعداء، أو صائحة تصيح: يا رسول الله، بناتك أسارى كأنهن بعض اليهود والنصارى، وأخرى تنوح بصوت شجي يقرع القلوب على الرضيع وعلى المذبوح من القفا، المهتوك الخبا، العريان بلا ردا، واحزناه لما نالنا أهل البيت فعند الله نحتسب مصيبتنا.

ويروى أنه كان في الجموع المحتشدة نصرانياً كشف الله عن سمعه فسمع رأس الحسين عليه السلام وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فأسلم هذا النصراني وتشهد الشهادتين ثم انتضى سيفه وشدَّ به

على القوم وهو يبكي فقتل منهم جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه، وعندما سمعت أم كلثوم هذه الضجَّة سألت عما حدث فأخبروها فقالت: واعجباه، النصارى يحتشمون لدين الإسلام وأُمّة محمد ﷺ الذين يزعمون أنهم على دين محمد ﷺ يقتلون أولاده ويسبون حريمه.

11 ـ عيد الشام:

في أول يوم من شهر صفر وصلت قافلة سبايا آل محمد ﷺ إلى مدخل دمشق، وهي مدينة مزهوة فرحاً وفخراً بالنصر، روي عن سهل بن سعد الساعدي وهو أحد الصحابة الذين صاحبوا النبي ﷺ أنه قال يصف أهل الشام ساعة دخول السبايا عليهم، فقال:

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا قوم لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن، قالوا: يا شيخ نراك أعرابياً، فقلت: أنا سهل ابن سعد قد رأيت محمداً ﷺ، قالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها، قلت: ولم ذاك!؟ قالوا: هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد ﷺ يُهدى من أرض العراق، فقلت: واعجباه يُهدى رأس الحسين عليه السلام والناس فرحون، قلت، من أي باب يدخل، فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات قال: فبينا أنا كذلك حتى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان عليه رأس أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ، فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهم، فقلت: يا جارية من أنت؟ فقالت: أنا سكينة بنت الحسين عليه السلام، فقلت لها: ألك حاجة إليَّ، فأنا سهل بن سعد ممن رأى جدك ﷺ، وسمعت حديثه، قالت: يا سعد قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ، قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس، فقلت له: هل لك

أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار، قال: ما هي، قلت: تقدم الرأس أمام الحرم ففعل، ذلك فدفعت إليه ما وعدته.

وفي خبر آخر عن سهل بن سعد يصف حال أهل الشام وحال قافلة السبايا بنحو ما تقدم ويزيد فيه أنه رأى عجائزاً طعنوا في السن أخذتهم الحمية كغيرهم من أهل الشام فشرعوا يرمون هذا الموكب المقدس بالحجارة وتعمَّد بعضهم أن يرمي بالحجارة رأس الحسينعليه السلام. وعندما أراد سهل أن يتكلم مع القافلة اقترب منها حتى تعلق بقائمة المحمل ونادى بأعلى صوته ـ حتى يتمكنوا من سماعه وسط الضوضاء ـ السلام عليكم يا آل بيت محمد ورحمة الله وبركاته، فقالت أم كلثوم بنت عليعليه السلام: من أنت أيها الرجل الذي لم يسلِّم علينا أحد غيرك مثل سلامك منذ قتل أخي وسيدي الحسينعليه السلام.

أقول: كلام أم كلثوم يزيد في القلب حسرة حيث يبيِّن لنا أنهم على مرِّ الأيام والأسابيع التي أطافوا بها في بلاد وقرى المسلمين لم يلتقوا بأحد من أهل الخير فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم هذا هو حال مدينة دمشق حين دخلها أطفال ونساء محمدصلى الله عليه وآله، مدينة مزهوة بالنصر فرحة مستبشرة أهلها يلعبون بالدفوف ويضربون الطبول هيّؤوا أنفسهم ونظفوا أطفالهم لرؤية نساء وأطفال محمدصلى الله عليه وآله يُساقون في أزقة هذه المدينة مكشوفات الوجوه يتصفحهن الغريب والبعيد، واستمروا يسوقونهم كذلك من باب دمشق إلى أن وصلوا إلى المسجد الأعظم في دمشق فحطت القافلة هناك، وهناك أنزلوا نساء وأطفال محمدصلى الله عليه وآله على درج باب هذا المسجد كما هي عادتهم في إنزال سبايا الكفار الذين يغنمونهم في الحروب.

وكان أطفال ونساء محمدصلى الله عليه وآله من أحسن الناس وجهاً وفضلاً كأن وجوههن الأقمار المنيرة، وكان أهل الشام الجفاة الطغاة ينظرون إلى هذا النوع الغريب من السبايا ويقولون: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، وربما يسألوهن من أنتم؟ فتقول سكينة بنت الحسينعليه السلام: نحن سبايا آل محمدصلى الله عليه وآله.

12 ـ السبايا على درج المسجد:

أقاموا عترة محمد ﷺ على درج المسجد الأعظم في دمشق ينتظرون بهم أمر يزيد بن معاوية.

وعلى هذا الدرج جرت محادثة معبِّرة لا بأس بروايتها.

تقول الرواية أن شيخ من شيوخ الشام تقدم من هؤلاء السبايا وفيهم علي بن الحسين عليه السلام وهو فتى شاب فقال الشيخ: الحمد للّٰه الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم، ثم شرع يشتمهم ولم يأل جهداً وعلي بن الحسين عليه السلام يسمع كلامه حتى انقضى، فقال له: يا شيخ أما قرأت كتاب اللّٰه عز وجل، فقال الشيخ: نعم، فقال عليه السلام: أما قرأت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال الشيخ: بلى، فقال عليه السلام: فنحن أولئك، ثم قال له: أما قرأت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ قال: بلى، قال: فنحن هم، ثم قال له: فهل قرأت هذه الآية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال الشيخ: بلى، فقال عليه السلام: فنحن ذو القربى، ثم قال له: أما قرأت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال الشامي: بلى، فقال عليه السلام: فنحن هم، فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، ثم قال لعلي بن الحسين عليه السلام: باللّٰه إنكم هم، فقال عليه السلام: تاللّٰه إنا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول اللّٰه ﷺ إنا لنحن هم، فبكى الشيخ ورمى عمامته ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللّٰهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد ﷺ من جن وإنس، ثم قال: هل لي من توبة؟، فقال عليه السلام: نعم إن تبت تاب اللّٰه عليك وأنت معنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللّٰهم إني أتوب إليك، اللّٰهم إني أتوب إليك، اللّٰهم إني أتوب إليك، اللّٰهم إني أتوب إليك من عداوة آل محمد ومن قتل أهل بيت محمد، ولقد قرأت القرآن منذ دهر فما شعرت بها قبل اليوم.

ويقال ان يزيد سمع بهذه المحادثة فأمر بهذا الشيخ فقتل.

13 ـ السبايا عند يزيد:

ثم إنهم ساقوا سبايا آل محمدﷺ إلى يزيد بن معاوية وهم مقرونون بالحبال، فالحبل في عنق علي بن الحسينعليه السلام ومن عنقه إلى زينب، ومنها إلى أم كلثوم، يقودهم اللئيم الشرير مخفّر بن ثعلبة العايذي، فما أن وصل بهم إلى باب يزيد رفع صوته ليسمع يزيد بن معاوية فقال: هذا مخفَّر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالفجرة اللئام، وفي خبر آخر أنه قال عن رأس الحسينعليه السلام: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!!!

فلما سمعه علي بن الحسينعليه السلام قال: ما وَلَدَت أُمُّ مخفَّر أشرُّ وألأم، ولكن قبَّح اللّٰه ابن مرجانة. ويقال ان هذه الكلمة التي قالها علي ابن الحسينعليه السلام هي أول كلمة قالها للقوم من حين خروجه من الكوفة.

أما يزيد بن معاوية أمير مؤمنين ذلك الزمان الأسود فقد كان جالساً على سريره وعلى رأسه تاج مكلَّل بالدر والياقوت وحوله كثير من مشايخ قريش، فأمرهم فأدخلوا عليه نساء وأطفال محمدﷺ علَّه يشفى غليله من محمدﷺ وكانوا إثنا عشر ذكراً مغلَّلين وعشرين من نساء آل محمدﷺ وهم مقرنون في الحبال، أدخلوهم جميعاً حتى وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، وهو على حاله من المجد والأبهة، فأراد يزيد لعنه اللّٰه أن يصغِّر من قدر الحسين بن عليعليه السلام وعياله، فقال لهم: أخلطتم أنفسكم بعبيد أهل العراق، ما علمت بخروج أبي عبد اللّٰهعليه السلام حين خرج ولا بقتله حين قتل.

فقال له علي بن الحسينعليه السلام وهو مغلول: أنشدك اللّٰه يا يزيد ما ظنك برسول اللّٰهﷺ لو رآنا على هذه الحالة، ثم قالت فاطمة بنت الحسينعليه السلام: يا يزيد بنات رسول اللّٰهﷺ سبايا!! فبكى الناس، وبكى أهل الدار حتى علت الأصوات، ثم قال علي بن الحسينعليه السلام ثانية: يا يزيد، أتأذن لي في الكلام، فقال يزيد: قل، ولا تقل هجراً، فقال علي بن الحسينعليه السلام: لقد وقفتُ موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول اللّٰهﷺ لو رآني في الغل، فقال يزيد لمن حوله: حلّوه، فقطعوا

الحبال، ثم اجلسوا السبايا خلف يزيد لئلا ينظرن إلى رأس الحسينعليه السلام وهو موضوع أمامه.

ثم ذهب يقرع رأس الحسينعليه السلام بمخصرة في يده ويقول الأشعار التي ذكرناها سابقاً عند التعرض لما جرى على رأس الحسينعليه السلام ومما قال:

نـفـلّـق هـامـاً مـن رجـال أعـزّة عـلـيـنـا وهـم كـانـوا أعـق وأظـلـمـا

ثم التفت إلى النعمان بن بشير الانصاري وقال: الحمد للّه الذي قتله، فقال النعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله، فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أن يخرج ولو خرج على أمير المؤمنين لقتله.

14 ـ إستقبال نساء آل يزيد:

وكان من أعظم المواقف تعاطفاً مع نساء وأسارى آل محمدصلى الله عليه وآله موقفاً عاطفياً جياشاً وقفته نساء آل يزيد نفسه فإنهن لم يستطعن أن يتحملن هذا المشهد الرهيب، فقد ذكر المؤرخون أنه عندما أدخلت نساء آل محمدصلى الله عليه وآله بالصورة التي ذكرناها كأنهن سبايا الكفار لم يبق أحد من نساء آل معاوية ولا آل أبي سفيان إلا استقبلتهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسينعليه السلام وألقين ما عليهن من الثياب والحلي، وكان في جملة النساء الموجودات في دار يزيد امرأة هاشمية فجعلت تندب على الحسينعليه السلام وتنادي: واحبيباه، يا سيد أهل بيتاه، يابن محمداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، نادت وندبت حتى أبكت كل من سمعها، ولعل أعظم المواقف إنفعالاً وتأثيراً هو موقف هند بنت عبد اللّه ابن عامر بن كريز زوجة يزيد التي لم تتمالك نفسها حتى قامت وشقت الستر وهي حاسرة ووثبت إلى يزيد وهو في المجلس العام وقد قدمنا ذكرها عند التعرض لأحوال رأس الحسينعليه السلام.

15 ـ خطاب زينبعليها السلام عند يزيد:

وكانت السيدة الكبرى زينب بنت عليعليه السلام في النساء المنتحبين في

مجلس يزيد خلفه بحيث لا يرون رأس الحسين عليه السلام الموضوع في طست من ذهب أمام يزيد، فقامت النساء تتطاولن للنظر إلى وجه الحسين عليه السلام، فلما رأته سكينة وفاطمة صرخن بالبكاء، وأما زينب عليها السلام فإنها لما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام فلم تتمالك أن رفعت بيدها ثم أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يفزع القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله، يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يابن بنت المصطفى، يقول الراوي الذي روى هذا الخبر: إنها أبكت ـ والله ـ كل من كان في المجلس ويزيد ساكت.

ثم قامت زينب عليها السلام فقالت:

الحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه على جدي سيد المرسلين، صدق اللّه كذلك يقول ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على اللّه هواناً وبك على اللّه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عِطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً أنسيت قول اللّه تعالى ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾﴾، أمِن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول اللّه صلى الله عليه وآله سبايا، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدنيء والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي، وكيف يُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء، وكيف يستبطيء في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

وأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمِخصرتك!! وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة واستأصَلتَ الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم، فلتردنَّ وشيكاً موردهم ولتودَّن أنك شللت وبكمت ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللّهم خذ لنا بحقنا وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولترِدَنَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمَّلت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولُحمته حيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ حسبك بالله حاكماً، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم من سوَّى لك ومكَّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جندا.

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك وإني لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك لكنَّ العيون عبرى والصدور حرَّى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلَّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدَّمت، وما ربك بظلام للعبيد. فإلى الله المشتكا وعليه المعوَّل، فكِد كيدَك، واسعَ سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تُدرِك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

16 ـ محنة فاطمة بنت الحسين عليها السلام[1]:

وفي أثناء جلوس نساء وأطفال محمد صلى الله عليه وآله بين يدي يزيد لعنه اللّه جرى على فاطمة بنت الحسين عليها السلام حدث مخيف أرعدت له فرائصها ووجب عنده قلبها الفارغ، وإليك تفاصيل الحدث.

قالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام: ولما جلسنا بين يدي يزيد رقَّ لنا فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ـ يعنيني ـ وكنت جارية وضيئة، فأرعدتُ، وظننت أن ذلك جائز لهم فأخذت بثياب عمتي زينب عليها السلام وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقلت لعمتي: أوتمتُ وأُسْتَخدَم!!.

فقالت عمتي للشامي: كذبتَ واللّه ولؤمتَ، واللّه ما ذلك لك ولا له، فغضب يزيد، وقال: كذبتِ واللّه إن ذلك لي ولو شئتُ أن أفعل لفعلت.

فقالت: كلا واللّه ما جعل اللّه لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها.

فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب عليها السلام: بدين اللّه ودين جدي ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلماً، فقال يزيد لعنه اللّه: كذبتِ يا عدوة اللّه، فقالت له زينب عليها السلام: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك، فكأنه استحيا وسكت.

فعاد الشامي يقول ليزيد: هب لي هذه الجارية، فقال له يزيد: اعزب وهب اللّه لك حتفاً قاضياً.

أقول: ويروى أن أم كلثوم شتمت الشامي وقالت له: أسكت يا لكع

---

(١) ويروى أن هذا الحدث جرى مع فاطمة بنت علي عليها السلام والله العالم.

الرِّجال، قطع اللَّه لسانك، وأعمى عينيك وأيبس يديك، وجعل النار مثواك، إن أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء.

فقال الشامي يسأل يزيد عن هذه الجارية التي يطلبها: من هذه الجارية؟، فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسينعليه السلام، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالبعليه السلام، فقال الشامي: الحسين بن فاطمةعليها السلام وعلي بن أبي طالب؟؟! فقال يزيد: نعم، فقال الشامي: لعنك اللَّه يا يزيد تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته!! واللَّه ما توهمت إلا أنهم سبي الروم. فقال يزيد: واللَّه لألحقنك بهم، فأمر بضرب عنقه فضربت.

ويروى أن اللَّه تعالى استجاب دعاء أم كلثوم في هذا الشامي فقالت: الحمد للَّه الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذا جزاء من يتعرض لحرم رسول اللهصلى الله عليه وآله.

17 ـ كلام زين العابدينعليه السلام مع يزيد:

ثم إن يزيد بن معاوية توجه إلى علي بن الحسينعليه السلام فقال له:

يا علي الحمد للَّه الذي قتل أباك، فقال عليعليه السلام: قتل أبي الناس، فقال يزيد: الحمد للَّه الذي قتله فكفانيه، فقالعليه السلام: على من قتل أبي لعنة اللَّه، أَفَتَراني لعنتُ اللَّه عز وجل، فغضب هنا يزيد وأمر بضرب عنق علي ابن الحسينعليه السلام: فشاور يزيد من كان حاضراً من جلسائه وأعوانه في أمر علي بن الحسينعليه السلام فأشاروا عليه بقتله، فقال زين العابدينعليه السلام: يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم في موسى وهارون فإنهم قالوا له: أرجِه وأخاه، ولا يقتل الأدعياء أولاد الأنبياء وأبناءهم، وقال له أيضاً: إن عزمت على قتلي وكان بينك وبين هؤلاء النساء رحم فأرسل معهن من يؤديهن، أي يوصلهن إلى مدينة الرسولصلى الله عليه وآله.

فكأن يزيد استحيا ورجع عن رأيه، وقال له: بل تؤديهن أنت، ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده ثم قال له: يا علي بن الحسين،

أتدري ما الذي أريد بذلك، قال عليه السلام: بلى تريد أن لا يكون لأحد عليَّ منة غيرك، فقال يزيد: هذا والله ما أردت، ثم قال يزيد: يا بن حسين، أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت. فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: أردد عليه.

فلم يدر خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد قل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ما هذه فينا نزلت، وإنما نزل فينا ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا.

وقال علي بن الحسين عليه السلام ليزيد: يا بن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار.

ثم جعل علي بن الحسين عليه السلام يقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي عند مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم

ثم قال عليه السلام: ويلك يا يزيد، إنك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس أبي الحسين عليه السلام ابن فاطمة وعلي عليه السلام منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة.

18 ـ زين العابدين عليه السلام على منبر الشام:

ثم إن يزيد دعا بخطيب من رجاله الجفاة فأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين عليه السلام وأباه علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليهما ويخبر الناس بسوء رأيهما وفراقهما الحق وبغيهم على يزيد.

فصعد المنبر وذمهما صلوات اللّٰه عليهما وبالغ في ذمهما ومدح معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوَّأ مقعدك من النار، ثم قال عليه السلام: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن للّٰه رضا ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب، فأبى يزيد أن يأذن له، فقال الناس الحاضرون: يا أمير المؤمنين إئذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال يزيد: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا الغلام، فقال: إنه من أهل بيت قد زُقُّوا العلم زقًّا، فلم يزالوا به حتى أذن له، وقال له: يا علي اصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة وما رزق اللّٰه أمير المؤمنين من الظفر.

19 ـ خطبة زين العابدين عليه السلام:

فصعد علي بن الحسين عليه السلام المنبر فخطب خطبة أبكى بها العيون وأوجل القلوب، ثم قال: أيها الناس أُعطينا ستاً وفُضِّلنا بسبع، أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضِّلنا بأن منا النبي المختار محمداً صلى الله عليه وآله، ومنا الصدِّيق ومنا الطيار ومنا أسد اللّٰه وأسد رسوله ومنا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبَّى، أنا ابن من حُمِل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو

أدنى، أنا ابن من صلَّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا اللَّه.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللَّهﷺ بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر باللَّه طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب للَّه ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي اللَّه على المنافقين، ولسان حكمة العابدين وناصر دين اللَّه، وولي أمر اللَّه، وبستان حكمة اللَّه، وعيبة علمه، سمح سخي، بهي بهلول زكي، أبطحي رضي، مقدام همام، صابر صوّام، مهذّب قوَّام، قاطع الاصلاب ومفرِّق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم حناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدَّهم شكيمة، أسد باسل يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنَّة وقربت الأعنّة طحن الرحا ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبش العراق، مكي مدني خيفي عقبي بدري أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

ثم قال:

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، واستمر يقول: أنا أنا... إلى أن قال: أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرِّداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا

ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تُسبى.

فلم يزل يقول: أنا أنا.. حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه الكلام، فلما قال المؤذن: اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر قال عليعليه السلام: لا شيء أكبر من اللّٰه، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا اللّٰه، قال علي بن الحسينعليه السلام: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول اللّٰه، التفت علي بن الحسينعليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته، ولم قتلت أبي وسبيت حرمه وسبيتني، ثم قال: معاشر الناس هل فيكم من أبوه وجده رسول اللّٰه، فعلت الأصوات بالبكاء، ثم لما فرغ المؤذن تقدم يزيد فصلى صلاة الظهر.

20 ـ السبايا في المحبس:

ثم إن يزيد لعنه اللّٰه أمر بنقل نساء وذرية آل محمدصلى الله عليه وآله إلى الحبس فحبسوهن في محبس هو خربة متصدعة تكاد أن تقع وتتهدم لا يرد عنهن حراً ولا برداً، فبقين فيه حتى تقشَّرت وجوههن، وكن يتوقعن الاذى من تصدع السقف عليهن أو الضرب أو القتل في كل حين وكان هذا بذاته عاملاً إضافياً في زيادة محنتهن.

ويروى أن في محبس الشام تجدَّدت المصائب على آل البيتعليهم السلام عندما استيقظت رقيَّة ابنة الحسينعليه السلام من نومها ذعرة صارخة تسأل عن أبيها وتلح في الصراخ والبكاء ولا تقبل من أحد عذراً إلا برؤية أبيها، فتهايج النساء وعلا صراخهن، وقيل وصل الصراخ إلى قصر يزيد فتساءل عن الخبر فقيل له: طفلة الحسينعليه السلام تطلب أباها، فأمرهم أن يحملوا إليها رأس أبيهاعليه السلام فجاؤوا بالرأس الشريف في طشت وعليه غطاء، ظنته طعاماً فرفضته وعندما كشفت الغطاء عن الرأس الشريف ارتفع صوت نساء آل محمدصلى الله عليه وآله بالبكاء والعويل، وأما رقية فلم يهدأ صراخها حتى فارقت روحها

بدنها، فأحضروا لها مغسِّلة لتجهزها فلما رأت أضلاع رقية زرقاً تمنعت من غسلها توهمت أن بها مرض أو علَّة، أجابتها زينبعليها السلام أن زرقة أضلاعها من ضرب السياط، جهزوها ودفنوها في تلك الخربة، مرقدها الآن مزار معروف في ناحية الشام قريباً من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي.

21 ـ تبدل سياسة يزيد:

وروى بعضهم أن يزيد أنزلهن في داره الخاصة فما كان يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسينعليه السلام.

وفي خبر آخر أن يزيد أدخلهن داره فأقمن المناحة على الحسينعليه السلام ثلاثة أيام.

ولعل الظاهر الذي يقتضيه الجمع بين خبر حبسهن وأذيتهن وخبر إستضافتهن وإكرامهن هو أن يزيد لعنه اللّه كان في بادىء الأمر قد سجنهن وضيَّق عليهن وسعى في إذلالهن وإهانتهن يريد بذلك إفراغ لؤمه وكيده وإبراز نصره النهائي على أهل بيت محمدصلى الله عليه وآله، ولكنه لما رأى أن صنيعه المرذول هذا لم يلق استحساناً لدى شيوخ قريش وأهل الشام، بل رأوه عملاً قبيحاً مستنكراً مستهجناً، بل كان عمله هذا مستقبحاً حتى من زوجاته ونساء داره ولذا اضطر يزيد أن يعدل عن صنيعه هذا إلى ما هو أولى به وأليق في أنظار مشايخ العرب فعدل من إهانتهن إلى إكرامهن ومن سجنهن إلى استضافتهن وصار لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسينعليه السلام، ولعل هذه العناية الزائدة بالإمام تعمدها يزيد لأجل استجلاب محبة الإمام وصلحه كي يأمن بوائق الزمن الآتي.

والذي يؤيد تحقق تبدل في سياسة يزيد مضافاً إلى ما قدمناه الخبر الذي يقول أن يزيد استشار أهل الشام فيما يصنع بسبايا آل محمدصلى الله عليه وآله فقالوا له: لا تتخذ من كلب سوء جرواً!! فقال له النعمان بن بشير: انظر ما كان الرسولصلى الله عليه وآله يصنعه بهم فاصنعه بهم.

ويدل على ما ذكرناه من الجمع الخبر المروي عن كتاب السراير بسنده عن داود بن فرقد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه ذكر دخولهم السجن في الشام ثم قال عليه السلام: فمكثنا يومين ثم دعانا وأطلق عنا، وفي خبر آخر أنهم بقوا في هذه الخربة ثلاثة أيام وفي خبر ثالث أنهم بقوا في هذا المنزل شهراً ونصف حتى تقشَّرت وجوههن من حرِّ الشمس.

ولعل هذا التبدل في سياسة يزيد هو الذي أدى إلى أن يصدر من يزيد عدة عبارات يتبرأ فيها مما عمله عبيد اللَّه بن زياد ويذمه ويلعنه، ومن هذه العبارات:

١ ـ قوله: لعن اللَّه ابن مرجانة إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة عليهما السلام، لو كنت صاحبه لما سألني خصلة إلا أعطيته إياها ولدفعتُ عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي ولكن قضى اللَّه أمراً فلم يكن له مرد.

٢ ـ ومنها قوله عندما دعا النساء والصبيان فأُجلِسوا بين يديه فرأى هيئة قبيحة فقال: قبح اللَّه ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم على هذا الحال.

٣ ـ ومنها أن علي بن الحسين عليه السلام قال: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي فوجِّه مع هؤلاء النسوة من يردّهن إلى حرم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فقال له يزيد لعنه اللَّه: لا يردّهن غيرك، لعن اللَّه ابن مرجانة فواللَّه ما أمرته بقتل أبيك ولو كنت متولّياً لقتاله ما قتلته.

أقول: ومن الواضح لكل ذي مسكة أن يزيد هو رأس الأفعى وهو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام ويدل على ذلك الأخبار الدالة على أن يزيد كان قد أمر عامله والي المدينة أن يأتيه برأس الحسين عليه السلام حتى قبل خروجه من المدينة، والأخبار الكثيرة الدالة على أن يزيد كان قد بعث من يقتل الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ولأجل ذلك عدل الحسين عليه السلام عن إتمام الحج وعدل من عمرة التمتع إلى عمرة مفردة وخرج من مكة يوم الثامن من ذي الحجة، كما ويظهر من سياق الاحداث ولا سيما أن عبيد

اللّه كلب وفي ومخلص لسيده يزيد فلا يمكن أن يرتكب في الحسين عليه السلام ما لم يأمر به يزيد ولا سيما بهذه الشدة والقساوة، كما تدل كل الأخبار التي قدمناها في هذا الكتاب أن يزيد هو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام وسبي نسائه وأطفاله واهانتهم على هذا النحو القاسي الذي لا يخطر ببال إنسان فيه قلب ينبض وهو الذي كان جذلان مسروراً بقتل الحسين عليه السلام وهو الذي أمر أهل الشام بإظهار السرور والفرح وإعلان تلك الأيام أيام عيد وفرح وقرع طبول، ولقد استمرت عادة أهل الشام على اتخاذ ايام محرم ويوم عاشوراء أيام افراح وأعياد ولم تنقطع هذه العادة إلا بعد قرون عدة، ولقد بلغنا أن بعض الناس في هذه الأيام يقومون ببعض الأعمال والأفراح في يوم عاشوراء يفعلون ذلك وراثة لتقاليد آبائهم واجدادهم دون أن يعرفوا أنهم يحتفلون بقتل الحسين وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

22 ـ مواقف في الشام:

ولعلي بن الحسين عليه السلام عدة مواقف في الشام لا بد من ذكرها:

١ ـ منها أنه لقيه أحد الصحابة قيل هو المنهال بن عمرو، وقيل هو مكحول، فسأله فقال: كيف أمسيت يا بن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: فقال عليه السلام: أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً صلى الله عليه وآله منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً صلى الله عليه وآله منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشردون، فإنا للّه وإنا إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال، قال منهال: وبينما هو يكلمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى أين يا نعم الخلف، فتركني وأسرع إليها، فسألت عنها فقيل لي: هذه عمته زينب عليها السلام.

٢ ـ ومنها أن يزيد قال لعلي بن الحسين عليه السلام: يا علي، أتصارع ابني خالداً، قال عليه السلام ما تصنع بمصارعتي إياه، أعطني سكيناً وأعطه سكيناً فليقتل أقوانا أضعفنا، فقال له يزيد: شنشنة أعرفها من أخزم، لا تلد الحية إلا الحية، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب عليه السلام. ويروي بعض المؤرخين

أن هذه الحادثة جرت مع عمرو بن الحسن عليه السلام.

٣ ـ وعن كتاب دعوات الراوندي أنه لما حمل علي بن الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه اللّه همَّ بضرب عنقه فوقّفه بين يديه وهو يكلمه ليستنطقه بكلمة يوجب بها قتله وعلي عليه السلام يجيبه حسب ما يكلمه وفي يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه وهو يتكلم، فقال له يزيد: أكلمك وأنت تجيبني وتدير أصابعك بسبحة في يدك فكيف يجوز ذلك؟ فقال عليه السلام: حدثني أبي عن جدي أنه كان إذا صلى الغداة وانفتل لا يتكلم حتى يأخذ سبحة بين يديه فيقول: اللّهم إني أصبحت أسبّحك وامجّدك وأحمدك وأهلّلك بعدد ما أدير به سبحتي ويأخذ السبحة ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير أن يتكلم بالتسبيح، وذَكَر أن ذلك مُحتسب له، وهو حرز إلى أن يأوي إلى فراشه فإذا آوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول ووضع سبحته تحت رأسه فهي محسوبة له من الوقت إلى الوقت، ففعلتُ هذا اقتداءً بجدي، فقال يزيد: لست أكلم أحداً منكم إلا ويجيبني بما يعوذ به.

الباب الرابع

العودة الحزينة

1 ـ خروج السبايا من الشام:

قد عرفت أن يزيد عزم على إظهار كرمه المصتنع بإكرام السبايا فقال لعلي بن الحسين عليه السلام: أذكر حاجاتك الثلاث اللآتي وعدتك بقضائهن، فقال عليه السلام: الأولى: أن تريني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين عليه السلام فأتزود منه وانظر إليه وأودّعه، والثانية: أن ترد علينا ما أخذ منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجِّه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدِّهن صلى الله عليه وآله، فقال يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبدا، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يؤديهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته، فقال عليه السلام: أما مالك فما نريده وهو موفَّر عليك وإنما طلبت ما أُخذ منَّا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ومقنعتها وقلادتها وقميصها، فأمر برد ذلك وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرَّقها في الفقراء والمساكين.

ويروى أن يزيد لعنه اللّه عرض عليهم المقام بدمشق فأبوا ذلك وقالوا: بل ردنا إلى المدينة فإنه مهاجر جدنا صلى الله عليه وآله.

فأمر برد الأسارى والسبايا إلى المدينة.

ويروى أن يزيد هو الذي استعجل خروج السبايا والأسارى من الشام لأنه خشي الفتنة وانقلاب الرأي العام عليه، فأمر النعمان بن بشير أن يتولى

تجهيزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً معه خيل وأعوان ليؤدوا السبايا إلى حرم جدهم.

ويروى أن يزيد بعث إلى المدينة فاستقدم منها جماعة من موالي بني هاشم ليكونوا مع قافلة السبايا في طريق عودتها مع خيل أهل الشام.

ثم كسا السبايا وحباهم وفرض لهم الأرزاق وسيَّرهم على صورة جميلة، فكان الرسول معهم كهيئة الحارس لهم فإذا نزلوا في منزل تنحى وتفرق عنهم هو أصحابه وينزل بهم حيث أرادوا ويقضي حوائجهم ويلطف بهم واستمر كذلك إلى أن وصل بهم إلى المدينة.

ولذلك قالت فاطمة بنت علي عليه السلام لأختها زينب: قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته لنا، فهل لك أن نصله، فقالت زينب: واللّه ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا، فأخذت سوارها ودملجها وسوار أختها ودملجها فبعثتا بها إليه واعتذرتا من قلّتها وقلن له: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي، ولكن واللّه ما فعلته إلا للّه وقرابتكم من رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

2 ـ السبايا في كربلاء:

سارت قافلة السبايا راجعة إلى المدينة فلما انفصلت من الشام ووصلت إلى العراق قالوا للدليل: مرَّ بنا على طريق كربلاء.

فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا هناك الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الانصاري وجماعة من بني هاشم ورجلاً من آل رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام فوافوا في وقت واحد، وقد قيل ان أول زائر للحسين عليه السلام من الإنس هو جابر بن عبد اللّه الانصاري يوم العشرين من صفر، وكان جابر ومن معه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وجماعة بني هاشم عند قبر الحسين عليه السلام عندما لاح لهم سواد قد طلع عليهم من بعيد من ناحية الشام فقال جابر لعبده: إنطلق إلى هذا السواد وأتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين

العابدين عليه السلام فأنت حر لوجه اللّه تعالى، فمضى العبد فما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول اللّه صلى الله عليه وآله هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الاقدام مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام، فقال له زين العابدين عليه السلام: أنت جابر، فقال: نعم يابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام يا جابر ههنا واللّه قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسُبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء الحي ورجالهم وقاموا ينوحون على الحسين عليه السلام أياماً.

3 ـ موقف جابر بن عبد الله الأنصاري:

وكان موقف جابر بن عبد اللّه من المواقف المشكورة التي وقفها لأهل بيت نبيه إذ وقف على قبر الحسين عليه السلام فأجهش بالبكاء وقال: يا حسين، ثلاثاً، فلم يسمع جواباً، فقال:

حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفرّق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك بن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، ومالك لا تكون كذلك وقد غذتك كف سيد المرسلين وربيت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الايمان وفطمت بالاسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيِّبة بفراقك ولا شاكَّة في الخيرة لك فعليك سلام اللّه ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا، ثم أجال بصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلَّت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم اللّه حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، فقال له عطية العوفي: كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فُرّق بين

رؤوسهم وأبدانهم وأُوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟!، فقال جابر: إني سمعت حبيبي رسول اللهﷺ يقول: من أحب قوماً كان معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسينعليه السلام وأصحابه.

وفي خبر آخر قال عطاء: كنت مع جابر بن عبد اللّه يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية إغتسل في شريعتها ولبس قميصاً طاهراً كان معه ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب يا عطاء؟، قلت: معي سعد، فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشى حافياً ثم لم يخط خطوة إلا ذكر اللّه حتى وقف عند قبر الحسينعليه السلام فقال: ألمسنيه فألمسته، فكبر ثلاثاً ثم خر مغشياً عليه فلما آفاق قال: يا حسين ثلاثاً... الخ.

4 ـ عيال محمدﷺ على باب مدينته:

بعد أن أقام علي بن الحسينعليه السلام مع ذرية ونساء آل محمدﷺ في كربلاء ثلاثة أيام إنطلقت هذه القافلة المقدسة راجعة إلى المدينة فلما قربوا من المدينة نزل علي بن الحسينعليه السلام فحط الرحال وضرب الفسطاط وأنزل النساء، وقال لبشير بن حذلم وقد كان معه: يا بشير، رحم اللّه أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه، فقال بشير: بلى يا بن رسول اللّهﷺ إني لشاعر، فقالعليه السلام: أدخل المدينة وانعِ أبا عبد اللّهعليه السلام.

ركب بشير فرسه وركض حتى دخل المدينة فلما بلغ مسجد النبيﷺ رفع صوته بالبكاء وأنشأ يقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرَّج ... والرأس منه على القناة يُدار

ثم قال: هذا علي بن الحسينعليه السلام مع عماته وأخواته قد حلُّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرِّفكم مكانه.

قال بشير يصف ما حدث بعد قوله هذا، قال: فما بقيت في المدينة مخدَّرة ولا محجَّبة إلا برزن من خدورهن، مكشوفة شعورهن، مخمشة

وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، ثم قال: فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرَّ على المسلمين منه، وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا	وأمرضني ناع نعاه فأوجعا
فعينيَّ جودا بالدموع واسكبا	وجودا بدمع بعد دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا	فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
على ابن نبي اللّه وابن وصيّه	وإن كان عنّا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جدَّدت حزننا بأبي عبد اللَّه عليه السلام وخدشت منا قروحاً لما تندمل، فمن أنت رحمك اللَّه، فقلت أنا بشير بن حذلم، وجَّهني مولاي علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد اللَّه عليه السلام ونسائه، قال بشير: فتركوني مكاني وبادروا.

وكانت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ما زالت حيَّة فدخلت عليها إحدى النساء صارخة تصرخ فقالت: قتل الحسين عليه السلام، فقالت أم سلمة (رضي): فعلوها، ملأ اللَّه قبورهم ناراً.

5 ـ إجتماع زين العابدين مع أهل المدينة وخطبته عليه السلام فيهم:

بعد أن أدى الناعي وظيفته وأخبر أهل المدينة بقدوم عيال محمد صلى الله عليه وآله نساء وأرامل وأيتام قد فقدوا سيدهم أبا عبد اللَّه الحسين عليه السلام وليس معهم من الرجال إلا علي بن الحسين عليه السلام المحزون المكروب، وما سمع أهل المدينة هذا الخبر الذي نزل عليهم نزول الصاعقة حتى بادروا إلى لقاء آل محمد صلى الله عليه وآله، قال بشير بن حذلم يصف هذا اللقاء:

ضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجواري والنساء، والناس من كل

ناحية يعزونه فضجَّت تلك البقعة ضجَّة شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فقال عليه السلام:

الحمد للّه رب العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالك يوم الدين، بارىء الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العُلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاضحة الكاظّة الفادحة الجائحة.

أيها الناس إن اللّه ـ وله الحمد ـ ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد اللّه وعترته وسُبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزيَّة التي لا مثلها رزيَّة.

أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله، أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام.

أيها الناس أصبحنا مشرَّدين مذودين شاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إن هذا إلا اختلاق.

واللّه لو أن النبيﷺ تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإنا للّه وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظَّها وأفظَّها وأمرَّها وأفدحها، فعند اللّه نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا إنه عزيز ذو انتقام.

6 ـ قصيدة أم كلثوم:

ونادت أم كلثوم:

مـديـنــة جـدنــا لا تــقـبـلـيـنــا فـبـالـحـسـرات والأحـزان جـيـنـا
ألا فـاخـبـر رسـول الـلّـه عـنّـا بـأنـا قـد فـجـعـنـا فـي أبـيـنـا
وأن رجـالـنـا بـالـطـف صـرعـى بـلا رؤوس وقـد ذبـحـوا الـبـنـيـنـا
وأخـبـر جـدَّنـا أنـا أُسـرنـا وبـعـد الأسـر يـا جـدُّ سـبـيـنـا
وقـد ذبـحـوا الـحـسـيـن ولـم يـراعـوا جـنـابـك يـا رسـول الـلّـه فـيـنـا
أفـاطـمُ لـو نـظـرت إلـى الـسـبـايـا بـنـاتـك فـي الـبـلاد مـشـتّـتـيـنـا
أفـاطـمُ لـو نـظـرتِ إلـى الـحـيـارى ولـو أبـصـرتِ زيـن الـعـابـديـنـا
وقـل يـا عـم يـا حـسـن الـمـزكـى عـيـال أخـيـك أضـحـوا ضـائـعـيـنـا
ولـو عـايـنـت يـا مـولاي سـاقـوا حـريـمـاً لا يـجـدن لـهـم مـعـيـنـا
عـلـى مـتـن الـسـيـاق بـلا وطـاء وشـاهـدت الـعـيـال مـكـشـفـيـنـا
مـديـنـة جـدنـا لا تـقـبـلـيـنـا فـبـالـحـسـرات والاحـزان جـيـنـا
خـرجـنـا مـنـك بـالأهـلـيـن جـمـعـاً رجـعـنـا لا رجـال ولا بـنـيـنـا
وكـنـا فـي أمـان الـلّـه جـهـراً رجـعـنـا بـالـقـطـيـعـة خـائـفـيـنـا
فـنـحـن الـضـائـعـات بـلا كـفـيـل ونـحـن الـنـائـحـات عـلـى أخـيـنـا
ونـحـن الـسـائـرات عـلـى الـمـطـايـا نُـشـال عـلـى جـمـال الـمـبـغـضـيـنـا
ألا يـا جـدنـا قـتـلـوا حـسـيـنـا ولـم يـراعـوا جـنـاب الـلّـه فـيـنـا
ألا يـا جـدنـا بـلـغـت عـدانـا مـنـاهـا واشـتـفـى الاعـداء فـيـنـا
لـقـد هـتـكـوا الـنـسـاء وحـمَّـلـوهـا عـلـى الأقـتـاب قـهـراً أجـمـعـيـنـا
وزيـنـب أخـرجـوهـا مـن خـبـاهـا وفـاطـمُ والـهٌ تـبـدي الأنـيـنـا
وزيـن الـعـابـديـن بـقَـيـد ذُل وراموا قـتـلـه أهـل الـخـؤونـا[1]

7 ـ دخول السبايا إلى المدينة:

ثم ما لبث أن دخل علي بن الحسين عليه السلام مع نساء آل محمد إلى داخل المدينة حتى وصلوا إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأخذت زينب عليها السلام بعضادتي باب المسجد وتوجهت إلى جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحت: يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام.

(١) هذه القصيدة اختصرناها ومن أرادها بطولها راجع بحار الأنوار ج٤٥ ص١٩٧.

وصاحت سكينة فقالت: يا جداه إليك المشتكى مما جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفا وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين!!

وهكذا عاد موكب النور خافتاً حزيناً منكسفاً بعد أن خرج متلألئاً وهاجاً بنور أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ولله در القائل الباكي:

مررت على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حلّت
فلا يبعد اللّه الديار وأهلها	وإن أصبحت منهم بزعمي تخلّت

وبذلك نختم الكلام عما جرى على نساء وذرية آل محمد صلى الله عليه وآله.

الفصل الثالث

حزن الكائنات

الباب الأول

أحزان الحق وأهله

1 ـ أحوال الكائنات:

إقشعرت أظلة العرش لدم الحسين عليه السلام وبكاه كل شيء من دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعاً عليه، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليه السلام حتى ذرفت دموعها.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: إن أبا عبد اللّه الحسين عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب عليهن والجنة والنار وما خلق ربنا وما يُرى وما لا يُرى إلا ثلاثة أشياء هي البصرة ودمشق وآل عثمان بن عفان.

وجاء في زيارة الحسين عليه السلام المشهورة التي علَّمها الإمام الصادق عليه السلام لجماعة من خاصّة أصحابه: . . . أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرَّت له أظلَّة العرش وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يُرى وما لا يُرى.

وجاء في زيارة أخرى: . . . وأقيمت عليك المآتم في أعلا عليين تلطم عليك فيها الحور العين وتبكيك السماوات وسكانها، والجبال وخزَّانها، والسحاب وأقطارها، والأرض وقيعانها، والبحار وحيتانها.

ومكة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحطيم وزمزم، والمنبر المعظَّم، والنجوم الطوالع، والبروق اللوامع، والرعود القعاقع، والرياح الزعازع، والافلاك الروافع. . .

وجاء في زيارة ثالثة ذكرها الإمام الصادقعليه السلام قال: . . . بأبي أنت وأمي يا سيدي بكيتك يا خيرة الله وابن خيرته، وحقٌ لي أن أبكيك وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذري إن لم أبكك وقد بكاك حبيب ربي وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم وبكاك مَن دون سدرة المنتهى إلى الثرى جزعاً عليك.

ولا بأس بتفصيل هذه الأحداث.

2 ـ غضب اللَّه ونداؤه:

لقد غضب اللَّه على أمة قتلت أو ظلمت أو خذلت حسيناًعليه السلام، ولما ضُرب الحسين بن عليعليه السلام بالسيف ثم ابتُدر ليُقطع رأسه نادى مناد من قبل رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيتها الأمة المتحيّرة الظالمة بعد نبيها لا وفقكم اللَّه لأضحى ولا فطر.

ولقد قال اللَّه للملائكة بعد أن ضجَّت عند مقتل الحسينعليه السلام: قرّوا ملائكتي فوعزّتي وجلالي لانتقمن منهم ولو بعد حين، ثم كشف عن الائمة من ولد الحسينعليه السلام للملائكة، فسُرَّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال اللَّه عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم.

وفي خبر آخر أن في يوم قتل الحسينعليه السلام ماجت السماوات بأهلها وتزعزعت الأرض من أقطارها ومادت الجبال وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها غضباً لمحمدصلى الله عليه وآله وذريته واستعظاماً لما يُنتهك من حرمته، ولم يبق شيء إلا استأذن اللَّه في نصرة آل محمدصلى الله عليه وآله فيوحي اللَّه تعالى إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن: إني أنا اللَّه الملك القادر الذي لا يفوته هاربٍ ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر على الانتصار والإنتقام، وعزتي وجلالي لأعذّبن من وتر رسولي وصفيي وانتهك حرمته وقتل عترته

ونبذ عهده وظلم أهله عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين.

فعند ذلك يضجُّ كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم العترة واستحل حرمة محمد ﷺ.

3 ـ حزن الملائكة فرقة المنصور:

أما ملائكة السماء فإنهم حزنوا وبكوا على الحسين عليه السلام حتى قبيل استشهاده عليه السلام ففي الخبر أنه لما أتت على الحسين عليه السلام سنة كاملة من مولده هبط على رسول اثني عشر ملكاً... محمرَّة وجوههم، باكية عيونهم، قد نشروا أجنحتهم... الحديث.

وهكذا لا زالت الملائكة تبكي على الحسين عليه السلام وتنزل على رسول اللّه ﷺ وتعزِّيه بهذه المصيبةِ المهولة التي ستقع بولده وثمرة فؤاده ومهجته الحسين عليه السلام، وفي الخبر الذي رواه ابن قولويه في كامل الزيارات عن سليمان قال: وهل بقي في السماوات ملك لم ينزل إلى رسول اللّه ﷺ يعزيه بولده الحسين عليه السلام ويخبره بثواب اللّه إياه ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها مذبوحاً مقتولاً جريحاً طريحاً مخذولاً... الحديث.

أقول: ليس من عادة علمائنا ولا سيما ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات أن ينقل كلمات غير الأئمة عليهم السلام، فلا يبعد أن هذا الخبر من كلام الإمام عليه السلام وأن سليمان أضمر بقيَّة السند.

عندما علمت الملائكة بخروج الحسين عليه السلام إلى القتال هبطت فرقة منهم عددهم أربعة آلاف ورئيسهم ملك يقال له المنصور، هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام ونصرته على أعدائه، ولكن اللّه تعالى غالب على أمره لم يأذن لهم في القتال مع الحسين عليه السلام، فاستمروا يراجعون اللّه تعالى في الاستئذان حتى أذن لهم، فهبطوا إلى الأرض فإذا بهم يرون الحسين عليه السلام مقتولاً مذبوحاً، فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا بالإنحدار وأذنت لنا في نصرة الحسين عليه السلام، فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى اللّه تعالى إليهم أن: الزموا قبَّته حتى ترونه وقد خرج فانصروه وأبكوا عليه وعلى ما

فاتكم من نصرته وإنكم خُصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً وهم عند قبره يبكون شعثاً غبراً إلى يوم القيامة.

وإن هؤلاء الملائكة ليبكون الحسين عليه السلام بكاء يبكي له كل من في الهواء والسماء من الملائكة، يضجون على الحسين عليه السلام عند قبره يبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشية اللّه مشفقون ومن عذابه حذرون، لا تغيِّرهم الأيام ولا يهرمون، وفي نواحي الحير يشهقون، وسيِّدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلَّبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفأ.

وما من صباح إلا وعلى قبر الحسين عليه السلام هاتف من الملائكة ينادي: يا طالب الخير أقبل إلى خالصة اللّه ترحل بالكرامة وتأمن الندامة، فيسمع هذا النداء أهل المشرق وأهل المغرب إلا الثقلين، ولا يبقى في الأرض ملك من الحفظة إلا عطف على قبر الحسين عليه السلام عند رقاد العباد حتى يسبِّح اللّه عنده ويسأل اللّه الرضا عنه، ولا يبقى ملك في الهواء يسمع الصوت إلا أجاب بالتقديس للّه تعالى فتشتد أصوات الملائكة وأهل السماء الدنيا حتى تبلغ أهل السماء السابعة فيسمع أصواتهم النبيون فيترحمون ويصلّون على الحسين عليه السلام ويدعون لمن زاره.

وسيستمر هؤلاء الملائكة بهذا البكاء عند قبر الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، يصلّون على الحسين عليه السلام ويحرسون قبره ولا يأتيه زائر إلا استقبلوه ودعوا له، ولا يمرض أحد من زوّاره إلا عادوه، ولا رجع منهم أحد إلا ودَّعوه ولا يموت أحد منهم إلا شيَّعوا جنازته بالاستغفار له والترحم عليه.

4 ـ حزن كافة الملائكة:

ونزل ملك البحار من ملائكة الفردوس فنزل إلى البحر فنشر أجنحته عليها ثم صاح صيحة فقال: يا أهل البحار البسوا أثواب الحزن فإن فرخ رسول اللّه صلى الله عليه وآله مذبوح، ثم حمل من تربته في أجنحته إلى السماوات فلم يبق ملك فيها إلا شمّها وصار عنده لها أثر ولعن قتلته وأشياعهم وأتباعهم، ولقد ضجَّت الملائكة إلى اللّه تعالى بالبكاء والنحيب وقالت: يا رب يُفعل

هذا بالحسين عليه السلام صفيك وابن نبيك، الهنا وسيدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقه، ربنا ائذن لنا في هلاك الخلق حتى نجدَّهم من جديد الأرض بما استحلوا حرمتك وقتلوا صفوتك.

وعندما عرجت روح الحسين عليه السلام لم تمر في سماء إلا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة.

ولم يبق في السماوات ملك إلا نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يعزيه بولده الحسين عليه السلام ويخبره بثواب اللّه ويحمل إليه تربته.

وأقيمت المآتم في السماوات تحضرها الملائكة وتلطم الحور العين وبكى جميع ملائكة السماوات والأرضين ورضوان ومالك وحملة العرش، واقشعرَّت أظلَّة العرش، وبكت كل الملائكة أربعين صباحاً، ولا يزال كل واحد من الملائكة يسأل اللّه تعالى في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج منهم يهبط من السماء وفوج منهم يصعد حتى صار قبر الحسين عليه السلام وهو عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسّراً (أي ما يقارب تسعة أمتار في تسعة أمتار) معراجاً للملائكة إلى السماء وروضة من رياض الجنة.

5 ـ حزن الأنبياء عليهم السلام:

أما أنبياء اللّه فقد حزنوا وبكوا على الحسين عليه السلام أثناء حياتهم وقبل مقتله كما ورد في آدم عليه السلام أنه لعن قاتل الحسين عليه السلام وكان إذا ذكر الحسين عليه السلام ينكسر قلبه ويخشع وتسيل دموعه ويبكي، وكان يبكيه مع جبرئيل عليه السلام بكاء الثكلى.

وورد أن نوحاً عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وظالمه وخاذله.

وورد أن إبراهيم عليه السلام جزع على الحسين عليه السلام وبكى حتى توجع قلبه ولعن يزيداً لعناً كثيراً وأمر ولده بلعنه.

وورد أن موسى بن عمران عليه السلام قد بكى ووصل إلى كربلاء ولعن يزيداً ودعا عليه وأمَّن على دعائه وصيه يوشع بن نون عليه السلام وأمر أمته بلعنه.

وداود النبي عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وأمر بني إسرائيل بلعنه.

وسليمان بن داود عليه السلام هبط في أرض كربلاء فلعن قاتل الحسين عليه السلام ودعا عليه وأمَّن على دعائه الانس والجن.

وإسماعيل بن حزقيل صادق الوعد عليه السلام ظلمه قومه حتى سلخوا فروة رأسه ووجهه فتأسَّى بالحسين عليه السلام وطلب الكرَّة معه يوم الكرَّة.

وكان زكريا عليه السلام إذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، وتدمع عينه، وتثور زفرته، وعندما أوحى اللّٰه إليه بما يحدث على الحسين عليه السلام لزم المسجد ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه، وأقبل يبكي وينتحب ويرثي الحسين عليه السلام.

وعيسى ابن مريم عليه السلام مرَّ على كربلاء ومعه الحواريون فشمَّ بعر الظباء التي كانت مجتمعة تبكي على الحسين عليه السلام ثم جلس يبكي وبكى معه الحواريون ولعن يزيداً ودعا عليه وأمَّن الحواريون.

بل ورد في الخبر أنه ما من نبي إلا زار كربلاء ووقف عليها وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يُدفن القمر الأزهر.

أما بعد مقتل الحسين عليه السلام وهم في السماء عند ربهم فإنه لم يبق نبي في السماوات إلا ويسأل اللّٰه تعالى أن يأذن له في زيارة الحسين عليه السلام ففوج من الأنبياء ينزل وفوج منهم يصعد.

الباب الثاني

حزن السماوات والأرضين وما بينهن

1 ـ بكاء السماء:

لقد بكى على الحسين عليه السلام السماء وما فيها من نجوم وشمس وقمر، أما السماء فقد بكت على الحسين عليه السلام وإنها لم تبك على أحدٍ أبداً منذ أن بكت على الشهيد النبي يحيى بن زكريا، وإنها لم تبك إلا على هذين الشهدين الحسين الشهيد ويحيى الشهيد.

وكان بكاؤها أربعين يوماً تطلع حمراء وتغرب حمراء وأمطرت تراباً أحمر كأنه دم، بل قيل: أمطرت السماء دماً فامتلأت الحباب والجرار والأواني دماً، وبقيت آثار هذا الدم على البيوت والجدران والحيطان مدة من الزمن.

وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودت اسوداداً عظيماً فلم يُر نور الشمس في النهار، وبدت الكواكب نصف النهار وأخذ بعضها يضرب بعضاً حتى ظنَّ الناس أن القيامة قامت.

وبقيت السماء حمراء سنة كاملة، بل قيل بقيت كذلك سنة وتسعة أشهر.

2 ـ دفع تشكيك:

قد يتخيَّل بعض من لا يعلمون أن بكاء السماء واحمرارها عند قتل الحسينعليه السلام هي أخبار مبالغ فيها يرويها محبوا الحسينعليه السلام وبالتالي فهي أخبار غير ثابتة أو غير دقيقة.

والجواب أن هذا الخيال إنما يعرض على أذهان من لا خبرة لهم في شؤون التأريخ ومعلوماته وإلا فإن أدنى مراجعة في ذلك تكشف عن صحة هذه الأخبار واستفاضتها حتى رواها علماء أهل السنة قبل رواة الشيعة ولتوضيح الحال نقول أمرين.

الأول: ان هذه الأخبار نقلت عن أئمتناعليهم السلام في كتب الرواية المعتمدة وبالأسانيد الصحيحة المعتبرة والكثيرة بحيث تأخذ بأعناق الناظر فيها إلى الجزم بصحتها، منها الخبر الصحيح الذي رواه أبو بصير عن الصادقعليه السلام قال: إن الحسينعليه السلام بكى لقتله السماء والأرض واحمرَّتا، ولم تبكيا على أحد قط إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن عليعليهما السلام.

ومنها الخبر الصحيح الذي رواه داود بن فرقد عن الصادقعليه السلام قال: احمرَّت السماء حين قتل الحسينعليه السلام سنة وعلى يحيى بن زكريا وحمرتها بكاؤها.

ومنها الخبر الموثق الذي رواه عبد الخالق بن عبد ربه عن الصادقعليه السلام قال: . . . ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً، قال: قلت: ما بكاؤها؟ قال: كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء.

ومنها الخبر الصحيح الذي رواه الريان بن شبيب عن الإمام الرضاعليه السلام قال في الحديث: . . . لما قُتِل جدِّي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

وغير هذه الأخبار كثيرة يطول المقام بذكرها.

الثاني: إن هذه الأخبار رواها علماء العامة من أهل السنة ومؤرخوهم

المعتمد عليهم عندهم، وإليك شطراً من ذلك.

١ ـ عن الزهري قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لم يبق ببيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط.

٢ ـ عن أبي نعيم في دلائل النبوة، وعن النسوي في المعرفة قالت نصرة الأزدية: لما قتل الحسين عليه السلام امطرت السماء دماً، وحُبابنا وجرارنا صارت مملوءة دماً، وقال قرظة بن عبيدالله: مطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء فنظرتُ فإذا هو دم، وذهبت الإبل إلى الوادي لتشرب فإذا هو دم، وإذا هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام.

٣ ـ عن صحيح مسلم وتفسير الثعلبي عن السدي قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت (يعني السماء والأرض) وبكاؤها حمرتها.

٤ ـ عن ينابيع المودة عن محمد بنْ سيرين قال: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قُتِل الحسين عليه السلام.

٥ ـ عن ينابيع المودة عن سليم القاضي قال: مطرنا دماً أيام قتل الحسين عليه السلام.

٦ ـ عن الطبراني في الكبير قال أبو قبيل: لما قتل الحسين عليه السلام انكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار.

٧ ـ وعن عثمان ابن أبي شيبة أن السماء بكت سبعة أيام فصارت حمراء، وروى مثله في تاريخ الخلفاء.

٨ ـ عن ابن الجوزي روى عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام وظهرت الحمرة في السماء.

٩ ـ بالجملة فقد رويت هذه الأخبار في كثير من كتب أهل السنة منها ١. تاريخ ابن عساكر، ٢. صحيح مسلم، ٣. الصواعق المحرقة، ٤. الخصائص الكبرى، ٥. الطبراني، ٦. الخطط للمقريزي، ٧، تذكرة الخواص، ٨. مقتل الخوارزمي، ٩. ينابيع المودة، ١٠. تفسير الثعلبي، ١١. الإتحاف بحب الأشراف. ١٢. تهذيب التهذيب، ١٣. تاريخ الخلفاء،

١٤. الدلائل لأبي نعيم، ١٥. الكواكب الدرية، ١٦. مجمع الزوائد، وهذا ما عثرنا عليه على عجالة دون بحث ولا تتبع والحاصل أن هذه الأخبار هي من الصحة بمكان لا ينبغي للعاقل أن يشكك فيها، والله العالم.

3 ـ بكاء الأرض:

وبكت الأرض على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً وكان بكاؤها اسودادها وأنه لم يُرفع حجر إلا وجد تحته دم، حتى روى العامة عن الزهري أنه قال لم يبق في بيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط، وقال رجل من أهل بيت المقدس: والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن علي عليه السلام، فقيل له: كيف ذاك؟، قال: ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً إلا ورأينا تحتها دماً عبيطاً يغلي، واحمرت الحيطان كالعلق، ومطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل، يقول:

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

معاذ الله لا نلتم يقيناً ... شفاعة أحمد وأبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخير الشيب طراً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثة أيام ثم تجلت عنها، وانشبكت النجوم، فلما كان من الغد ارجفنا بقتله، فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام.

أقول: وفي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال عن الليلة التي قتل فيها الحسين عليه السلام: لم يُرفع عن وجه الأرض حجر إلا وُجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وأن هذا بعينه حدث ليلة مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وليلة قتل هارون أخو موسى عليهما السلام، وليلة قتل فيها يوشع بن نون عليه السلام، وليلة رفع عيسى ابن مريم عليه السلام إلى السماء.

وتقطعت الجبال، وتناثرت البحار وتفجرت، وما من سحابة تمر وترعد وتبرق إلا لعنت قاتله.

4 ـ بكاء الجن:

وبكى الجن وناحوا على الحسين عليه السلام وذكروا فيه أبياتاً وأشعاراً كثيرة من أهمها:

فإن قتيل الطف من آل هاشم	أذل رقاباً من قريش فذلَّت
حبيب رسول اللّه لم يك فاحشاً	أبانت مصيبتك الأنوف وجلَّت

ولن أطيل على القارىء بذكر الأشعار التي نقلت عن الجن.

5 ـ بكاء الطير والوحش والحوت والجن:

بكى مؤمنوا الانس والجن وحزنت الوحوش حتى قال عليه السلام: حتى لكأني أنظر إليها مادة أعناقها إلى قبر الحسين عليه السلام تبكيه وترثيه حتى الصباح، وبكى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر حتى ذرفت دموعها.

6 ـ حزن البوم وهيامها:

وحزنت الطيور وكان أشدها تأثراً طائر البوم فإنه قبل مقتل الحسين عليه السلام كان طيراً أليفاً يظهر نهاراً يأوي العمران والمنازل والقصور والدور وكانت تقع أمام الناس فيرمون لها بالطعام فتأكل وتسقى وترجع إلى مكانها، فلما قُتل الحسين عليه السلام قالت البوم: بئس الأمة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيكم ولا آمنكم على نفسي، فخرجت إلى الخراب والجبال والبراري وابتعدت عن الناس وتركت العمران ولا تكاد تظهر بالنهار، ولا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنَّها الليل، فإذا جاء الليل تدلَّهت وترنمت ورنت على الحسين عليه السلام حتى تصبح.

7 ـ والحمام الراعبي:

وأما الحمام الراعبي فلا يزال يدعو على قتلة الحسين عليه السلام ويلعنهم

ولذلك ورد الأمر عن الائمة عليهم السلام باقتنائه في المنازل.

8 ـ والغراب:

والغراب كان له شأنه إذ يروى عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه ثم تمرَّغ ثم طار فوقع بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله على جدار فاطمة بنت الحسين عليها السلام ابن علي عليه السلام ـ وهي الصغرى ـ فرفعت رأسها فنظرت إليه فبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من تنعاه ويلك يا غراب
قال الإمام قلت من قال الموفق للصواب
إن الحسين بكربلا بين الأسنة والحراب
فابكي الحسين بعبرة ترجي الإله مع الثواب
قلت الحسين؟ فقال لي حقاً لقد سكن التراب
ثم استقل به الجناح فلم يطق ردَّ الجواب
فبكيت مما حلَّ بي بعد الدعاء المستجاب

9 ـ وحصان الحسين عليه السلام:

ولا ننسى هنا أن نذكر أن حصان الحسين عليه السلام كان له شأن في الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام فقد وقف على مصرعه ولطَّخ عرفه وناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل ويحمحم باكياً.

10 ـ بكاء جهنم:

حتى جهنم التي هي دار غضب اللّه تعالى لما خرجت نفس الحسين عليه السلام عند قتله زفرت زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها، ولو يُؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته ولكنها مأمورة مصفودة ومع ذلك فلقد عتت على خُزَّانها غير مرة حتى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، ولولا من على الأرض من حجج اللّه لنقضت الأرض وأكفأت بمن عليها، وإنها لتبكي الحسين عليه السلام وتندبه وإنها لتتلظى على قاتله، وعندما خرجت نفس

عبيد اللّه ابن زياد ونفس يزيد بن معاوية شهقت جهنم شهقة لولا أن اللّه حبسها بخزَّانها لاحرقت من على ظهر الأرض من فورها.

11 ـ سرور الشيطان:

الوحيد الذي فرح بعد دمشق والبصرة وآل عثمان بن عفان وهو رئيسهم المطاع الشيطان الرجيم، فإنه لعنه اللّه طار فرحاً في يوم عاشوراء وجال الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول لهم: يا معشر الشياطين، قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغوائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم ولا ينجو منهم ناج.

الباب الثالث

حزن أهل البيت عليهم السلام

1 ـ حزن رسول الله صلى الله عليه وآله:

رسول اللّه صلى الله عليه وآله هو المصاب الأول والمفجوع الأعظم بمصيبة استشهاد فلذة كبده وريحانته ومهجة قلبه، ولطالما بكى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وطال بكاؤه على الحسين عليه السلام حتى قبل استشهاده، ولأهمية هذا الأمر سنفصل حزن رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى قسمين: الأول: حزنه صلى الله عليه وآله قبل تحقق الشهادة، الثاني حزنه صلى الله عليه وآله بعد الاستشهاد.

الأول: حزن الرسول صلى الله عليه وآله قبل الشهادة:

دلّت الأخبار المستفيضة والمعتبرة والمعتمد عليها أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله يبشّر عن اللّه تعالى بمولود تلده فاطمة عليها السلام ثم تقتله أمّته من بعده، وكان من الطبيعي أن يكون هذا الخبر الإلهي الحتمي محزناً ومفجعاً لرسول اللّه صلى الله عليه وآله كما كان محزناً ومفجعاً لفاطمة الزهراء عليها السلام، بل في بعض الأخبار أن الرسول صلى الله عليه وآله وبضعته فاطمة عليها السلام قالا: لا حاجة لنا في مولود تقتله الأمة، وأن جبرئيل عندما سمع هذا الجواب عرج به إلى السماء، ثم هبط منها مكرّراً ومعيداً بقاء هذا القضاء الإلهي المفجع، وكرَّر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام ما قالاه ثانية، فعرج جبرئيل عليه السلام مرَّة ثانية ثم هبط من السماء وأعاد للمرَّة الثالثة بيان بقاء القضاء الإلهي المحتوم مع

زيادة في أعلى درجات الأهمية، وهي أن اللّه تعالى قد جعل الإمامة الإلهية إلى يوم القيامة من ذريَّة هذا المولود المبارك.

مع هذه الزيادة المقدَّسة لم يكن بد من رضا الرسول ﷺ وبضعته فاطمة عليها السلام بولادة الحسين عليه السلام قبولاً بهذه الفضيلة وإدراكاً لاستحالة بقاء الدنيا دون أئمة، فرضيا صلوات اللّه عليهما بولادة الحسين عليه السلام ثم استشهاده على يد أمَّة تدَّعي أنها أمَّة جدِّه محمد ﷺ.

ومن هذا الحين كان رسول اللّه ﷺ كثيراً ما يبكي ويطول بكاؤه على مصيبة الحسين عليه السلام، ولقد استفاضت هذه الأخبار حتى رواها علماء أهل السنَّة، وإليك شطراً من هذه الأخبار.

١ ـ ما عن كفاية الطالب للكنجي بسنده عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي النبي ﷺ في بيتي فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام، وناوله كفاً من التراب، فبكى رسول اللّه ﷺ وضمَّه إلى صدره، وشمَّ رسول اللّه ﷺ التراب وقال: ريح كرب وبلاء، ثم قال: وديعة عندك هذه التربة يا أم سلمة إذا تحوَّلت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل... الحديث.

ومثله الخبر الذي رواه الشيعة والسنة كأحمد بن حنبل في مسنده والطبراني في الكبير وابن ماجة وأبي نعيم وابن عساكر وأنس بن مالك وابن سعد وغيرهم رووا عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت نشيج النبي ﷺ فاطَّلعت فإذا الحسين عليه السلام في حجره يمسح رأسه وهو يبكي... الحديث كسابقه.

٢ ـ ما عن أعلام النبوة للماوردي الشافعي عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول اللّه ﷺ وهو يُوحَى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد، إن أمَّتك ستُفتَتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدَّ يده فأتاه بقربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يُقْتَل ابنك، اسمها الطف، فلما ذهب جبرئيل عليه السلام خرج

رسول اللّهﷺ إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعليعليه السلام وحذيفة وعمَّار وأبو ذر وهو يبكي... الحديث.

٣ ـ ما رووه عن أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس عمّ النبي في حديث الرؤية التي رأتها في منامها أنها دخلت يوماً على النبيﷺ وهي تحمل الحسينعليه السلام فوضعته في حِجره، ثم حانت منها التفاتة فإذا عينا رسول اللّهﷺ تهريقان بالدموع، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللّهﷺ، ما لَك؟، قال: أتاني جبرئيلعليه السلام فأخبرني أن طائفة من أمتي ستقتل ابني هذا.

٤ ـ ما عن ينابيع المودة فيما يرويه عن ذخائر العقبى عن أسماء بنت عميس أن النبيﷺ أخذ الحسينعليه السلام في حِجره وبكى، فقالت أسماء: فداك أمي وأبي، مما تبكي؟، قالﷺ: يا أسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنالهم اللّه شفاعتي... الحديث.

٥ ـ وفي أخبار أخرى أن النبيﷺ كان إذا دخل عليه الحسينعليه السلام يقَع عليه فيقبِّله ويبكي، فيقول له الحسينعليه السلام: يا أبة، لمَ تبكي، فيقول رسول اللّهﷺ: يا بني أقَبِّل مواضع السيوف منك وأبكي.

٦ ـ ولما اشتد برسول اللّهﷺ مرضه الذي مات فيه ضمَّ الحسينعليه السلام إلى صدره ويقول: مالي وليزيد، لا بارك اللّه فيه، اللّهم العن يزيد، ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبِّل الحسينعليه السلام وعيناه تذرفان ويقول: أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي اللّه عز وجل.

الثاني: حزن الرسولﷺ بعد الشهادة.

١ ـ جاء في إحدى الزيارات يخاطب الحسينعليه السلام: ... لقد أصبح رسول اللّهﷺ من أجلك موتورا... ثم يقول: ... وقام ناعيك عند قبر جدّك الرسولﷺ فنعاك إليه بالدمع الهطول قائلاً: يا رسول اللّه قُتِل سبطك وفتاك، واستُبيح أهلك وحماك، وسبي بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وبنيك، ففزع الرسولﷺ الرداء، وعزَّاه بك الملائكة والأنبياء...

وفي رواية أخرى: . . . فانزعج الرسولﷺ وبكى قلبه المهول. . .

٢ ـ قدمنا في خبر أم سلمة أنها رأت رسول اللّهﷺ في منامها وهو شعث مذعور، فسألته عن ذلك فقال: قتل ابني الحسينعليه السلام وأهل بيته فدفنته، والساعة فرغت من دفنهم.

وفي خبر آخر أنها رأته شاحباً كئيباً.

وفي خبر ثالث أنها رأته مغبراً صلوات اللّه عليه وآله.

٣ ـ كما تقدم أن ابن عباس رأى رسول اللّهﷺ في نحو هذا المشهد الكئيب.

٤ ـ في الخبر المعتبر عن معاوية بن وهب عن الصادقعليه السلام قال في حديث: . . ما أصيب ولد فاطمةعليها السلام ولا يصابون بمثل الحسينعليه السلام ولقد قُتِلعليه السلام في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا للّه وصبروا في جنب اللّه فجزاهم اللّه أحسن جزاء الصابرين، إنه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول اللّهﷺ ومعه الحسينعليه السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول يا ربِّ سل أمتي فيم قتلوا ابني.

2 ـ حزن علي بن أبي طالبعليه السلام:

وكان عليعليه السلام كرسول اللّهﷺ وفاطمةعليها السلام قد علم أن اللّه تعالى شأنه قضت حكمته أن ولده ونور عينه وفلذة كبده وخلاصة عمره ونور قلبه سيُقتل في أرض الطف غريباً مكروباً، فكان كثيراً ما يذكره ويبكيه، وربما اجتمع مع رسول اللّهﷺ يبكيانه معاً، وإليك شطراً مما وَصلنا من هذه الأخبار.

١ ـ في الخبر المعتبر عن الصادقعليه السلام قال: لما أن هبط جبرئيلعليه السلام على رسول اللّهﷺ بقتل الحسينعليه السلام أخذ بيد عليعليه السلام فخلا به مليّاً من النهار فغلبتهما العبرة، فلم يتفرقا حتى هبط عليهما جبرئيل ـ أو قال: رسول رب العالمين ـ فقال لهما: ربكما يقرؤكما السلام ويقول: قد عزمتُ عليكما لما صبرتما، قال: فصبرا.

٢ ـ ما عن الأصبغ بن نباتة قال: أتينا مع علي عليه السلام بكربلاء فنزل فيه وبكى، وقال: هٰهنا مناخ ركابهم، وهٰهنا موضع رحالهم، وهٰهنا مهراق دمائهم، فئة من آل محمد صلى الله عليه وآله يُقتَلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

٣ ـ عن الشعبي قال: مرَّ علي عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفين فبكى حتى بلَّ الأرض من دموعه، فقال عليه السلام: دخلتُ على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقلتُ: يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، بأبي وأمي، ما يبكيك؟، قال صلى الله عليه وآله: كان عندي جبرئيل عليه السلام آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين عليه السلام يُقتل بشاطىء الفرات بموضع يُقال لها: كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضة من ترابه وشمَّمني إياه، فلم أملك عيني أن فاضتا...

٤ ـ وفي الخبر عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى وهي بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟، قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال: فبكي كثيراً حتى اخضلَّت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معاً. وهو يقول: آه آه، مالي ولآل أبي سفيان، صبراً يا أبا عبداللّه، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم... ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً...

٥ ـ وفي خبر آخر عن تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي الحنفي روى أن علياً عليه السلام عندما وصل إلى كربلاء وقف وبكى وقال: بأبي أُغيلمة يُقتَلون هٰهنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل، ثم ازداد بكاؤه.

٦ ـ وفي بعض أول أيام صفين عندما أخذ جيش معاوية شريعة النهر ومنع الماء عن أهل العراق فقامِ فوارس العراق وفيهم الحسين عليه السلام حتى أخذوا الشريعة وطردوا أهل الشام فلما وصل الخبر إلى علي عليه السلام بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام؟!، فقال: ذكرتُ أنه سيُقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمحم

ويقول: الظليمة الظليمة لأمّة قتلت ابن بنت نبيِّها.

٧ - وورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين متمثلاً حال مقتله يقول: . . . واختلفت جنود الملائكة المقرَّبين تعزِّي أباك أمير المؤمنين عليه السلام وأقيمت عليك المآتم في أعلا عليين.

3 - حزن فاطمة عليها السلام:

لقد حزنت فاطمة عليها السلام على مقتل الحسين حتى قبل ولادته كما ورد في الأخبار المعتبرة، وحزنت فاطمة عليها السلام بعد مقتله وهي في السماء عند ربها، حزنت عليه أشد حزن حزنه أهل السماء، ووردت في ذلك أخبار كثيرة تذكر منها:

١ - ورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين عليه السلام: . . . . وفُجعت بك امك فاطمة الزهراء عليها السلام واختلفت جنود الملائكة المقربين.

٢ - روي أن سكينة بنت الحسين عليه السلام رأت في منامها وهي بدمشق كأن خمسة نُجُب من نور قد أقبلت وعلى كل نجيب شيخ والملائكة محدقة بهم ومعهم وصيف يمشي، قالت سكينة: فأقبل الوصيف إليَّ وقرب مني، وقال: يا سكينة إن جدَّك يسلِّم عليك، فقلت: وعلى رسول اللّه السلام يا رسول، من أنت؟ قال: وصيف من وصائف الجنة، فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاؤوا على النُجُب، قال: الأول آدم صفوة اللّه، والثاني إبراهيم خليل اللّه، والثالث موسى كليم اللّه، والرابع عيسى روح اللّه، فقلت: مَن هذا القابض على لحيته يسقط مرة ويقوم أخرى[1]، فقال: جدُّك رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقلت: وأين هم قاصدون؟ قال: إلى أبيك الحسين عليه السلام فأقبلتُ أسعى في طلبه لأعرِّفه ما صنع بنا الظالمون بعده.

فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هوادج من نور في كل هودج امرأة،

(١) أقول: هذا منزلة الحزين المهموم يقوم ويسقط من شدَّة الدهشة والحزن، وكذلك كانت فاطمة عليها السلام كما سيأتي.

فقلت: مَن هذه النسوة المقبلات؟ قال: الأولى حوَّاء أم البشر، والثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم ابنة عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد، فقلتُ: مَن الخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرة وتقوم أخرى، (ووصفتها في حديث آخر بأنها كانت عظيمة الخلقة ناشرة شعرها عليها ثياب سود) فقال: جدَّتك فاطمة بنت محمدﷺ أم أبيك، فقلتُ: واللَّه لأخبرنها ما صُنِع بنا، فلحقتها ووقفتُ بين يديها أبكي وأقول: يا أمتاه جحدوا واللَّه حقنا، يا أمتاه بدَّدوا واللَّه شملنا، يا أمتاه استباحوا واللَّه حريمنا، يا أمتاه قتلوا واللَّه الحسين أبانا، فقالت: كفّي صوتك يا سكينة فقد أحرقت كبدي وقطّعتِ نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسينؑ معي لا يفارقني حتى ألقى اللَّه به.

٣ ـ روى أبو بصير قال: كنتُ عند أبي عبد اللَّه الصادقؑ أحدِّثه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمَّه وقبَّله، وقال: حقَّر اللَّه من حقَّركم، ونتقم ممَّن وتركم، وخذل اللَّه من خذلكم، ولعن اللَّه من قتلكم، وكان اللَّه لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصِّديقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكىؑ، وقال: يا أبا بصير إذا نظرتُ إلى ولد الحسينؑ أتاني ما لا أملكه بما أُتِي إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمةؑ لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدُّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمةؑ، وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون اللَّه ويتضرَّعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس للَّه مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقلَّعت الجبال وزُلزلت الأرض بأهلها، قال أبو بصير: جُعِلتُ فداك، إن هذا الأمر عظيم، قالؑ: غيره أعظم منه ما لم

تسمعه، قال: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمةعليها السلام؟، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قامعليه السلام إلى المصلّى يدعو وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيتهعليه السلام فلما رأيته قد سكن سكنت.

٤ ـ وفي خبر آخر عن فاطمةعليها السلام: وإنها لتشهق شهقة فلا يبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها وما تسكن حتى يأتيها النبيصلى الله عليه وآله فيقول: يا بنيه قد أبكيت أهل السماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكُفِّي حتى يقدِّسوا فإن اللَّه بالغ أمره، وإنها لتنظر إلى من حضر منكم ـ أي إلى قبر الحسينعليه السلام ـ فتسأل اللَّه لهم من كل خير...

٥ ـ وفي خبر آخر عن الصادقعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمةعليها السلام قبّة من نور، ويُقبِل الحسينعليه السلام ورأسه في يده، فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بكى لها...

وهذه الحادثة المهولة يرويها بتفصيل مذهل خبر آخر عن الصادقعليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة ينصب اللَّه سرادقاً من نور بين يدي رسول اللَّهصلى الله عليه وآله والخلائق حاضرون، ثم ينادي مناد: معشر الناس، غضُّوا أبصاركم فإن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفىصلى الله عليه وآله تريد أن تجوز السرادق فيغضّون أبصارهم، فإذا هي مقبلة، فإذا وضعت رجلها في السرادق نوديت يا فاطمة، فتلتفت، فترى ولدها الحسينعليه السلام واقفاً بجانبها من غير رأس، فتصرخ صرخة لا يبقى لها ملك مقرَّب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه، وخرَّ مغشياً عليها، ثم إنها تفيق من غشيتها فتجد الحسينعليه السلام يمسح وجهها بيديه ورأسه قد عاد إليه...

٦ ـ وفي خبر آخر عن رسول اللَّهصلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمةعليها السلام في لمَّة من نسائها، فيُقال لها: ادخلي الجنة، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صُنِع بولدي من بعدي، فيُقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر إلى الحسين صلوات اللَّه عليه قائماً ليس عليه رأس، فتصرخ

صرخة، فأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب اللَّه عز وجل لنا عند ذلك فيأمر ناراً يُقال لها: هبهب، قد أُوقد عليها ألف عام حتى اسودت لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً، فيُقال لها: التقطي قتلة الحسين عليه السلام، فتلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها، وشهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بألسنة ذلقة طلقة: يا ربنا لم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان، فيأتيهم الجواب عن اللَّه عز وجل: إن من علم ليس كمن لم يعلم.

وقد جاءت أخبار أخرى تصف فاطمة عليها السلام يوم القيامة وهي تحمل ثياباً مصبوغة بالدماء فتتعلق عليها السلام بقائمة من قوائم العرش تقول: يا عدل أحكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم اللَّه تعالى لفاطمة عليها السلام.

وفي خبر آخر يبيِّن أن الحسين عليه السلام يكون بلا رأس ورأسه في يده وأوداجه تشخب دماً وهو يقول يا رب خذ لي اليوم حقي ممَّن ظلمني.

4 ـ حزن الحسن بن علي عليه السلام:

ولا ريب أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام حاله في الدنيا والآخرة في الحزن والبكاء على أخيه الحسين عليه السلام هو حال جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وحال أبيه المرتضى عليه السلام وحال أمه الزهراء عليها السلام إلا أن الأخبار الواردة في بيان حاله صلوات الله عليه شحيحة ونتبرك بذكر الخبر المعتبر الذي رواه الصدوق في أماليه بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله، قال: أبكي لما يُصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يُؤتى إليَّ سم يُدسُّ إليَّ فأُقتَل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدَّعون أنهم من أمة جدِّنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك فعندها تحل ببني أميَّة اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.

وفي خبر آخر عن علي عليه السلام قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله (صلوات الله عليهم جميعاً) إذ التفت إلينا فبكى، فقلتُ: ما يبكيك يا رسول الله، فقال: أبكي مما يُصنَع بكم بعدي، فقلتُ: وما ذاك يا رسول الله، قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة عليها السلام خدَّها، وطعنة الحسن عليه السلام في الفخذ والسم الذي يُسقى، وقتل الحسين عليه السلام قال عليه السلام: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلتُ: يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء، قال صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي، فإن الله قد عهد إليَّ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

5 ـ حزن زينب بنت علي عليه السلام:

زينب وما أدراك ما زينب، لعمري لقد ابتليت بما لا تحتمله الجبال فاحتملته صابرة محتسبة.

زينب العقيلة المصونة العزيزة الشريفة العفيفة ربيبة البيت المقدَّس أبوها علي وأمها الزهراء واخواها الحسن والحسين وجدها رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، وهذا هو النسب الأعلى الذي لا تطمح إليه الآمال، مهما علت.

زينب هذه حزنت وبكت وندبت وشقَّت جيبها ولطمت وجهها وضربت رأسها ونادت بالويل والثبور نداء لا يتصوَّره مسلم إلا اغرورقت عيناه بالدموع وجلل قلبه الخضوع فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.

وسنذكر بعض مواقف الحزن التي تعرضت لها زينب عليها السلام.

١ ـ في عصر اليوم التاسع من المحرم نادى عمر بن سعد لعنه اللَّه بجيشه: يا خيل اللَّه اركبي وبالجنة أبشري!!

زحفوا نحو معسكر الحسين عليه السلام وهو جالس أمام خيمته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، لما سمعت زينب عليها السلام الضجة دنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟!، فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال: إني رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله الساعة في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، فلَطَمَت زينب وجهها ونادت بالويل، فقال الحسين عليه السلام: ليس لك

الويل يا أخيَّة، اسكني رحمك الله.

٢ ـ روى الشيخ المفيد عن زين العابدين عليه السلام قال: إني لجالس في تلك العشية التي قُتِل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب عليها السلام تمرِّضني إذ اعتزل أبي عليه السلام في خباء وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويُصلحه وأبي يقول:

يا دهر أفٍ لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل	وكل حي سالك سبيلي

فأعادها مرَّتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفتُ ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمتُ السكوت وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمَّتي فلما سمعت ما سمعتُ وهي امرأة ـ ومن شأن النساء الرِّقة والجزع ـ فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة عليها السلام وأبي علي عليه السلام وأخي الحسن عليه السلام، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخيَّة لا يذهبن حلمك الشيطان، وترقرت عيناه بالدموع، وقال: لو تُرِكَ القطا لنام، فقالت: يا ويلتاه، أفتُغتصب نفسك اغتصاباً!! فذاك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ثم لطمت وجهها وهوت إلى جيبها فشقَّته وخرَّت مغشياً عليها...

٣ ـ عند استشهاد علي بن الحسين عليه السلام في أرض كربلاء خرجت زينب عليها السلام إليه خروج الوالهة، يصف حميد هذا المشهد بقوله: كأني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة، تنادي: بالويل والثبور، وتقول: يا حبيباه، يابن أخاه، يا ثمرة فؤاداه، يا نور عيناه.

فسألتُ عنها، فقالوا: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم جاءت حتى انكبت عليه.

٤ ـ وعندما خرَّ الإمام الحسين عليه السلام من سرج فرسه إلى الأرض أقبل

فرسه نحو المخيَّم يصهل ويحمحم فخرجت زينب من فسطاطها واضعة عشرة أصابعها على رأسها.

وهي تنادي: وآاخاه واسيد أهل بيتاه.

ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل... ثم نادت الجيش الملعون فقالت: ويلكم أما فيكم مسلم.

٥ ـ وعندما استشهد الحسين عليه السلام وسُبِيَت نساء محمد صلى الله عليه وآله ومرَّت زينب بجسد أخيها عليه السلام صرخت بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك بالعراء، مرمل بالدماء، مقطَّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى اللّه المشتكى...

وقد تقدم بيان هذا النداء بطوله حتى ابكت كل عدو وصديق.

٦ ـ وعندما كانت السبايا في الكوفة وكانت أم كلثوم تتكلم كلمتها في أهل الكوفة أُحضِرت قافلة الرؤوس فنظرت زينب عليها السلام ناحية الرؤوس المرفوعة على الرماح فلاح لها رأس أخيها الحسين عليه السلام فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها عليه السلام بخرقة بيدها وأنشدت أبياتاً موجعة قدمنا سردها.

٧ ـ وعندما أدخلت السبايا إلى مجلس يزيد نظرت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها موضوعاً، فلم تتمالك أن رفعت بيدها ثم أهوت إلى جيبها فشقَّته ثم نادت بصوت حزين: يا حسيناه... ... فأبكت كل من كان في المجلس.

6 ـ تشريد زينب عليها السلام إلى مصر:

واستمرت زينب عليها السلام هذا حالها بكاء ونحيب ولطم وندب ونشيد، في كربلاء، في الكوفة، أثناء الطريق، في الشام، في طريق العودة، في مدينة جدها حينما عادت وأنشدت قصيدتها لجدِّها رسول اللّه صلى الله عليه وآله، واستمرت كذلك في المدينة حتى أصبح وجودها ثقلاً على السلطان الأموي، فيروى أن والي المدينة كتب إلى يزيد لعنه اللّه: إن وجود زينب بين أهل المدينة

مهيج للخواطر، وإنها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين عندما وصل هذا الكتاب إلى يزيد أمر بإخراجها من المدينة فتقيم حيث تشاء فخرجت عليها السلام إلى مصر ويروى أنها وصلت مصر أول شعبان سنة ٦١ هجرية أي بعد عاشوراء بأكثر من سبعة أشهر والله العالم.

ويروى أنها بقيت في مصر وتوفيت هناك في رجب سنة ٦٢ هجرية، ولها هناك قبر مشهور يزوره ويتبرك به أهالي تلك البلاد.

أقول: هذا الخبر عثرت عليه في بعض كتب المحدثين ولم أروه عن كتب علمائنا الأقدمين رضوان الله عليهم ولا في كتب المؤرخين القدماء.

7 ـ حزن زين العابدين عليه السلام:

أما إمامنا السجاد علي بن الحسين عليه السلام فقد كان عظيم البكاء طويل العبرة، وما زال يبكي حتى عدُّوه في البكائين الخمسة[١] في الدنيا منذ أيام آدم عليه السلام.

كان عليه السلام إذا ذكر الحسين عليه السلام بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه من يراه رحمة له، ويروى أنه عليه السلام كان يبكي حتى يغمى عليه في اليوم مرة أو مرتين.

وفي الخبر ان علي بن الحسين عليه السلام بعد عودته من كربلاء كره مخالطة الناس وملابستهم فاتَّخذ منزله في البادية بيتاً من شعر أقام في هذا البيت المنعزل سنين عدَّة، وكان يصير من البادية إلى العراق زائراً لأبيه الحسين عليه السلام ولجدِّه علي عليه السلام لا يرافقه أحد من ذي روح إلا ولده محمد الباقر عليه السلام والناقتان، فيذهبان ويرجعان ولا يشعر بهما أحد صلوات الله عليهما، وكان إذا زار أباه بكى حتى تخضل لحيته بالدموع.

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: البكاؤون خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن الحسين عليه السلام.

واستمر علي بن الحسينعليه السلام يبكي على أبيه الحسين بن عليعليه السلام طوال عمره ما يقرب من أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقولعليه السلام: قُتِل ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم جائعاً، قتل ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه وشرابه من دموعه.

لم يزل هذه سيرته حتى لحق بالله عز وجل، وقال له أحد مواليه: جعلت فداك يا بن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقالعليه السلام: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمةعليها السلام إلا خنقتني العبرة.

ويروي أحد مواليه أنه برز يوماً إلى الصحراء (وفي خبر آخر إلى سقيفة له) فوجده ساجداً على حجارة خشناء قال: تبعته فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة: لا إله إلا الله حقّاً حقّاً، لا إله إلا الله تعبّداً ورقّاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلَّ، فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيمعليه السلام كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابنا فغيَّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حيّ في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيت صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي.

وكان إذا أخذ إناءً ليشرب الماء بكى حتى يملأ الإناء دمعاً، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا أبكي وقد مُنِع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش.

وقيل له: إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي.

وفي الخبر المقبول عن زين العابدينعليه السلام أنه نظر إلى عبيد الله بن العباس بن عليعليه السلام فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم

من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كلٌّ يتقرب إلى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكِّرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة.

8 ـ حزن الإمام الباقر عليه السلام:

ولا ريب أن الباقر عليه السلام كان عظيم الحزن والبكاء على جده أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وما له لا يكون كذلك وقد تكحلت عيناه بواقعة الطف إذ كان فيها صغيراً له من العمر ثلاث سنوات كما ذكرت بعض الأخبار، وما له لا يكون كذلك وهو يرى سيرة أبيه زين العابدين عليه السلام الذي ما انفك عن البكاء يوماً، إلا أن الاخبار التي عثرت عليها في هذا المجال قليلة منها:

١ ـ ما روي أن الكميت شاعر أهل البيت عليهم السلام قدم المدينة وأنشد الباقر عليه السلام ميميته فلما بلغ قوله:

وقتيل بالطف غودر منهم ... بين غوغاء أمَّة وطغام

بكى الإمام عليه السلام ثم قال: يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال الرسول صلى الله عليه وآله لحسَّان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنَّا أهل البيت.

9 ـ حزن الإمام الصادق عليه السلام:

ولا غرو أن يكون الإمام الصادق على سنَّة من آبائه الصادقين الطاهرين لا يذكر جده الحسين عليه السلام إلا واستعبر، وهو الناقل عنه أنه

قال عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى...

هكذا كان الصادق عليه السلام إذ ذكر جده الحسين عليه السلام بكى وقد رُوِي عنه في ذلك اخبار عديدة منها.

١ ـ الخبر المعتبر عن ابن خارجة قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرنا الحسين بن علي عليه السلام فبكى أبو عبدالله عليه السلام وبكينا.

٢ ـ قال أبو عمارة المنشد: ما ذُكر الحسين بن علي عليه السلام عند أبي عبدالله عليه السلام في يوم قط فرُئي أبو عبدالله عليه السلام مبتسماً في ذلك اليوم إلى الليل.

٣ ـ دخل أبو عمارة المنشد على أبي عبدالله عليه السلام فقال له: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي عليه السلام قال: فأنشدته فبكى ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار.

٤ ـ ودخل عليه جعفر بن عثمان الطائي فقرَّبه وأدناه، ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك، جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد، فقال له: نعم، جعلني الله فداك، قال: قل، فأنشده فبكى وبكى من حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال عليه السلام: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقرَّبون ههنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر... الحديث.

٥ ـ وعن عبدالله بن غالب قال: دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين بن علي عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضع:

لبليّة تسقو حسيناً ... بمسقاة الثرى غير التراب

صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه.

٦ ـ وعن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال عليه السلام: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنشدته:

امرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكيَّة

قال: فلما بكى عليه السلام أمسكت أنا، فقال عليه السلام: مر، فمررت، قال: ثم قال عليه السلام: زدني، فأنشدته:

يا مريم قومي واندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاك

قال: فبكى وتهايج النساء...

٧ ـ ويروي الثقة الجليل عبدالله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبدالله عليه السلام يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلتُ: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ممَّ بكاؤك لا أبكي الله عينيك؟، فقال عليه السلام: أوفي غفلة أنت، أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم... إلى أن قال: في مثل هذا الوقت ـ (أي بعد العصر بساعة) تجلَّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً يعز على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ حيا لكان صلى الله عليه وآله هو المعزَّى بهم، قال: وبكى أبو عبدالله عليه السلام حتى اخضلَّت لحيته بدموعه... الحديث.

٨ ـ ويروي أبو بصير قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمَّه وقبَّله، وقال: حقَّر الله من حقَّركم، وانتقم ممَّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء السماء، وبكاء الأنبياء، وبكاء الصدِّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أوتي إلى أبيهم وإليهم.

٩ ـ ودخل عليه السيد الحميري فأقعد عليه السلام حرمه خلف الستر واستنشده، فأنشد:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

آأعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويَّة

وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيَّة

وابكِ المطهر للمطهر والمطهرة النقية

كبكاء معولة أتت يوماً لواحدها المنية

قال الراوي: فرأيت دموع جعفر بن محمد ﷺ تتحدّر على خديه، وارتفع الصراخ من داره...

١٠ ـ وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا شرب الماء ذكر الحسين عليه السلام وبكى، ففي الخبر المروي عن داود الرقّي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد.

10 ـ حزن الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

يعلم الجميع أن الإمام الكاظم عليه السلام كان غرضاً للبلاء يمسي ويصبح فيه فقد قضى شطراً عظيماً من حياته المقدَّسة في سجون الطواغيت ينقلونه من سجن إلى سجن.

لم تمنعه مصيبته أن يكون مصاباً بجده الحسين عليه السلام حتى قال الرضا عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قُتِل فيه الحسين عليه السلام.

11 ـ حزن الإمام الرضا عليه السلام:

١ ـ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هو القائل: ... إن يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون...

٢ ـ وأنشده الشاعر إبراهيم بن عباس قصيدته التي يقول فيها:

أزال عزاء القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبي محمد

فبكى الإمامعليه السلام وبكى من في مجلسه.

٣ ـ ودخل عليه دعبل الخزاعي فأنشده قصيدته التائية العظيمة وفيها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
سأبكيهم ما ذرَّ في الأرض شارق ونادى مناد الخير للصلوات
أرى فيئهم في غيرهم متقسّما وأيديهم من فيئهم صفرات

فبكى الرضاعليه السلام، وبكت معه النسوة والأطفال، وهذه القصيدة من محاسن قصائد الرثاء.

٤ ـ جاء في الخبر المعتبر عن الريان بن شبيب قال: دخلتُ على الرضاعليه السلام في أول يوم من المحرم فقال لي: يا بن شبيب أصائم أنت، فقلتُ: لا، فقالعليه السلام: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكرياعليه السلام ربه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجابَ لزكرياعليه السلام، ثم قالعليه السلام: يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرِّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيِّهاصلى الله عليه وآله لقد قتلوا في هذا الشهر ذريَّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن عليعليه السلام فإنه ذُبح كما يُذبح الكبش، وقُتِل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قُتِل فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم: يالثارات الحسينعليه السلام.

يا بن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جدهعليهم السلام أنه لما قُتِل الحسين جدِّي صلوات الله عليه مطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا بن شبيب إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب إن سرَّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب إن سرَّك أن تسكن الغرف المبنيَّة في الجنَّة مع النبي وآله صلوات الله عليهم فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب إن سرَّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا بن شبيب إن سرَّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولَّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

12 ـ حزن الإمام الجواد عليه السلام:

وفي الخبر عن عبد العظيم الحسني أنه قال للجواد عليه السلام: فقد تحيَّرت بين زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام وبين زيارة قبر أبيك بطوس، فما ترى؟ فقال لي: مكانك، ثم دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه، فقال: زوار أبي عبد الله عليه السلام كثيرون وزوار قبر أبي بطوس قليلون.

13 ـ حزن بقية الأئمة عليهم السلام:

ما زال أئمة الهدى عليهم السلام شعارهم الحزن والبكاء على فاجعة سيد الشهداء عليه السلام، وهذا أمر نعلمه من أوامرهم ومواعظهم وإرشاداتهم وإن لم أعثر على مواضع بعينها نقلت عنهم أنهم تفجَّعوا وبكوا على الحسين عليه السلام، ولا ريب أن شح الأخبار عنهم في هذا المجال إنما كان بسبب الحصار المضروب عليهم، وعظيم التقية في أيامهم، وقلَّة اتصال شيعتهم بهم.

14 ـ حزن الإمام القائم عليه السلام:

وأما إمامنا القائم عليه السلام فقد خرج من ناحيته زيارته المشهورة العظيمة التفجع والتي يقول فيها بعد تكرار السلام كثيراً. . . :

السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرب إلى اللّه بمحبتك، البريء من أعدائك.

سلام مَن قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع الحزين، الواله المستكين، سلام من لو كان معك بالطفوف لَوَقَاك بنفسه حدَّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده وماله وولده، وروحه لروحك، وأهله لأهلك وقاء.

فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكين لك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصَّة الاكتئاب.

أقول: هل يمكن لأحد أن يأتي بعبارات تدل على الجزع والتفجُّع أوضح وأبين من هذه العبارات المفجعة والمذهلة، ومن ذا الذي يمكنه مهما عظم حزنه ومصيبته أن يبكي بدل الدموع دماً إلا رجل استثنائي أصيب بمصاب استثنائي، حشرنا اللّه مع البكَّائين على الحسين عليه السلام ومع انصار الحسين عليه السلام وتحت لواء الحسين عليه السلام آمين رب العالمين.

الباب الرابع

حزن الهاشميين

1 ـ وصول خبر الفاجعة إلى المدينة:

روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه ثم تمرَّغ ثم طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام ـ وهي الصغرى ـ فرفعت رأسها فنظرت إليه فبكت بكاء شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب، فقلت: من تنعاه ويلك يا غراب
قال: الإمام، فقلت: من؟ قال: الموفَّق للصواب
إن الحسين بكربلا بين الأسنة والحراب
فأبكى الحسين بعبرة ترجي الإله مع الثواب
قلت الحسين؟ فقال لي: حقاً لقد سكن التراب
ثم استقل به الجناح فلم يطق ردَّ الجواب
فبكيت مما حلَّ بي بعد الدعاء المستجاب

فقال محمد بن علي عليه السلام (هو المعروف بابن الحنفية): فنعته لأهل المدينة، فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام.

2 ـ وأم سلمة زوج النبي ﷺ:

روى أحمد بن حنبل في المسند كما روى غيره عن ابن عباس قال: بينما أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدينني وابكين معي فقد قُتِل سيدكن، وسيد شباب أهل الجنة، قد واللّه قتل سبط رسول اللّه ﷺ أو ريحانته الحسين عليه السلام.

فأقبل عليها أهل المدينة الرجال والنساء وفيهم ابن عباس وهو أعمى البصر يقوده قائد إلى منزلها، فقال لأم سلمة: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول اللّه ﷺ الساعة في المنام شَعِثاً مذعوراً، فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين عليه السلام وأهل بيته فدفنته والساعة فرغت من دفنهم.

وفي خبر آخر أن أم سلمة قالت: ما رأيت رسول اللّه ﷺ منذ مضى إلا الليلة فرأيته شاحباً كئيباً، فقلت له: ما لي أراك يا رسول اللّه ﷺ شاحباً كئيباً، قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين عليه السلام وأصحابه عليه وعليهم السلام.

وفي خبر ثالث أن أم سلمة رأت النبي ﷺ في منامها وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، قالت: مالك يا رسول اللّه مغبراً، فقال ﷺ: وثب الناس على ابني فقتلوه، وشهدت قتل الحسين عليه السلام آنفاً وقد شهدته قتيلاً الساعة.

أقول: وكان رسول اللّه ﷺ في أيامه قد جاءه جبرئيل عليه السلام وأخبره أن الأمة تقتل الحسين عليه السلام وأعطاه من تربة الحسين عليه السلام. فأعطى رسول اللّه ﷺ هذه التربة إلى زوجته أم سلمة وقال لها: اجعليها في زجاجة فلتكن عندك فإذا صارت دماً فقد قتل الحسين عليه السلام.

قالت أم سلمة بعد أن رأيت المنام، فاقشعر جلدي فوثبت إلى قارورة

التربة فرأيت القارورة الآن قد صارت دماً عبيطاً يفور، فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطَّخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام.

وفي الخبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن هذه التربة ما زالت عندهم.

ويروى أن أم سلمة لما علمت بمقتل الحسين عليه السلام قالت: ملأ اللّه بيوت القاتلين وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها.

3 ـ وابن عباس:

وفي الخبر عن ابن عباس أنه في الليلة القابلة بعد أن رأت أم سلمة منامها رأى ابن عباس أيضاً في منامه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو أشعث أغبر وفي يده قارورة دم، فسأله عن شأنه، فقال له: ألم تعلم أني فرغت من دفن الحسين عليه السلام وأصحابه، وسأله عن قارورة الدم، فقال صلى الله عليه وآله: دم الحسين عليه السلام لم أزل ألتقطه منذ اليوم.

4 ـ بشير السلطان:

وكان ابن زياد قد أرسل عبد الملك ابن أبي الحارث السنمي وأمره أن ينطلق إلى المدينة وأميرها عمرو بن سعيد بن العاص وأن يبشِّره بقتل الحسين عليه السلام، وقال له إنطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر، وأعطاه دنانير، وقال: لا تعتل وإن قامت بك راحلتك فاشتر راحلتك، فطار عبد الملك براحلته نحو المدينة فلما وصلها لقيه رجل من قريش فقال له: ما الخبر، فقال له: الخبر عند الأمير تسمعه، فلما وصل إلى الأمير عمرو بن سعيد ودخل عليه، قال الأمير: ما وراءك؟ فقال: ما سرَّ الأمير، قتل الحسين بن علي عليه السلام، فقال الأمير: أخرج فناد بقتله، فخرج ينادي في مدينة رسول اللّه صلى الله عليه وآله يبشِّر المسلمين بقتل الحسين عليه السلام!!!.

عند هذا النداء ارتفعت الصيحة في أرجاء المدينة وكانت الواعية العظمى هي واعية بني هاشم في دورهم حتى قال عبد الملك هذا: واللّه لم اسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله.

ثم بعد أن فرغ المنادي رجع إلى الأمير فلما رآه تبسَّم إليه ضاحكاً ثم قال:

عجَّت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان ثم التفت إلى قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقال: يوم بيوم بدر يا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فأنكر عليه قوم من الأنصار، ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد.

فقام عبد اللّه بن السائب فقال: لو كانت فاطمة عليها السلام حية فرأت رأس الحسين عليه السلام لبكت عليه، فجبهه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحق بفاطمة عليها السلام منك، أبوها عمنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا، لو كانت فاطمة عليها السلام حية لبكت عينها وحرَّت كبدها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه.

أقول: لعنه اللّه من فاجر كاذب، وقد كان هذا المنطق المرذول هو منطق الأمويين وقد ساد دهراً طويلاً في أمة محمد صلى الله عليه وآله يدَّعون ـ وهم كاذبون ـ أن الحسين عليه السلام بَغَى فقُتل بسيف الحق، فمحمد صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام ـ وإن أحزنهم قتله ـ لا يلومون من قتله.

5 ـ حزن بني هاشم:

كان بنو هاشم قد شعروا بالفاجعة من حين خروج الحسين عليه السلام بعياله من المدينة حتى كأنهم ايقنوا بمقتله واستشهاده، ولذلك لما همَّ الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكن اللّه أن تبدين هذا الأمر معصية

للَّه ولرسوله ﷺ، فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللَّه ﷺ وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم، فننشدك اللَّه ـ جعلنا اللَّه فداك من الموت ـ يا حبيب الأبرار من أهل القبور، وأقبلت عليه بعض عمَّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعتُ الجن ناحت بنوحك وهم يقولون:

فإن قتيل الطف من آل هاشم أذلَّ رقاباً من قريش فذلت
حبيب رسول اللَّه ﷺ لم يك فاحشاً أبانت مصيبتك الأنوف وجلَّت

ولهذا فإن بني هاشم كانوا (ومن حين خروج الحسين من المدينة) على وجل ينتظرون وصول الخبر بمقتله، واستمر الحزن والبكاء والعويل ملازماً لنساء آل البيت وبني هاشم سواء منهن من بقي في مدينة الرسول ﷺ أم من لحقت منهن بسيدهن الحسين عليه السلام بن علي.

أما نساء القافلة فلطالما لطمن الخدود وشققن الجيوب في الطريق إلى كربلاء وقد ذكر المؤرخون حوادث منها:

١ ـ عندما كان الحسين عليه السلام يردد يا دهر أف لك من خليل... وسمعته زينب عليها السلام ونادت بندائها المحزن الذي قدمناه فاجتمعت النسوة، وبكين، ولطمن الخدود، وشققن الجيوب، ونادت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: وامحمداه، واعلياه، وأماه، واحسناه، واحسيناه، واضيعتنا بعدك يا أبا عبداللَّه...

٢ ـ وفي ليلة العاشر دخل الحسين عليه السلام خيمة اخته زينب عليها السلام فقالت له: هل استعلمت من أصحابك ثباتهم، فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة، فقال عليه السلام: واللَّه لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه، وكان نافع بن الهلال الجملي واقفاً على باب الخيمة فسمع الكلام فبكى وجاء إلى حبيب بن مظاهر فأخبره، فاجتمع أصحاب الحسين عليه السلام وجاؤوا بأجمعهم إلى الخيمة حيث اجتمعت نساء آل محمد ﷺ، وصاح حبيب بما يليق به وبأصحابه فخرجت النساء بالبكاء والعويل فضجَّ القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

٣ ـ أما يوم عاشوراء فلم ترقأ دمعتهن روحي فداهن، وكيف ترقأ الدمعة وهن يرون أفلاذ أكبادهن وأقمارهن وشموسهن تفرى اوداجهن عطاشى، فلو كنت حاضراً لظلّ أنين ونشيج آل محمدﷺ منك بمسمع لقد صحن صباحاً عندما تواجه الجيشان، وصحن عند كل دم أريق، وحتى عندما بقي الحسين وحيداً، ولكن اعظم صياحهن كان عندما رجع فرس الحسينعليه السلام دون فارس، ولقد وصف هذا المشهد بقوله في زيارة الناحية: فلما رأين النسوة جوادك مخزياً، وأبصرن سرجك ملويا، برزن من الخدور للشعور ناشرات، وعلى الخدود لاطمات، للوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذلّلات، وإلى مصرعك مبادرات. . .

٤ ـ وانظر إليهن حين اجتمعن على الأجساد يودعن حماتهن وولاتهن ونور أبصارهن وحشاشة قلوبهن، لو نظرت لرأيت أم كلثوم عندما وضعت يدها على أم رأسها ونادت: وامحمداه، واجدّاه، وانبياه، واأبا القاسماه، واعلياه، واجعفراه، واحمزتاه، واحسناه، هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء. . . ثم غشي عليها، لو نظرت لرأيت سكينة قد اعتنقت جسد أبيها فلم تفارقه حتى اجتمع الأعراب وجرّوها عنه.

١ ـ أما نساء هاشم اللواتي بقين في المدينة فما لبث أن جاءهم هذا الخبر المفجع المفزع عندما نعى الناعي حسيناً فارتفعت الواعية في دور بني هاشم واعية لا تشبهها أي واعية.

٢ ـ ولقد خرجت بنات عقيل ـ عند نعي الناعي وقيل عند عودة السبايا إلى المدينة ـ وكانت الخارجات أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب ومعها أخواتها أم هانىء وأسماء ورملة وزينب، وكنَّ يبكين، وكانت أم لقمان حاسرة!! وقيل كانت زينب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقى قافلة السبايا وتقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ويروى أن القائلة لهذه الأبيات هي أم لقمان بنت عقيل قالتها حين نعي الناعي.

٣ ـ وفي خبر آخر أن بنت عقيل بن أبي طالب خرجت في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر النبيﷺ فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتموا عترتي أو كنتم غيباً والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند اللّه مشفوع
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

فكثر البكاء حتى قيل: ما رأينا باكياً ولا باكية أكثر ما رأينا ذلك اليوم.

٤ ـ وتقدمت فاطمة بنت عقيل ترثوهم، فقالت:

عين ابكِ بعبرة وعويلِ واندبي إن ندبت آل الرسولِ
ستة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل

٥ ـ ويروى أن وال المدينة عمرو بن سعيد الأموي عندما سمع بكاء نساء هاشم وصيحتهن ضحك وقال:

عجَّت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال: واعية كواعية عثمان.

٦ ـ لم تختضب امرأة من بني هاشم ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجَّلت طوال سنوات حتى جاءهم رأس عبيد اللّه بن زياد، وما زالوا بعد ذلك في عبرة.

٧ ـ لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنَّ لا يشتكين من حر

ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم.

٨ ـ وعن الصادق عليه السلام قال: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قُتِل عبيد اللّه بن زياد ـ أقول: عدم الدخان في الدار كناية عن عدم الطبيخ.

٩ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: نيح على الحسين بن علي عليه السلام سنة في كل يوم وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة وجماعة من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله يأتون مستترين متقنِّعين فيستمعون ويبكون.

أقول: الذي أفهمه من هذا الخبر أن آل البيت عليهم السلام استمروا بإقامة النياحة سنة كاملة في المدينة وكانت تُقام النياحة في الليل والنهار، ثم استمرت النياحة ثلاث سنين وإن كانت بأقل وتيرة بعد السنة الأولى، وفي خلال هذه السنوات كان جماعة من الصحابة والمحبين لآل البيت يحضرون هذه النياحة متستّرين خوفاً من السلطان الأموي واتباعهم وأشياعهم لعنهم اللّه تعالى أجمعين.

١٠ ـ أقامت زوجته الرباب بنت امرىء القيس الكلبية على الحسين عليه السلام مأتماً وبكت وبكين النساء والخدم حتى جفَّت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: ما لك أنت من بيننا تسيل دموعك؟، قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالطعام والأسْوقَة فَأَكَلَت وشَرِبَت وأطعَمَت وسَقت، وقالت: إنما نريد بذلك أن نتقوَّى على البكاء على الحسين عليه السلام.

وبقيت الرباب بعد الحسين عليه السلام سنة لم يظلها سقف حتى بليت وماتت كمداً، وقيل إنها أقامت على قبره عليه السلام في كربلاء سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه.

١١ ـ وفي خبر خالد بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطمياتُ على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشق الجيوب.

6 ـ وأم البنين:

أم البنين الأربعة هي أم العباس وجعفر وعثمان وعبد اللّه أولاد علي ابن أبي طالب عليه السلام وهؤلاء الأخوة الأربعة استشهدوا جميعهم مع أخيهم أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام وكان لاستشهادهم مع استشهاد الحسين عليه السلام وقع كبير على قلب أم البنين التي أصبح دارها دار عزاء ومصيبة، وكانت تحمل عبيد اللّه بن العباس بن علي عليه السلام ثم تخرج إلى البقيع كل يوم ترثي العباس وأخوته وتندبهم أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع أهل المدينة للإستماع إلى رثائها فيبكون لشجي الندبة، وكان في جملة من يأتون للإستماع إليها مروان بن الحكم الذي هو العدو اللدود لآل محمد صلى الله عليه وآله فكان يأتي ويستمع ندبتها.

7 ـ موقف عبد اللّه بن جعفر:

عندما وصل الخبر إلى المدينة باستشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته وفيهم ولدا عبد اللّه بن جعفر الطيار بن أبي طالب وهو زوج زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام دخل بعض موالي عبد اللّه بن جعفر فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، أي قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، فقال أبو السلاسل مولى عبد اللّه: هذا ما لقينا من الحسين بن علي عليه السلام، فحذفه عبدالله عن جعفر بنعله ثم قال: يابن اللخناء أللحسين عليه السلام تقول هذا!! واللّه لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، واللّه إنه لمما يسخّي بنفسي عنهما ويعزي عن المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه، ثم أقبل على جلسائه، فقال: الحمد للّه عزَّ عليَّ مصرع الحسين عليه السلام، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولداي.

8 ـ محمد ابن الحنفية:

أما محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن امرأة من بني حنيفة وهو أخ الحسين عليه السلام فقد كان يتوضأ عندما بلغه الخبر فبكى حتى سمعوا وكف دموعه في الطست، ويروى أنه بكى حتى ملأ الطست من دموعه. واستمر أيامه يبكي حتى عميت عيناه.

الفصل الرابع

إنتقاض الممالك

الباب الأول

عقوبة دماء الحسين عليه السلام

1 ـ التحذير:

ـ في الخبر المروي ـ وقد رواه أهل السنة في صحاحهم ـ عن ابن عباس أن اللّه أوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفاً.

وفي الخبر ان الحسين عليه السلام قال للجيش اليزيدي الملعون يوم عاشوراء: . . . وأيم اللّه إني لأرجو أن يكرمني ربي بالشهادة بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، فصاح الحصين بن مالك السكوني وهو الجلف الطباع القاسي القلب العديم الحياء فقال: يا بن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منا فقال عليه السلام: يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم. . .

وفي خبر ثالث ان الحسين عليه السلام قال عند خروجه إلى العراق لبعض الذين استفسروه عن سبب هذا الخروج، فقال عليه السلام: إن بني أمية شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم اللّه ليقتلونني فيلبسهم اللّه ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً. . .

وفي خبر رابع أن الحسين عليه السلام قال: لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم اللّه ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطنَّ اللّه عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم. .

وروي أن الحسين بن علي عليه السلام قال: والذي نفس حسين بيده لا يهنأ بني أميَّة ملكهم حتى يقتلوني، وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلُّوا جميعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل اللّٰه أبداً...

وعندما جاء الملك إلى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله يخبره بأن أمَّته ستقتل ابنه الحسين عليه السلام قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: وتفلح أمتي! تقتل فرخي، أو قال: فرخ ابنتي، فقال جبرئيل عليه السلام: يضربها اللّٰه بالإختلاف فتختلف قلوبهم.

إذن هذا هو النبأ المهول: بعد قتل الحسين عليه السلام اختلاف عام، اختلاف القلوب، ذل شامل، سيف قاطع، المتسلِّط عليهم يذلهم كأذل من قوم سبأ، سفك دمائهم بأيديهم، وسقوط آلاف القتلى انتقاماً لدماء الحسين عليه السلام.

نعم هذا ما تحقق فلم تمض الأيام على مقتل الحسين عليه السلام حتى جرت الدماء انهاراً ودخلت شرارة مقتل الحسين عليه السلام إلى كل بيت من بيوتات العرب.

2 ـ إدراك الخطر:

ما ان قتل الحسين عليه السلام حتى شعر الناس شيعته وعدوه بعظيم الواقعة وخطير الفاجعة، أما شيعته فقد استعظموا أن يخذلوه وأن لا يكونوا نصروه وسيأتي بيان ما قام به شيعة الحسين وأهل بيته صلوات اللّٰه عليهم.

وأما عدوه والذين هم من غير شيعته فقد استعظموا ما جنته أيدي بني أمية لعنهم اللّٰه، وقد ظهر ذلك ونقله لنا المؤرخون في مواضع.

١ ـ روى حميد بن مسلم قال: وخرجت زينب بنت علي عليها السلام وقرطاها يجولان بين أذنيها وهي تقول ليت السماء انطبقت على الأرض، يا عمر بن سعد ايُقتل أبو عبد اللّٰه عليه السلام وأنت تنظر إليه؟، ودموع عمر بن سعد تسيل على خديه ولحيته وهو يصرف وجهه عنها.

٢ ـ روى حميد بن مسلم ما جرى بعد مقتل الحسين عليه السلام من إحراق

الخيام وخروج النساء وكيف أن زينب كانت تندب الحسين عليه السلام ثم قال:
فأبكت والله كل عدو وصديق.

٣ ـ كان بعض الذين يسلبون بنات الرسول ﷺ يبكون وقد قدمنا هذا الحديث عند التعرض لأحوال السبايا.

٤ ـ عندما وصل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام قال عبيد الله لعمر بن سعد: ائتني بالكتاب الذي كتبته إليك في معنى قتل الحسين عليه السلام ومناجزته، فقال: ضاع، فقال: لتجيئني به، أتراك معتذراً في عجائز قريش، قال عمر: والله لقد نصحتك في الحسين عليه السلام نصيحة لو استشارني بها أبي سعد كنت قد أدَّيت حقه، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يُقتَل، فقال عمر بن سعد: والله ما رجع أحد بشرٍّ مما رجعت أطعت عبيد الله وعصيت الله وقطعت الرحم.

أقول: يظهر لك من هذا الحديث ندم الثلاثة وادراكهم عظم ما فعلوا حتى أن عبيد الله حاول استرجاع الكتاب لربما يستطيع التملص من قتل الحسين عليه السلام، وأما عمر بن سعد فقد احتفظ بالكتاب وأرسله إلى شيوخ قريش ليقرؤونه ويعتذر عن قتله للحسين عليه السلام بأنه مأمور.

٥ ـ روى حميد بن مسلم فقال: كان عمر بن سعد صديقاً لي فأتيته بعد منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله، فقال: لا تسألني عن حالي فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعتُ به، قطعتُ القرابة القريبة وارتكبت الأمر العظيم.

٦ ـ قد ذكرنا حديث الشيخ الذي خاطب علي بن الحسين عليه السلام على درج مسجد دمشق خطابه القاسي فلما علم الحقيقة شتم يزيد وتبرأ منه وتولى أهل بيت رسول الله ﷺ، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

٧ ـ قد تقدم ذكر احتجاج نساء يزيد وكيف أنهم لبسن على

الحسين عليه السلام وبكوه وأنه لم يبق من نساء آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام وألقين ما عليهن من الثياب والحلي وأقمن عليه المأتم ثلاثة أيام.

٨ ـ مرَّ حديث الشامي الذي طلب من يزيد أن يهبه الجارية وهو يشير إلى فاطمة بنت علي عليه السلام أو بنت الحسين عليه السلام وهو يعتقد أنها من سبي الروم أو الترك، فلما علم الحقيقة قال ليزيد: لعنك اللَّه يا يزيد تقتل عترة نبيك صلى الله عليه وآله وتسبي ذريته، واللَّه ما توهمت إلا أنهم من سبي الروم، فغضب يزيد وقال: واللَّه لألحقنك بهم، ثم أمر به فضرب عنقه.

٩ ـ تقدم في حديث زين العابدين عليه السلام أنه عندما خطب في مجلس يزيد ما فرغ من خطابه حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب وحتى خشي يزيد لعنه اللَّه أن يكون فتنة.

١٠ ـ وعندما وصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى الحسن البصري الفقيه المشهور بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال: واذلَّ أمَّة قتلت ابن بنت نبيها صلى الله عليه وآله، واللَّه ليردَّنَّ رأس الحسين عليه السلام إلى جسده، ثم لينتقمن له جدُّه وأبوه من ابن مرجانة.

١١ ـ وعندما علم الربيع بن خيثم بمقتل الحسين عليه السلام بكى، وقال: لقد قتلوا فتيه لو رآهم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله لأحبَّهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه.

١٢ ـ كما احتج جماعة من الصحابة المحسوبين على سلطان بني أميَّة فإنهم لما رأوا رأس الحسين عليه السلام يُضرب بالقضيب لم يمكنهم استيعاب هذا المنظر الفظيع فاحتجوا ومن هؤلاء الصحابة زيد بن أرقم وأنس بن مالك وأبو برزة الاسلمي.

١٣ ـ ولقد احتج حبر من أحبار اليهود كان في مجلس يزيد فعندما علم بهوية الرأس الشريف قال: فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بئسما خلفتموه في ذريته، واللَّه لو ترك فينا موسى بن عمران سبطا من صلبه لظننا أنا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم إنما فارقكم نبيكم بالأمس

فوثبتم على ابنه فقتلتموه، سوأة لكم من أمَّة، فما كان من يزيد عندما سمع هذا الاحتجاج إلا أن وجىء في حلق هذا الحبر ثلاثاً.

١٤ ـ ولقد احتج أيضاً في مجلس يزيد عظيم من عظماء الروم قال ليزيد نحو كلام الحبر اليهودي وأخبره أن النصارى تزور كنيسة في أقاصي الدنيا لأن فيها حافر حمار عيسى عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله، ثم قال ليزيد: فلا بارك اللَّه تعالى فيكم ولا في دينكم، فأمر يزيد بقتله، فأسلم الرومي وتشهد الشهادتين ووثب إلى الرأس الشريف فضمَّه إلى صدره وجعل يقبله ويبكي ثم قتلوه رحمه اللَّه.

١٥ ـ بعدما قام عبيد اللَّه بن زياد بفعلته المشؤومة حسنت بذلك منزلته عند يزيد بن معاوية ولكن لم يلبث إلا قليلاً حتى شعر يزيد بعظيم الجرم الذي ارتكبه فندم على قتل الحسين عليه السلام وكان يقول: وما كان عليَّ لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري وحكَّمته فيما يريد وإن كان عليَّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظاً لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله ورعاية لحقه وقرابته، لعن اللَّه ابن مرجانة فإنه أحرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلِّي سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه اللَّه عز وجل فلم يفعل، وأبى ذلك ورده عليه وقتله فبغَّضني بقتله إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً عليه السلام، مالي ولابن مرجانة لعنه اللَّه وغضب عليه.

الباب الثاني

الخلاف على الخلافة

1 ـ هلاك يزيد:

بعد ثلاث سنين من مقتل الحسين عليه السلام وأصحابه مات يزيد بن معاوية فجأة في قرية من قرى حمص يقال لها حُوّارين، بات سكراناً شرب في الليل شراباً كثيراً ثم أصبح مخموراً فذرعه القيء ثم لم يزل يقيء حتى قذف عشرين طشتاً ثم مات متغيراً كأنه مطلي بقار.

وذكر بعض المؤرخين أن يزيد عندما كان سكراناً قام ليرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغه، أقول: وربما كان كثرة القيء لهذا السبب.

وكان قبل موته مريضاً بداء النقرس، وكان يضع قدميه في ماء في طست وذلك من شدة الوجع، وكان وفاته يوم الرابع عشر من ربيع الأول من سنة أربع وستين.

وفي رواية أبي مخنف أن يزيد ركب في بعض الأيام يريد الصيد والقنص فخرج في خاصَّته في عشرة آلاف فارس، فسار حتى بَعُد من دمشق مسير يومين، ثم لاحت له ظبيه فانطلق جواده في طلبها وقد أمر أصحابه أن لا يتبعه منهم أحد، فجعل يطارد الظبية حتى توسط وادي مهول مخوف وكظّه العطش فلم يجد هناك شيئاً من الماء، وإذا هو برجل معه صحن ماء، فاستسقاه فسقاه، فقال له: لو عرفت من أنا لازددت في كرامتي، فقال له: ومن تكون؟، قال: أنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال

الرجل: أنت والله قاتل الحسين بن علي عليه السلام يا عدو الله، ثم نهض ليمسكه فنفر الفرس من تحته فرمى به فعلقت رجل يزيد بالركاب فجعل الفرس كلما رآه خلفه نفر، فلم يزل الفرس يعدو حتى مزَّقه وعجل الله بروحه إلى النار.

كان يزيد قد أوصى بالخلافة لابنه معاوية بن يزيد، فمات بدوره بعد أربعين يوماً من ولايته، وقيل: قتلوه بعد أن رفض الخلافة فوقع الخلاف بين أهل الشام وغيرهم حول الخليفة، وفي هذا الحال حاول جماعة من أعيان البلاد أن يستولوا على خلافة المسلمين وإليك تفصيل ذلك:

2 ـ اختلاف أهل الشام:

اختلف أهل الشام بعد موت يزيد بن معاوية في مصير خلافتهم، فكان زفر بن الحارث الكلابي في قنَّسرين يبايع لعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير الأنصاري في حمص يبايع لعبد الله بن الزبير، والضحاك ابن قيس الفهري في دمشق يبايع لعبد الله بن الزبير سراً، يمنعه من إظهار ذلك بقية بني أمية الذي في الشام ومنهم مروان بن الحكم، والتحق بهم عبيد الله بن زياد بعد أن هرب من البصرة.

ولم يبق من أنصار بني أمية من ولاة الأمصار إلا حسان بن مالك بن بجدل الكلبي الذي كان والي فلسطين فاستخلف عليها روح بن زنباع الجذامي وخرج إلى الاردن، يحرض أهل الاردن فقال لهم: يا أهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرَّة ـ وأي أهل المدينة الذي قتلوا في وقعة الحرَّة ـ فقالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرَّة في النار، قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرَّة: قالوا: نشهد أن يزيد على الحق وأن قتلانا في الجنة، فقال لهم: وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقاً يومئذ إنه اليوم وشيعته على الحق، وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليوم على الباطل هو وشيعته، فوافق أهل الاردن وبايعوه على أن يقاتلوا معه من يطيع ابن الزبير.

بعد هذا أرسل حسان بن مالك كتاباً إلى الضحاك بن قيس في دمشق

يذكر فيه عظيم حق بني أمية ويدعوه إلى طاعتهم، ويقع في ابن الزبير ويشتمه وأنه منافق خلع خليفتين وأمره أن يقرأ الكتاب على الناس، وبعث مع الكتاب نسخة أخرى منه مع رجل من كلب اسمه ناغضة وأمره أن يقرأ الكتاب على الناس إذا لم يقرأه الضحاك بن قيس عليهم.

3 ـ هياج الفتنة في الشام:

قدم ناغضة بالكتاب فدفعه إلى الضحاك بن قيس فلما كان يوم الجمعة وصعد الضحاك إلى المنبر قام ناغضه فقال: أصلح اللّٰه الأمير، ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس، فقال له الضحاك: اجلس، فجلس، ثم قام مرة أخرى، فأجلسه، ثم قام الثالثة فقال له، اجلس، فلما رأى ناغضة أن الضحاك لن يقرأ الكتاب اخرج نسخته وقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ويزيد ابن أبي النمس الغساني وسفيان بن الأبرد الكلبي فصدَّقوا كتاب حسان بن مالك وشتموا ابن الزبير، فقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان بن مالك واثنى على ابن الزبير، فاضطرب أمر الناس ووثب الناس بعضهم بوجه بعض، ووثبت بنو كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار وخرَّقوا ثيابه.

وأظهر الضحاك ما في سريرته من ولائه لابن الزبير فسجن الذين شتموا ابن الزبير وصدقوا حسان، فقامت بنو كلب وغسان فأخرجوهم من السجن ثم ذهبوا إلى المسجد الأعظم وفيه الضحاك بن قيس يمهِّد لابن الزبير ويقع في يزيد بن معاوية، فضربوه بعصا، فقام الناس بعضهم إلى بعض في المسجد فانقسم الناس من يتعصب لابن الزبير ويهوى هواه ومن يتعصب لبني امية ويهوى هواهم فاقتتلوا.

4 ـ معركة مرج راهط:

ثم خرجت بنو أمية ومن معهم براياتهم إلى حسان بن مالك وخرج الضحاك بن قيس ومن معه فنزل بمرج راهط ومعه قبائل قيس ومن يدعو بدعوة عبد اللّٰه بن الزبير، وقيل ان عداد جيشه كان ستين ألفاً.

اجتمع أهل الاردن وبنو أمية في الجابية فبايعوا لمروان بن الحكم فكان في بيعته بنو كلب والسكاسك والسَّكون وغسان وتنّوخ وطيء، فسار مروان بالناس وعلى ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد اللّه بن زياد حتى نزل مرج راهط وفيها الضحاك، فوقع القتال بين الفريقين عشرين يوماً ثم هُزِم الضحاك بن قيس فقُتِل من أهل الشام ومن قبائل قيس يومئذ مقتلة عظيمة لم يُقتلوا بمثلها قط في أي موطن من المواطن، فقتل في هذه الوقعة أشراف أهل الشام، وقُتِل ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، وقتل صاحب لواء قصاعة، وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمي، وقتل الضحاك بن قيس وحملوا رأسه إلى مروان بن الحكم، وقُتِل هاني بن قبيصة النميري سيد قومه، ثم فرَّ الناس منهزمين فانتهى أهل حمص إلى حمص وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه مقتل الضحاك جمع ثقله وولده وفرَّ هارباً ليلاً، فطلبه أهل حمص حتى أدركوه وقتلوه وحملوا رأسه فألقوه في حجر ابنته أم أبان.

5 ـ البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة:

ثم اطبقت الشام على بيعة مروان بن الحكم، ثم بايعه أهل مصر، وكان الحجاز والعراق لعبد اللّه بن الزبير فأرسل عبد اللّه بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير على رأس جيش فسرَّح إليه مروان بن الحكم جيشاً على رأسه عمرو بن سعيد بن العاص، فوقعت بينهما معركة هزم فيها مصعب.

ثم سرَّح عبد الملك بن مروان جيشاً من سبعة آلاف رجل يقوده حبيش بن دلجة فدخل المدينة ثم التقى بجيش لابن الزبير عند الربذة فُهزِم جيش الشام وقتل حبيش ومن معه عن آخرهم.

الباب الثالث

فتنة البصرة

1 ـ عبيد اللَّه بن زياد يطمع في الخلافة!!:

لقد تردَّت أمور الاسلام وتسافلت وهانت حتى طمع ابن مرجانة في خلافة المسلمين وكان والياً على البصرة والكوفة فدعا أهل البصرة وقام فيهم خطيباً فقال: يا أهل البصرة انسبوني فواللَّه لتجدنَّ مهاجر والدي ومولدي فيكم وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنَّة أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا، وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهل الشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرض فناءً وأغناه عن الناس، وأوسعه بلاءً فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم. . .

2 ـ البيعة لعبيد الله بن زياد بالخلافة:

فقام خطباء البصرة يتملَّقونه فقالوا: إنا واللَّه ما نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلمَّ فلنبايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لأنفسكم، فأبوا عليه وأبى عليهم، حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات، فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا وهم من مكرهم يقولون: لا يظن ابن

مرجانة أنا نُستقاد له في الجماعة والفرقة، كذب واللَّه. وجعلوا يمسحون أكفّهم بباب الدار وحيطانه.

ثم أرسل عبيد اللَّه بن زياد رسوله إلى الكوفة يدعوهم إلى بيعة عبيد اللَّه بن زياد فردَّها أهل الكوفة وجاءت نساء همدان يبكين حسيناً عليه السلام ورجالهم متقلدوا السيوف فأطافوا بالمنبر، فرجع الخبر إلى البصرة بأن أهل الكوفة ردّوا بيعة عبيد اللَّه بن زياد، فقال أهل البصرة لبعضهم أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه فأجمع أهل البصرة على نقض بيعته بعدما كانوا قد عقدوها، فأقام عبيد اللَّه بن زياد في البصرة وسلطانه يضعف وينكسر يوماً بعد يوم، فيأمر بالأمر فلا يُقضى، ويرى الرأي فيردُّوه عليه، ويأمر بحبس الرجل فيُحال بينه وبين الشُرَط.

استمر الأمر في البصرة على هذا الحال حتى جاء رسول عبد اللَّه بن الزبير يدعوهم إلى بيعته فبدأت الناس تبايعه حتى انتقض أمر عبيد اللَّه بن زياد في البصرة فلم يتمكن من ضبط الأمور فيها، بل وصل به الحال أن خشي على نفسه وأهل بيته فقرر ترك دار الإمارة وأخذ الأموال وهي تسعة عشر ألف ألف، وتوارى في ديار قبيلة الأزد واستجار بدار سيد الازد مسعود بن عمرو بن عدي فأجاره.

3 ـ إختلاف أهل البصرة:

فاجتمع أهل البصرة فولوا عليهم عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ثم وقعت الفتنة[١] بين بني تميم وبكر ابن وائل، وما لبث أن تحالفت بكر بن وائل مع الازد، وتنادت القبائل بشعاراتها وأحلافها القديمة، وهاج الشر بين الناس ما بين قبائل مضر

---

(١) قيل ان سبب الفتنة أن أحد بني ضبة وهم من تميم قتل رجلاً من بني يشكر من بكر بن وائل وهم من قبائل ربيعة، وقيل ان سبب الفتنة أن عبيد الله بن زياد بعدما استجار عند مسعود بن عمرو استخلفه على ولاية البصرة فرفضت بنو تميم وقالوا لا نرضى ولا نجيز ولا نولي إلا رجلاً من جماعتنا ورفض مسعود أن يدع ولاية البصرة واراد أن يدخل القصر عنوة عن بني تميم وأحلافها من مضر فوقع القتال.

وعمدتها تميم وقبائل ربيعة وعمدتها الازد، ووقع القتال فحمل مسعود بن عمرو على رأس مقاتبي الازد على أحياء بني تميم فأحرق دورهم وسلب نساءهم وقتلوا رجالاً، وما زال الأمر كذلك حتى قُتِل مسعود بن عمرو، قيل قتله أناس من تميم، وقيل قتلته الخوارج فانهزمت الأزد.

عندما علم عبيد اللّه بن زياد بمقتل مسعود بن عمرو وهزيمة الازد هرب إلى الشام، وأعجز الطلبة الذين اتبعوه فلم يدركوه فنهبوا ما استطاعوا عليه وسلبوا أمَّه وسلبوا امرأته وحرمه حتى أخذوا مقانعهن عن رؤوسهن.

وفي هذا الأوان خرجت الخوارج في البصرة بقيادة نافع بن الازرق الحنظلي فكسروا أبواب السجون فخرجوا منها واجتمعوا وأعلنوا كفر المسلمين المقرِّين بالسلطان وأحلّوا دماءهم وأوجبوا البراءة منهم واستعدوا لقتالهم ودعوا أصحابهم إلى ذلك حتى عظم ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة وكان بينه وبينهم معارك ووقعات عديدة طال أوانها وكثر فيها القتال والقتلى حتى كان الآلاف من المسلمين يُقتلون في الوقعة الواحدة.

ثم ما زال الأمر في البصرة مضطرباً هائجاً دامياً حتى قال الناس لواليها من قبلهم عبد اللّه بن الحارث: إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً وتُؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تُفْضَح، ثم طلبوا منه أن يجرد السيف، لكن عبد اللّه بن الحارث آثر السلامة ولحق بأهله وترك أمر الناس. ووقع الطاعون في البصرة فهلك به الخلق الكثير حتى سمّوه الطاعون الجارف وانتقض أهل الري في فتنة.

الباب الرابع

فتنة عبد الله بن الزبير

1 - خروج عبد اللّه بن الزبير:

وعندما وصل الخبر بمقتل الحسينعليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة يعظّم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة وخطب في الناس وقال فيما قال يمدح الحسينعليه السلام ويعرِّض بيزيد:

أما واللّه لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما واللّه ما كان يبدِّل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية اللّه الحُداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في الذكر الركض في تطلاب الصيد فسوف يلقون غيًّا.

فثار إليه أصحابه وقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك، فإنه لم يبق أحد - إذ هلك الحسينعليه السلام - ينازعك هذا الأمر.

فأظهر بيعته، وعلا أمره بمكة، وكاتبه أهل المدينة.

ثم إن عبد اللّه بن الزبير استمر يُحكم أمره في مكة ويبايع له من يهواه إلى أن وقعت وقعة الحرة في أهل المدينة التي سيأتي ذكرها، فكان عبد اللّه بن الزبير هو ملجأ أهل المدينة المنهزمين فلجؤوا إليه وانضموا له

وتابعوه على قتال جيش يزيد. كما جاءه نجدة بن عامر الحنفي وأصحابه من اليمامة.

2 ـ حصار مكة المكرمة:

وما لبث الجيش الشامي بقيادة مسلم بن عقبة المري أن سار من المدينة متوجهاً إلى مكة المكرمة ليقضي على ثورة عبد اللّه بن الزبير إلا أنه في الطريق إلى مكة مات مسلم بن عقبة وتولى بعده الحصين بن نمير السكوني قيادة هذا الجيش.

وصل الجيش الشامي إلى مكة فحاصرها شهري محرم وصفر وقعت فيها مناوشات قتل فيها جماعة منهم المنذر بن الزبير أخو عبد اللّه بن الزبير، ومنهم مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

3 ـ إحراق الكعبة:

في اليوم الثالث من الربيع الأول احترقت الكعبة، احترق ثيابها، واحترق خشب البيت، قال بعض الشهود يصف الحدث: قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت إليها النار، ورأيتها مجردة من الحرير، ورأيت الركن قد اسودَّ وانصدع في ثلاثة أمكنة.

وذكر في أسباب الحريق سببان:

الأول: أن الجيش الشامي قذف البيت بالمجانيق وأحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون:

خطَّارة مثل الفنيق المزبد   نرمي بها أعواد هذا المسجد

السبب الثاني: وهو أن أصحاب عبد اللّه بن الزبير كانوا يوقدون النار حول الكعبة فهبَّت الريح بشرارة إلى الكعبة فاحترقت، وقيل ان أحد أصحاب عبد اللّه بن الزبير أخذ قبساً في رأس رمح له فطيَّرت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود.

وفي الرابع عشر من هذا الشهر أعني ربيع الأول مات يزيد بن معاوية وهو ابن ثمان وثلاثين أو تسع وثلاثين، وكانت مدة ولايته المشؤومة ثلاثة سنين وبضعة أشهر فبايع أهل الحجاز جميعاً لعبد اللَّه بن الزبير ورجع الجيش الشامي إلى الشام، وكان لعبد اللَّه بن الزبير مع أهل الشام وشيعتهم وقعات ومناوشات وحروب طويلة منها في الحجاز ومنها في العراق زهقت فيها الدماء التي لا يحصيها إلا باريها وقد فصَّلها المؤرخون في كتبهم.

الباب الخامس

ثورة أهل المدينة

1 ـ خروج أهل المدينة:

وفي سنة إثنان وستون أي بعدما يزيد عن سنة من مقتل الحسين عليه السلام ذهب وفد من أهل المدينة المنوَّرة إلى يزيد بن معاوية وفي هذا الوفد جماعة منهم عبد اللَّه بن حنظلة الشهيد غسيل الملائكة، فاستقبلهم يزيد وأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، فلما قدموا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وقالوا لأهل المدينة:

إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويُضرَب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخُرَّاب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه، وقال المنذر بن الزبير بن العوام: إن يزيد ـ واللَّه ـ لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إليَّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه، واللَّه إنه ليشرب الخمر وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه بمثل ما عابه أصحابه.

فتابعهم الناس وأتوا إلى عبد اللَّه بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولُّوه عليهم.

عندما علم يزيد بهذه الثورة أرسل النعمان بن بشير إلى المدينة وهم من الانصار ومن أهل المدينة ليدعوهم إلى ترك هذا الأمر فلم يقبلوا منه وجبهوه.

ثم إن أهل المدينة أظهروا عصيان يزيد بن معاوية وخلعوه عن إمارة المسلمين وأخرجوا والي المدينة من قبل يزيد بن معاوية وهو عثمان بن محمد ابن أبي سفيان وطردوه، وحاصروا بني أمية وأعوانهم من قريش وهم نحو ألف رجل.

2 ـ موقف علي بن الحسين عليه السلام:

وكان علي بن الحسين عليه السلام في المدينة إلا أنه لم يلتفت إلى هذه الثورة ولم يدخل فيها بل التزم جانباً وآوى إليه نساء وأطفال بني أمية فاحتضنهم عنده. وذلك أن مروان بن الحكم، أراد أن يصون النساء والاطفال فجاء إلى عبد اللّه بن عمر وسأله أن يغيِّب النساء عنده فأبى عبداللّه بن عمر أن يفعل، فجاء إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال: يا أبا الحسن إن لي رحماً وحُرَمي تكون مع حُرمك فقال عليه السلام: أفعل. فبعث إليه بالحرم فخرج علي بن الحسين عليه السلام بحُرَمِه وحرم بني أمية إلى داره بيُنبع معتزلاً المدينة وكره أن يشهد شيئاً من أمرها.

3 ـ قدوم جيوش أهل الشام:

اجتمع بنو أمية وأعوانهم في دار مروان بن الحكم يواجهون حصار أهل المدينة وكان سيد بني أمية في المدينة مروان بن الحكم فأرسل إلى يزيد كتاباً يقول فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم أما بعد فإنا قد حصرنا في دار مروان بن الحكم، ومُنِعنا العذب، ورُمينا بالجبوب، فياغوثاه ياغوثاه.

وما كان من يزيد إلا أن لبى النداء فأرسل إلى مسلم بن عقبة المُرِّي وهو شيخ كبير ضعيف مريض فأمره أن يسير بجيش إلى المدينة.

خرج المنادي ينادي في الناس ووعد كل من يسير أن يأخذ عطاءه كاملاً ويقبض مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته فلبَّى النداء اثنا عشر ألف مقاتل.

استعجلهم يزيد على الخروج وأوصى مسلم بن عقبة فقال له: ادعُ القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا أُظهِرت عليهم فأبِحها ثلاثاً فما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر علي بن الحسين عليه السلام فاكفف عنه واستوصِ به خيراً وأدنِ مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

4 ـ وقعة الحرَّة وتدمير المدينة:

وصل جيش مسلم بن عقبة المُرِّيّ إلى المدينة في شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هجرية ودخلها من جانب الحرة وهو شرق المدينة، وهناك كان أهل المدينة قد خندقوا في جمع عظيم، وهناك كانت الوقعة بين أهل الشام وأهل المدينة، وكانت الدولة لأهل الشام وقتل في هذه الوقعة رؤساء جيش المدينة وهم عبد اللّه بن حنظلة الغسيل وأولاده وأخوه، ومحمد بن عمرو ابن حزم الانصاري، والفضل بن العباس بن ربيعة، وزيد بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري، وإبراهيم بن نعيم العدوي، وعبد اللّه بن زيد بن عاصم، وعبد اللّه بن عاصم، وغيرهم كثير.

وممن قتل صبراً بعد الوقعة معقل بن سنان الأشجعي وهو رئيس ربع، ويزيد بن عبد اللّه بن زمعة، ومحمد بن أبي الجهم العدوي ويزيد بن وهب، وبلغ عدد القتلى من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس ثلاثة آلاف وقتل من سائر الناس عشرة آلاف، وبلغ عدد القتلى من صحابة الرسول ثمانون صحابياً ـ وبهذه الوقعة فني البدريون.

ثم أُبيحت المدينة وأهلها ثلاثة أيام فدخل أهل الشام وأجلافهم وطغاتهم إلى المدينة وعاثوا فيها فساداً ولم يرقبوا حرمة حتى ربطوا خيولهم بأساطين مسجد الرسول ﷺ، وقتلوا من يقدرون عليه ولم يفرقوا بين شيخ كبير ورضيع صغير، وفجروا بالنساء، وافتضُّوا العذارى حتى قيل افتضت ألف عذراء، واختلطت الأنساب فلم تعرف المرأة أن الولد من زوجها أو من أهل الشام، ولم يرتفع الآذان في مدينة الرسول ﷺ ثلاثة أيام، وفرغ

المسجد النبوي من المصلين إلا من علي بن الحسين عليه السلام وسعيد بن المسيب.

5 ـ إستعباد أهل المدينة:

وبعدها دعا مسلم بن عقبة المزني الناس إلى بيعة يزيد بن معاوية على أنهم عبيد خول ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء، فبايعوا على ذلك ومن بايع على كتاب الله وسنة رسوله، ضرب عنقه وقتله ولم يقبل إلا البيعة على أنهم عبيد خول ليزيد، فبايعوه جميعاً على ذلك، ولم يُستثن من هذه البيعة إلا علي بن الحسين عليه السلام وعلي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، أما علي بن الحسين عليه السلام فقد استثناه يزيد بن معاوية وأوصى به مسلم بن عقبة، ويروى أنه عندما جاؤوا به إلى مسلم بن عقبة سمع مسلم صياحاً وصراخاً فقال: ما هذا، فقيل إنه قد أُتي بعلي بن الحسين عليه السلام وهؤلاء أقاربه يصيحون، فقال: أعلموه أنه لا بأس عليه، فلما دخل وثب مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعده معه على سريره وأخبره بوصية يزيد به واعتذاره عن تأخير العطاء.

وأما علي بن عبد الله بن العباس فقد استثنته قبائل كندة فإنهم أخواله وتعصبوا له ووقفوا في وجه مسلم بن عقبة وقالوا يبايع ليزيد على أنه أشرف من يزيد وأكرم منه أبا وأماً.

الباب السادس

فتن مختلفة

1 ـ وفتن أخرى:

وخلال هذه الإضطرابات على خلافة المسلمين في الشام والعراق والحجاز وقعت إضطرابات عديدة في أطراف العالم الإسلامي أزهق فيها مئآت أو آلاف الأرواح منها أن أهل خراسان وثبوا على عمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحيته.

وحدثت في خراسان فتنة عبد اللّه بن خازم أحد الامراء اراد السيطرة على خراسان قهراً فقام بعدَّة وقعات فقَتَل عمرو بن مرثد بالطالقان، فهاجت الفتنة بين المضرية وبكر بن وائل وطالت سنة، ثم وقعت الوقعة على بكر بن وائل فقتل منها ثمانية آلاف مقاتل.

وغارت الترك على أطراف المسلمين وهزموهم في وقعات وحروب بين أهل الشام والعراق.

2 ـ وحروب بين أهل الشام والعراق:

وقعت بين أهل الشام بقيادة مروان بن الحكم وأولاده مع أهل العراق والحجاز بقيادة عبد اللّه بن الزبير وقعات تشيب الغلام الأمرد زهق فيها آلاف القتلى.

الوقعة الأولى: كانت عندما أرسل مروان جيشاً بقيادة حبيش بن دُلجة

في سبعة آلاف مقاتل، وصل الجيش إلى المدينة ثم سار إلى الربذة وهناك التقى جيش أهل الشام وأهل المدينة والتحم الجيشان فكانت الدولة على الجيش الشامي الذي انهزم وأُبيد عن آخره وقُتل أميره حبيش بن دُلجة وجماعة من أكابرهم وبقي منهم خمسمائة فضربت أعناقهم، وقيل: بقيت فلول رجعت إلى الشام.

الوقعة الثانية: أرسل مروان بن الحكم عبيد الله بن زياد في جيش هائل العدد من أهل الشام إلى العراق، وصل هذا الجيش إلى بلاد الجزيرة ـ وهي حالياً شمال العراق ـ فقاتله أهلها واستمر القتال في هذه البلاد أشهراً طويلة ووقعت وقعات سنتعرض لبعضها فيما يأتي ولم يسلم من هذا الجيش أحد.

الوقعة الثالثة: سار عبد الملك بن مروان بنفسه ـ وهو خليفة الشام ـ بجيش أهل الشام فالتقى مصعب بن الزبير على رأس جيش أهل العراق بدير الجاثليق وكانت بين الجيشين وقعات انتهت بهزيمة مصعب وقتله.

الوقعة الرابعة: سار الحجاج الثقفي بجيشه إلى مكة فحاصرها وضرب الكعبة الشريفة بالمنجنيق ولم يرجع حتى اقتحمت أجلاف الشام بيت الله الحرام وظفروا بعبد الله بن الزبير فقتلوه وصلبوه منكوساً.

3 ـ ثورة نجدة بن عامر الحنفي:

لم يكن نجدة بن عامر الحنفي من شيعة آل البيت عليهم السلام بل هو معدود في الخوارج إلا أنه كان له مقالة يعذر فيها المسلمين في أخطائهم، وكيف كان فإن هذا الرجل قد خرج بعد مقتل الحسين عليه السلام وأعلن تمرده وعصيانه على يزيد ونجح في ذلك حتى استولى على اليمامة وعظم أمره فملك اليمن والطائف وعُمان والبحرين ووادي تميم وعامر، وجاء بجماعته إلى مكة فكان يصلي بحذاء عبد اللّه بن الزبير ولم يقتتلا احتراماً لحرمة المسجد، وقاتل جيش يزيد حين جاء إلى مكة دفاعاً عن حرمة الحرم، واستمر كذلك إلى أن نقم عليه أصحابه فخلعوه وطلبوا منه أن يختار لهم من بعده إماماً لهم فاختار لهم أبا فديك فجعله إمامهم وما لبث هذا ـ أبو فديك ـ أن قتل نجدة بن عامر.

الفصل الخامس

انتفاضة الشيعة

الباب الأول

ندم عام واحتجاجات أفراد

1 - ندم الشيعة:

أما شيعة آل بيت محمدﷺ فقد هالهم مقتل الحسينعليه السلام وما فُعِل به وبأهل بيته واستعظموا خُذلانهم له.

وقد ظهر استعظامهم لمقتله عند استقبالهم لنساء آل محمدﷺ على مداخل الكوفة وداخلها حيث استقبلوهُن بالبكاء والنواح والعويل والحيرة والدهشة وجلسوا يستمعون إلى كلمات زينبعليها السلام وزين العابدينعليه السلام وسكينة وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين، وهم يبكون، ونساؤهن قد نشرن شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وكان هذا الحال هو حال عامة الشيعة في الكوفة وهم ما يزيد عن ستة عشر ألف رجل ومن معهم من نساء، ولا ريب أن هذا حال عامة الشيعة في كل صقع من أصقاع الدنيا.

2 - إحتجاجات سلمية:

وقد احتج بعض الشيعة احتجاجات سلمية لعجزهم عن الصدام والعنف فظهر احتجاجهم بكاءً ونواحاً وندبة ومن تمكن من الشعر قاله.

ومن هؤلاء سليمان بن قتّة العدوي الذي كان منقطعاً إلى بني هاشم وصل إلى كربلاء بعد ثلاثة أيام من استشهاد الحسينعليه السلام فنظر إلى مصارع

الشهداء واتّكأ على فرس له عربية وأنشد أبياتاً منها:

مررتُ على أبيات آل محمد	فلم أرها أمثالها يوم حلَّت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة	لقتل حسين والبلاد اقشعرَّت
وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزيَّة	لقد عظمت تلك الرزايا وجَلَّت
وإن قتيل الطف من آل هاشم	أذلَّ رقاب المسلمين فذلَّت
وقد أعولت تبكي السماء لنقده	وأنجمها ناحت عليه وصلَّت

ومن هؤلاء أيضاً عقبة بن عمر السهمي ـ ويقال أنه أول من زار الحسين عليه السلام وناح على قبره بقصيدة منها:

مررت على قبر الحسين بكربلا	ويسعد عيني دمعها وزفيرها
سلام على أهل القبور بكربلاء	وقل لها مني سلام يزورها

ومن الطبيعي أن يتفاعل هذا الاستعظام في صدور بعض محبي الحسين عليه السلام وشيعته ليصل إلى مرتبة المصادمة والرغبة في الثورة كما قد وصلت عندما خطب فيهم علي بن الحسين عليه السلام عند دخوله مع السبايا إلى الكوفة فقالوا له: نحن كلنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذنَّ يزيد ونبرأ ممن ظلمك وظلمنا.

3 ـ إحتجاجات عنيفة:

وربما تفاعل هذا الغضب والانفعال إلى حركات صدامية عنيفة كما تحقق هذا الأمر في عدة مواضع متفرقة قبل أن تتطور لتصبح ثورة عامة عارمة، وإليك الحركات الفردية العنيفة التي ذكرها المؤرخون مرتبةً بحسب الترتيب الزمني:

١ ـ كان أول احتجاج عسكري على مقتل الحسين عليه السلام هو احتجاج قامت به امرأة، وهذه المرأة هي امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما كان أن قتل الحسين وأصحابه صلوات الله عليهم ورأت القوم قد اقتحموا على نساء آل محمد صلى الله عليه وآله في فسطاطهن وهم

يسلبونهن اخذتها الغيرة والحمية التي فقدها الرجال، فأخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط ونادت: يا آل بكر بن وائل، أتُسلب بنات رسول اللّهﷺ، لا حكم إلا للّه، يا لثارات رسول اللّهﷺ. وانتهى هذا الاحتجاج بأن جاء زوج هذه المرأة فأخذها وردها إلى رحلها.

٢ ـ روي عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة فبينما أنا أجصص الابواب وإذا أنا بالزَعَقَات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج، قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن عليعليه السلام، قال: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيتُ على عيني أن تذهب وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر...

٣ ـ عندما كان ابن زياد يضرب بقضيبه ثنايا أبي عبداللهعليه السلام احتج عليه بعض الصحابة وقيل هو زيد بن أرقم، فبكى وقال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فواللّه الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول اللّهﷺ عليهما ما لا أحصيه يقبلهما... ثم ذهب ينتحب ويبكي، حتى قال عبيد اللّه بن زياد: أبكى اللّه عينيك أتبكي لفتح اللّه، واللّه لولا أنك شيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فخرج زيد بن أرقم وهو يقول للحضور: يا معشر العرب أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمةعليها السلام وأمّرتم ابن مرجانة، ومثل هذا الاحتجاج حدث عند يزيد كما ذكرناه فيما سبق فلن نعيده.

4 ـ إحتجاج عبدالله بن عفيف:

كان عبدالله بن عفيف الأزدي الغامدي من خيار شيعة عليعليه السلام وقاتل معه يوم الجمل فذهبت عينه اليسرى، ثم قاتل معه أيام صفين فذهبت عينه اليمنى، فبات بلا عينين فكان لا يفارق مسجد الكوفة يصلي فيه إلى الليل.

فلما جاء الخبر بقتل الحسينعليه السلام إلى عبيد اللّه بن زياد نودي الصلاة

جامعة. فاجتمع الناس في المسجد الأعظم ـ مسجد الكوفة ـ فصعد ابن زياد المنبر فقال:

الحمد للّٰه الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته!!!.

فلما سمع ذلك عبدالله بن عفيف قام وقال: يا بن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا بن مرجانة اتقتلون ابناء النبيين وتتكلمون بكلام الصدِّيقين.

فقال ابن زياد: من هذا المتكلم؟! فقال ابن عفيف: أنا المتكلم يا عدو اللّٰه، تقتلون الذرية الطاهرة التي أذهب اللّٰه عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام، واغوثاه، أين أولاد المهاجرين والانصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمدﷺ رسول رب العالمين.

فقال ابن زياد: عليَّ به، فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور، وكان في المسجد عبد الرحمن بن مخنف الازدي وهو سيِّد الأزد فأحرجه هذا النداء فقال يعني بكلامه عبداللّٰه بن عفيف: ويح نفسك أهلكتها وأهلكت قومك، فوثب فتية من الأزد فانتزعوا عبدالله بن عفيف فأتوا به أهله إلى بيته، فأرسل عبيداللّٰه بن زياد جماعة من حرسه ليحضروا عبدالله بن عفيف الازدي، فحالت بينهم جماعة الازد وأحلافهم، فجمع ابن زياد قبائل مضر وأرسلهم مع محمد بن الأشعث وأسر جماعة من أشراف الازد وأمر محمد بن الاشعث أن يقتحم عليهم ويحضر ابن عفيف، فاقتتل الفريقان ثم أفرجوا حتى اقتحموا الدار على ابن عفيف فصاحت ابنته: أتاك القوم، فقال لها: لا عليك ناوليني سيفي فناولته وجعل يقاتلهم وهو لا يرى فتكاثروا عليه وأسروه واتوا به إلى ابن زياد فقال له: الحمد للّٰه الذي أخزاك، فقال ابن عفيف: يا عدو اللّٰه وبماذا أخزاني!!

واللّٰه لو فرّج لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

قال ابن زياد: يا عدو اللّٰه، ما تقول في عثمان، فشتمه ابن عفيف وقال: يا بن مرجانة، يا عبد بني علاج، ما أنت وعثمان، إن أساء أم

أحسن، وأصلح أم أفسد، والله تعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لاسألتك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف: الحمدلله رب العالمين، أما إني قد كنت أسأل الله ربي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلما كُفَّ بصري يئستُ من الشهادة، والآن الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرَّفني الاجابة منه في قديم دعائي. فأمر به ابن زياد فضُربت عنقه وصلبوه في السبخة رحمة الله وصلواته عليه.

5 ـ إحتجاج جندب بن عبدالله الأزدي:

ويروى أن جندب بن عبدالله الأزدي وهو من زهاد أصحاب رسول اللهﷺ عندما بلغه ما حدث على عبدالله بن عفيف الازدي غضب وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذوا والله عبدالله بن عفيف فقبح الله العيش بعده، فقام وجعل يقاتل حتى أخذوه وأسروه. ثم شفع به بعض سادات المصر فأطلق سراحه.

6 ـ إحتجاج عبيد الله بن الحر الجعفي:

وكان عبيد الله بن الحر الجعفي من أشراف الكوفة قد اعتزل قتال الحسينعليه السلام وخرج من الكوفة ونزل قصر بني مقاتل، فمرَّ الحسينعليه السلام من هناك فرأى فسطاطاً مضروباً فقالعليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟، قيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، فقالعليه السلام: ادعوه لي وبعث إليه، فلما أتاه الرسول قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسينعليه السلام وأنا فيها، والله ما أريد أن اراه ولا يراني. فرجع الرسول إلى الحسينعليه السلام فأخبره، فقام الحسينعليه السلام بنفسه حتى جاء ودخل عليه فسلم وجلس، ثم دعاه إلى الخروج معه، فأعاد عليه ابن الحر مقالته، فقال: فإلا تنصرنا فإياك أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، فقال ابن الحر أما هذا فلا يكون ابداً إن شاء الله.

وفي خبر آخر أن عبيد الله بن الحر الجعفي قال: يا بن رسول الله ﷺ لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته وأنا أروم شيئاً إلا بلغته ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه فدونك فخذه، فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنتُ متخذ المضلين عضداً، لكن فر فلا لنا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا كبَّه الله على وجهه في نار جهنم، ثم سار الحسين عليه السلام وهكذا لم يوفق اللّه ابن الحر ليكون من أنصار الحسين عليه السلام.

فلما أن كان بعد مقتل الحسين عليه السلام جلس عبيد اللّه بن زياد يتفقد أشراف الكوفة فلم ير عبيد اللّه بن الحر الجعفي، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه، فقال له عبيد اللّه بن زياد: أين كنت يا بن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب أو مريض البدن!، فقال ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد منَّ اللّه عليَّ بالعافية، فقال له ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدوِّنا، قال ابن الحر: لو كنت مع عدوك لرُئيَ مكاني وما كان مثل مكاني يخفى، فقال ابن زياد: أما معنا فلم تكن، فقال: صدقت أيها الأمير لا أكن معك ولا عليك، فقال بن زياد: وما منعك من نصرة أمير المؤمنين يزيد، فقال ابن الحر: منعني من ذلك قول اللّه تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾، فغضب ابن زياد وهم بقتل عبيد اللّه بن الحر لكنه خاف من فتنة في الكوفة فسكت، ثم غفل عنه ابن زياد غفلة، فخرج ابن الحر حتى قعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، فقال: عليَّ به، أراد ابن زياد أن يعتذر منه ويرضيه، فأحضرت الشرط، فقالوا لابن الحر: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه واللّه طائعاً أبداً.

ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج مع أصحابه حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه ثم أنشد ـ وقد قيل أنه هو أول رجل أنشد وناح على قبر الحسين عليه السلام ـ:

يـقـول أمـيـر غـادر حـق غـادر ... ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

فـيـا نـدمـي ألا أكـون نـصـرتـه ... ألا كـل نـفـس لا تـسـدَّد نـادمـة

وإنـي لـئـنٍ لـم أكـن مـن حـمـاتـه ... لـذو حـسـرة مـا إن تـفـارق لازمـة

سـقـى الـلّـه أرواح الـذيـن تـأزَّروا ... علـى نصرِه سقياً من الغيث دائمة

وقفت علـى أجداثهم ومجالهم ... فكاد الحشا ينفضّ والعين ساجمة

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سِراعاً إلى الهيجا حماةً خضارمة

تآسوا على نصر بن بنت نبيهم ... بـأسيـافـهـم آساد غيـل ضـراغـمـة

فـإن يُـقـتـلـوا فـكـل نـفـس تـقـيَّـةٍ ... على الأرض قد أضحت لذلك واجمة

ومـا إن رأى الـراؤون أفـضـل مـنـهـم ... لدى الموت سادات وزهراً قماقمة

أتـقـتـلـهـم ظـلـمـاً وتـرجـو ودادنـا ... فَـدَع خـطَّـة لـيـسـت لـنـا بـمـلائـمـة

لعمري لقد راغمتمونا بقتلهم ... فـكـم نـاقـم مـنـا عـلـيـكـم ونـاقـمـة

أَهُـمُّ مـراراً أن أسـيـر بـجـحـفـل ... إلـى فـئـةٍ زاغـت عـن الـحـق ظـالـمـة

فـكـفّـوا وإلا زُرتـكـم فـي كـتـائـب ... أشـد عـلـيـكـم مـن زحـوف الـديـالـمـة

ثم خرج على ابن زياد وكان معه سبعمائة فارس يصول بهم ويجول ويغير على أطراف البلاد، وله قصيدة أخرى يتلهف فيها على تركه نصر الحسين عليه السلام يقول فيها:

فـيـا لـك حـسـرة مـا دمـتُ حـيّـاً ... تـردَّد بـيـن حـلـقـي والـتـراقـي

حسـيـن حـيـن يـطـلـب بـذل نـصـري ... عـلـى أهـل الـضـلالـة والـنـفـاق

غـداة يـقـول لـي بـالـقـصـر قـولاً ... أتـتـركـنـا وتـزمـع بـالـفـراق

ولـو أنـي أواسـيـه بـنـفـسـي ... لـنـلـت كـرامـة يـوم الـتَّـلاق

مع ابـن الـمـصـطـفـى نـفـسـي فـداه ... تـولّـى ثـم ودَّع بـانـطـلاق

فـلـو فـلـق الـتـلـهـف قـلـب حـيٍّ ... لـهـمَّ الـيـوم قـلـبـي بـانـفـلاق

فـقـد فـاز الاولـى نـصـروا حـسـيـنـاً ... وخـاب الآخـرون أولـو الـنـفـاق

وقال في هذا الأمر قصائد أخرى.

الباب الثاني

مقدمات ثورة التوّابين

1 ـ التوبة والندم:

شعر الشيعة بعظيم الندم على خذلانهم الحسين عليه السلام ورأوا أنهم أخطؤوا خطأً كبيراً لا يغسله عنهم إلا بقتل قتلة الحسين عليه السلام أو الموت في هذا الأمر، فما زالت الشيعة منذ سنة إحدى وستين هجرية وهي سنة مقتل الحسين عليه السلام مشغولين بجمع آلة الحرب والاستعداد للقتال والدعوة السرية للشيعة ومحبي آل البيت عليهم السلام إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر، وهم في كل ذلك في سر لا يعلنون، وأخلصوا نياتهم وصدقوا جدَّهم في هذا السبيل حتى ادرك عبيداللَّه بن زياد ما تنويه الشيعة وما تسعى إليه فازداد بهم تنكيلاً وتشريداً حتى ملأ بهم السجون حتى كانت سجونه في الكوفة تحوي أربعة آلاف وخمسمائة من أبطال شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وممَّن جاهد معه ومن هؤلاء من كان مسجوناً من أيام معاوية، فكانوا في السجن مقيَّدين مغلولين يُطعمون يوماً ـ ثم لا يُطعمون يوماً ـ واستمروا كذلك في السجن إلى حين موت يزيد لعنه اللَّه.

لما جاء البريد إلى الكوفة بخبر هلاك يزيد وشاع هذا النبأ وثبت الناس على دار ابن زياد ونهبوا أمواله وخيله وقتلوا غلمانه وكسروا حبسه، فخرجت الشيعة وكان فيهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وإبراهيم بن مالك

الأشتر، ويحيى بن عوف، وصعصعة بن صوحان العبدي، وابن صفوان وغيرهم من الأبطال.

2 ـ اجتماع الشيعة:

وكان رؤساء الشيعة في الكوفة وأكابرهم خمسة هم سليمان بن صرد الخزاعي من أصحاب الرسول ﷺ، وكان شيخاً كبيراً عمره ثلاث وتسعون سنة وشهد حرب صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، والمسيَّب بن نجبة الفزاري من رؤساء أصحاب علي عليه السلام، وعبدالله بن نفيل الازدي، وعبدالله بن وال التيمي[١]، ورفاعة بن شداد البجلي، وكان هؤلاء الخمسة من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فاجتمع الخمسة في دار سليمان بن صرد وكان في الدار أكثر من مائة من فرسان الشيعة ووجوههم.

3 ـ كلام المسيب بن نجبة:

بدأ المسيب بن نجبة فحمد اللّه وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: أما بعد فإنا قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العمر الذي أعذر اللّه فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُغرَمين بتزكية انفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بَلا اللّه أخبارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا ﷺ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا ﷺ وقد قُتِل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا واللّه لا عذر دون أن تَقْتُلوا قاتله والموالين عليه أو تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا

---

(١) تيم بكر بن وائل.

عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن، أيها القوم ولّوا عليكم رجلاً سنكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفون بها.

4 ـ كلام رفاعة بن شداد:

فقام رفاعة بن شداد بعد المسيب فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن اللّه قد هداك لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد اللّه والثناء عليه والصلاة على نبيه ﷺ ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب لك، مقبول قولك، قلت: ولّوا أمركم رجلاً منكم تفزعون إليه وتحفّون برايته، وذلك رأي قد رأيناه مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً وفينا متنصّحاً وفي جماعتنا محباً، وإن رأيتَ رأيَ أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول اللّه ﷺ وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه والموثوق بحزمه...

ثم تكلم الباقون بنحو هذا القول وتوافقوا الجميع فولوا عليهم سليمان بن صرد الخزاعي.

5 ـ خطاب سليمان بن صرد:

قام فيهم سليمان بن صرد فخطب فيهم خطاباً كان شعاره للأيام التالية حيث جعل يردده كل جمعة حتى حفظه من حفظه، وفي هذا الخطاب:

... فإني واللّه لخائف ألا يكون أُخِّرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ﷺ ونمنّيهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا وادَّهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قُتِل فينا ولد نبينا ﷺ وسُلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ فلا يُصرخ، ويسأل النصف فلا يُعطاه، اتخذه الفاسقون

غرضاً للنبل ودريَّةً للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه، ألا انهضوا فقد سخط ربكم لا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى اللَّه، واللَّه ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فواللَّه ما هابه امرؤ قط إلا ذل...

6 ـ إجابة الشيعة:

فاستجاب الشيعة لهذا النداء فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال: واللَّه لو علمت أن قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضى عني ربي لقتلتها، ولكن هذا أُمِر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه، فأشهد اللَّه ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل من عدوي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين.

فقال سليمان بن صرد: أخوكم هذا غداً فريس أول الأسنَّة، وقال له: ابشر بجزيل ثواب اللَّه للذين لأنفسهم يمهدون.

ثم قام غيره فردد قوله، وأمرهم سليمان بجمع أموال من يريد التبرع عند عبدالله بن وال التيمي وذلك لتجهيز ذوي الخلة والمسكنة من الشيعة.

7 ـ استنهاض الشيعة:

ثم إن سليمان بن صرد أمر ببث الدعوة بين الشيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام في الكوفة وغيرها فانتشر الدعاة هنا وهناك يدعون الناس إلى الثأر لدماء الحسين عليه السلام، وكان في الدعاة رجال مفوَّهون خطابةً وبلاغةً وقدرةً على اجتذاب الناس.

ويُحكى أن من أبلغ الدعاة عبيد اللَّه بن عبداللَّه المري الذي قيل فيه: ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبيد اللَّه بن عبدالله المرِّي في منطق ولا عظة وكان من إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس وعظهم وبدأ بحمد اللَّه والثناء والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ثم يقول: أما بعد فإن اللَّه اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه بنبوَّته وخصه بالفضل كله وأعزَّكم باتباعه وأكرمكم بالايمان به... فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً

على هذه الأمة من نبيُها، وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ﷺ!! لا واللَّه، ما كان ولا يكون، لله أنتم، ألم تروا ويبلغكم ما اجتُرِم إلى ابن بنت نبيكم ﷺ، أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمته، واستضعافهم وحدته، وترميلهم إياه بالدم، وتِجرارهموه على الأرض، لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول ﷺ، اتَّخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضباع جزراً، فللَّه عينا من رأى مثله! ولله حسين بن علي عليه السلام ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم، ابن أول المسلمين إسلاما، وابن بنت رسول رب العالمين ﷺ، قلَّت حماته وكثرت عداته حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه، فويل للقاتل، وملامة للخاذل! إن اللَّه لم يجعل لقاتله حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح لله في التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى اللَّه عند ذلك أن يقبل التوبة ويُقيل العثرة، إنا ندعوكم إلى كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل بيته عليهم السلام وإلى جهاد المحلِّين والمارقين، فإن قُتِلنا فما عند اللَّه خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا.

وكان رحمه اللَّه يكرر هذا الخطاب كل يوم حتى حفظته العامة.

8 ـ استنهاض شيعة المدائن:

ثم إن سليمان بن صرد كتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان (رض) بالمدائن كتاباً مع عبداللَّه بن مالك الطائي، وكان في هذا الكتاب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومَن قِبَله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد:

فإن الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً وأقبَلَ منها ما كان منكراً... وشيعة آل نبيكم ﷺ نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم ﷺ الذي دُعي فأجاب، ودعا فلم يُجب، وأراد الرجعة فحبُس، وسأل الأمان فمُنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجرَّدوه ظلماً وعدواناً وغِرَّة باللَّه وجهلاً، وبعين اللَّه ما يعملون... ... رأوا أن قد أخطؤوا بخذلان الزكي الطيب وإسلامه وترك مواساته والنصر له

خطأ كبيراً ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحهم، فقد جدَّ إخوانكم فجِدّوا، وأعدوا واستعدوا وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، وموطنا يلقوننا فيه، فأما الأجل فغُرَّة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة...

ثم حرضهم على التوبة ولو كان فيها حزُّ الرقاب وقتل الاولاد واستيفاء الاموال وهلاك العشائر، وذكَّرهم باخوانهم الذين استشهدوا قبلهم صلباً وصبراً وتمثيلاً.

وصل هذا الكتاب إلى سعد فقرأه وبعثه إلى من كان بالمدائن من الشيعة وقال لهم: أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين عليه السلام وقتال عدوه فلم يفجأكم أول من قتله، والله مثيبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة، وقد بعث إليكم أخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون.

فأجابوا جميعاً: نجيبهم ونقاتل معهم، ورأينا في ذلك مثل رأيهم.

ثم كتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد كتاباً يخبره فيه بموافقتهم على القتال، وجاء في الكتاب:

ونحن جادّون مجدُّون معدون مسرِجون ملجمون ننتظر الأمر ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرِّج إن شاء الله والسلام.

9 ـ استنهاض شيعة البصرة:

ثم كتب سليمان بن صرد إلى المثنى بن مخرِّبة العبدي وهو شيخ الشيعة في البصرة يستنهضه على النصرة، وبعث الكتاب مع ظبيان بن عمارة التميمي من بني سعد فلما وصل الكتاب إلى المثنى بن مخرِّبة استجاب وكتب إلى سليمان:

أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت، والسلام.

وكتب بأسفل الكتاب:

تبصَّر كأني قد أتيتك معلماً | على أتلع الهادي أجش هزيم
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه | محش لنار الحرب غير سؤوم
أخي ثقة ينوي الإله بسعيه | ضروب بنصل السيف غير أثيم

10 - إعلان الثورة:

استمر سليمان بن صرد وأصحابه دائبين يدعون الناس إلى أمرهم سرّاً إلى أن هلك يزيد بن معاوية بعد ثلاث سنوات وشهرين من استشهاد الحسين عليه السلام، فعند ذلك تعاظم أمر سليمان بن صرد وأصحابه واشتهرت دعوتهم وأعلنوها على الشيعة وغيرهم، فاستجاب لهم ناس كثير أضعاف من كان استجاب لهم قبل هلاك يزيد، وانتقض أمر والي الكوفة عمرو بن حريث المخزومي خليفة عبيد اللّه بن زياد فوثب به الناس وأخرجوه من القصر واستمرت الأمور هكذا إلى أن أصبحت الكوفة في ولاء عبدالله بن الزبير وتولاها من قِبَله عبداللّه بن يزيد الأنصاري، ولم يكن أمره في الكوفة مستحكماً.

في هذه الأحوال المضطربة مالت القلوب إلى رفع السيف والشروع في طلب الثأر، ثم بدأ الشيعة بزعامة سليمان بن صرد يرتفع صوتهم وتبدر منهم بعض الأعمال الدالة على اشتداد عظمهم وتعاظم قوتهم وقوّة نفوذهم حتى أصبحوا يسعون خلف من يعثرون عليه من بني أمية أو من أنسابهم أو أنساب عبيدالله بن زياد أو من شايعهم وبايعهم على قتل الحسين عليه السلام فيقتلونه إذا قدروا على ذلك.

بل حاولوا في بعض الأيام أن يقتلوا عبيدالله بن زياد، وكادوا أن ينجحوا في ذلك إلا أن الحظ لم يحالفهم، وذلك أن الشيعة بزعامة سليمان ابن صرد قد علمت أن عبيدالله بن زياد ينوي ترك البصرة واللجوء إلى الشام، فخرج سليمان على رأس آلاف الفرسان فكمنوا في الطريق، ولكن كان عبيدالله بن زياد قد احتاط للأمر وأخبر عمر بن الجارود فشدّه تحت بطن الناقة وجعل عليها القرب المنفوخة - ولكنها خالية من الماء - وجعل

الناقة وسط النوق، ولقد انطلت هذه الحيلة على فرسان الشيعة الذين فتَّشوا القافلة ولم يعثروا على ابن زياد.

11 ـ وفاق الشيعة والسلطة:

ولم يزل الشيعة يقومون بنحو هذه الأعمال حتى تحدَّث الناس بالكوفة أن الشيعة بزعامة سليمان بن صرد سيخرجون في الكوفة، فقام أميرها عبداللّه بن يزيد الأنصاري فصعد المنبر فخطب في الناس وكان في خطابه:

بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو، فقيل لي: زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي عليه السلام، فرحم اللّه هؤلاء القوم، قد واللّه دُلِلتُ على أماكنهم وأُمِرت بأخذهم، وقيل ابدأهم قبل أن يبدؤوك، فأبيتُ ذلك، فقلت: إن قاتلوني قاتلتُهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلامَ يقاتلونني!! فواللّه ما أنا قتلت حسيناً عليه السلام، ولا أنا ممن قاتله، ولقد أُصِبتُ بمقتله رحمة اللّه عليه، فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين عليه السلام، فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين عليه السلام وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجَّه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً... ثم استمر يحرضهم على قتال عبيد اللّه بن زياد.

ووافق الشيعة على هذا الطرح فأعلنوا عزمهم على الخروج خارج الكوفة لقتال عبيد اللّه بن زياد وكفُّوا السيف عن أهل الكوفة، وبهذا التوافق بين الشيعة بزعامة سليمان بن صرد وسلطة الكوفة بقيادة عبداللّه بن يزيد الأنصاري تم السكون في الكوفة وخروج الشيعة ينشرون السلاح ظاهرين معلنين يتجهزون بآلة السلاح والكراع يجاهرون بالجمع والسلاح دون وقوع نكير من الشيعة على سلطان الكوفة ولا من سلطان الكوفة على الشيعة.

الباب الثالث

ثورة التوَّابين

1 ـ خروج التوَّابين من الكوفة:

وفي الموعد المقرر أي غرَّة ربيع الآخر خرج سليمان بن صرد في وجوه أصحابه حتى أتى النحيلة وهو المكان الموعود للإجتماع فلم يعجبه عدَّة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيل، وقال لهما: إذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا: يا لثارات الحسين عليه السلام، وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فذهبا ودخلا الكوفة فكانا أول خلق اللَّه دعَوَا: يا لثارات الحسين، وكان صوتاً مدوياً له وقع في نفوس الناس حتى قيل ان رجلاً من الأزد يُقال له: عبداللَّه بن خازم كان مع امرأته وكانت من أجمل الناس وأحبهم إليه، فلما سمع صوت: يا لثارات الحسين عليه السلام ولم يكن ممن استجاب للدعوة فوثب إلى ثيابه، فلبسها، ودعا بسلاحه وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك، أجنِنْتَ!؟ قال: لا واللَّه، ولكني سمعتُ داعي اللَّه فأنا مجيبه، أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضي اللَّه من أمري ما هو أحب إليه، فقالت له امرأته: إلى من تَدَع بُنيَّك هذا؟ قال: إلى اللَّه وحده لا شريك له، اللهم إني أستودعك أهلي وَوَلدي اللَّهم احفظني فيهم وتب عليَّ مما فرَّطت في نصرة ابن بنت نبيِّك صلى الله عليه وآله.

كما يحكى أن كرب بن مرّان كان في المسجد يصلي فسمع: يا

لثارات الحسين عليه السلام، فقال هو: يا لثارات الحسين، أين جماعة القوم، فقيل له: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرَّواع فقالت: يا أبت مالي أراك تقلَّدت سيفك ولبست سلاحك، فقال لها: يا بنيَّة، إن أباك يفر من ذنبه إلى ربِّه، فأخذت تنتحب وتبكي ثم ودعهم ولحق بالقوم.

وهكذا ما زالوا ينادون: يا لثارات الحسين حتى بعد صلاة العشاء واستجاب لهذا النداء عدد من كان في النخيلة وفي الصباح كان العدد أربعة آلاف فارس فقال سليمان بن صرد: سبحان اللَّه ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألف، وأرسل رسله إلى الذين تخلَّفوا عنه يذكرهم اللَّه وما أعطوه من العهود والمواثيق فوافاه نحواً من ألف رجل.

2 ـ قرار المسير:

وما لبث سليمان بن صرد أن عزم على المسير بمن معه فقام في الناس متكئاً على قوسه وقال:

أيها الناس من كان إنما أخرجته إرادة وجه اللَّه وثواب الآخرة فذلك منَّا ونحن منه وحرمة اللَّه عليه حيّاً وميتاً، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فواللَّه ما نأتي فيئاً نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان رب العالمين وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خز ولا حرير وما هي إلا سيوفنا في عواتقنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلغة إلى لقاء عدونا.

فقام أصحابه يتنادون من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا.

3 ـ إقتراح جديد:

تقدم عبدالله بن سعد بن نفيل إلى سليمان بن صرد وعنده رؤوس أصحابه فقال له: إنما خرجنا نطلب بدم الحسين عليه السلام، وقَتَلَة الحسين عليه السلام كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد ابن أبي وقاص ورؤوس الأرباع وأشراف

القبائل فأنّى نذهب هٰهنا وندع الأقتال والأوتار، وقد أعجب هذا الرأي جماعة أصحاب سليمان بن صرد وكاد أن يميلوا إليه إلا أن سليمان بن صرد أصرَّ على المسير إلى عبيد اللّه بن زياد رأس القَتَلة وأميرهم قائلاً: . . . فإن يظهركم اللّه عليه رجونا أن يكون مَن بعده أهون شوكة منه.

4 ـ إقتراح السلطان:

ثم جاء أمير الكوفة عبداللّه بن يزيد الانصاري إلى سليمان بن صرد في النخيلة وعرض عليه البقاء معه للقتال معاً قائلاً:

أنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه اللّه إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسَّر ونتهيأ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم، فأبى سليمان بن صرد إلا تعجيل المسير بأصحابه.

ثم عرض عليه عبداللّه بن يزيد عرضاً آخر أن ينتظر حتى يرسل معه جيشاً كثيفاً فأبى سليمان إلا أن ينفرد بمن له هذه الغاية وهي ثارات الحسين عليه السلام.

5 ـ إعلان المسير وبدايته:

ثم إن سليمان بن صرد عزم على المسير فخطب الناس وحضَّهم على ذكر اللّه والعبادة وطول الصلاة في جوف الليل والتقرب إلى اللّه بكل خير وأخبرهم عن عزمه المسير ليلاً إلى دير الأعور.

سارت الجموع من النخيلة إلى دير الأعور، ثم من دير الأعور إلى أقساس مالك على شاطىء الفرات، فعرض الناس فرأى أن قد نقصوا نحو من ألف رجل، فقال ابن صرد: ما أحب أن من تخلَّف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالا، إن اللّه عز وجل كره انبعاثهم فثبَّطهم وخصَّكم بفضل ذلك فاحمدوا ذلك.

ثم ساروا ليلاً من أقساس مالك فأصبحوا صباحاً عند قبر الحسين عليه السلام.

6 ـ عند قبر الحسين عليه السلام:

لما انتهت جموع التّوابين إلى قبر الحسين عليه السلام بكوا بأجمعهم ورفعوا أصواتهم ورموا أنفسهم عن دوابهم ونادوا صيحة واحدة:

اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصدِّيق ابن الصدِّيق، يا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا صلى الله عليه وآله فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً عليه السلام وأصحابه الشهداء الصّديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قُتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وما زالوا يومهم على قبر الحسين عليه السلام يبكون ويئنون ويتمنون أن يكونوا اصيبوا معه، فما رُئي يوم كان أكثر باكياً من هذا اليوم.

وقال سليمان بن صرد: اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم.

7 ـ وداع الحسين عليه السلام:

استمروا بالبكاء والنحيب والتضرع يوماً وليلة حتى أصبحوا وصلوا الغداة عند قبر الحسين عليه السلام، فأمرهم سليمان بن صرد بالمسير، فجعل الرجل منهم لا يسير حتى يأتي قبر الحسين عليه السلام فيقوم عنده ويترحم عليه ويستغفر له حتى ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود، وهم يقولون: اللهم إنا خرجنا من الديار والأموال وفارقنا الأهلين والأولاد، نريد جهاد الفاسقين المحلين الذين قتلوا ابن بنت نبيك صلى الله عليه وآله فتب علينا وارزقنا الشهادة...

وكان سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة عند القبر كلما دعا قوم

وترحموا على الحسين عليه السلام قالا لهما: إلحقوا بإخوانكم، فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال: الحمد للّه الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين عليه السلام، اللهم إذا حرمتناها فلا تحرمناها فيه بعده.

ثم قال عبدالله بن وال: إني لأظن حسيناً عليه السلام وأباه عليه السلام وأخاه عليه السلام أفضل أمة محمد وسيلة عند اللّه يوم القيامة أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم، إنهم قتلوا اثنين وأشرفوا بالثالث على القتل.

فقال المسيب بن نجبة: فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم بريء إياهم أعادي وأقاتل.

فقال المثنى بن مخرّبة: إن اللّه جعل هؤلاء الذين ذكرتهم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وآله أفضل ممن هو دون نبيهم صلى الله عليه وآله، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ومنهم براء، وقد خرجنا من الديار والأهلين والاموال إرادة استئصال من قتلهم، فواللّه لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فإن ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة.

ثم تكلم كل واحد منهم بنحو ذلك وودَّعوا القبر وساروا وقام وهب ابن زمعة الجعفي على قبر الحسين عليه السلام باكياً فأنشد وهو يودِّعه أبياتاً لعبيدالله ابن الحر الجعفي يقول:

تبيت النشاوى من أمية نوَّماً	وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيَّع الاسلام إلا قبيلة	تأمَّر نوكاها ودام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كفِّ ظالم	إذا اعوجَّ منها جانب لا يقيمها
فأقسمتُ لا تنفك نفسي حزينةً	وعيني تبكي لا يجف سجومها
حياتي أو تلقى أمية خزية	يذلُّ لها حتى الممات قرومها

8 ـ التوابون في الطريق:

سارت جموع التوابين من كربلاء إلى الحصَّاصة ومنها إلى الأنبار ثم الصدود ثم القيارة، وفي القيارة وصل إلى سليمان بن صرد كتاب من والي

الكوفة عبدالله بن يزيد يكرر في الكتاب دعوته جماعة التوابين أن ينضموا إلى جيشه، وفي الكتاب: . . .

يا قومنا لا تُطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم ومتى ما يصبكم عدوّكم يعلموا أنكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، . . . يا قوم إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا. . .

رفض التوابون هذا العرض الذي سبق وأن رفضوه في الكوفة وفي النخيلة، ورفضه سليمان فقال: واللَّه إنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم اللَّه عليه من الحق وأردتم به من الفضل، إنا وهؤلاء مختلفون، إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً . . .

ثم كتب سليمان إلى عبدالله بن يزيد كتاباً يعلمه رفضهم لعرضه وفيه: . . . . . . إنا سمعنا اللَّه عز وجل يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ إن القوم قد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا إلى اللَّه وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى اللَّه ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ والسلام عليك.

فلما وصل الكتاب إلى والي الكوفة وقرأه قال: استمات القوم، أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وايم اللَّه ليُقتلُنَّ كراماً مسلمين. . .

٩ ـ التوّابون في قرقيسيا:

ثم سار القوم إلى هيت ومنها وصلوا إلى قرقيسيا وعليها زُفر بن الحارث الكلابي فوجدوا أهلها قد تحصنوا منهم ولم يخرجوا إليهم، فبعث

سليمان بن صرد المسيب بن نجبة فقال له: ائت ابن عمك ـ أي زفر بن الحارث ـ فقل له: فليخرج إلينا سوقاً فإنا لسنا إياه نريد، إنما صمدنا لهؤلاء المحلين، فخرج المسيب من نجبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا فقال: افتحوا، ممن تحصنون!! فقالوا: من أنت، قال أنا المسيب بن نجبة، فأتى الهذيل بن زفر بن الحارث إلى أبيه فقال له: هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو فقال: المسيب بن نجبة، فقال زفر لابنه الهذيل: أما تدري يا بني من هذا، هذا فارس مضر الحمراء كلها، وإذا عُدَّ من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين، إئذن له، فأذنوا له، فدخل على زُفر فأجلسه إلى جانبه وساءله وألطفه في المسألة وقال للمسيب: إنا لم نغلق ابواب هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعتريتم أم غيرنا، إنا واللَّه ما بنا عجز عن الناس ما لم تدهمنا حيلة، وما نحب أنا بلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسن جميلة، ثم أمر بإخراج السوق وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فقال المسيب: أما المال فلا حاجة لي فيه، واللَّه ما له خرجنا، ولا إياه طلبنا، وأما الفرس فإني أقبله لعلي احتاج إليه إن ظَلَع فرسي أو غمز تحتي.

ثم إن زفر بن الحارث استضاف القوم وقدَّم لهم ما يلزمهم وخرج إلى سليمان بن صرد ليشيِّعه وأصحابه فقال له: . . قد جاؤوكم (أهل الشام) في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحدُّ حديد، وأيم اللَّه لقلَّ ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدة ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك، ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تحصى.

فقال ابن صرد: على اللَّه توكلنا وعلى اللَّه فليتوكل المتوكلون.

10 ـ التهيئة للحرب:

ثم إن زفر عرض على سليمان أن يبقى معه في قرقيسيا ليقاتلا معاً جيش أهل الشام الآتي بقيادة عبيدالله بن زياد فأبى سليمان إلا المسير فودَّعه ونصحه بما ينفعه في قتال أهل الشام، ونصحه بأن يسبقهم إلى عين الوردة ويعسكر هناك، ويقاتلهم هناك، وقبل سليمان هذه النصيحة، فعبَّأ

جيشه كتائب كما قال له زفر ثم جدَّ السير إلى عين الوردة فوصلها قبل أهل الشام، فعسكر في غربيِّها وأقام بها خمساً لا يبرح حتى اطمأنوا واستراحوا حتى اقترب جيش أهل الشام، فقام سليمان بن صرد في عسكره يحرضهم على الزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة والإخلاص في الحرب التي سعوا إليها ثم قال لهم: إن أنا قُتِلتُ فأمير الناس المسيب بن نجبة، فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبدالله بن سعد بن نفيل، فإن قُتِل عبدالله بن سعد فأمير الناس عبدالله بن وال، فإن قُتِل عبدالله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد.

11 ـ الحرب:

ثم إن سليمان بن صرد أرسل المسيب بن نجبة في اربعمائة فارس ثم قال له: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم فشن فيهم الغارة.

سار المسيب مع فرسانه فكان أول عسكر هو عسكر ذي الكلاع الحميري، فما شعروا إلا والفرسان في عسكرهم وهم غارّون فما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فقتلوا منهم رجالاً وجرحوا فيهم جراحات كثيرة وغنموا العسكر وانصرفوا إلى سليمان بن صرد، وكانت هذه الغارة الأولى التي انتصر فيها التوابون.

وصل الخبر إلى قائد جيش أهل الشام وهو عبيدالله بن زياد، فأرسل الحصين بن نمير على رأس اثني عشر ألف مقاتل، فجاء مسرعاً فاصطف الجيشان متقابلين فدعا أهل الشام إلى بيعة عبد الملك بن مروان، ودعا التوابون إلى قتل عبيدالله بن زياد وبيعة أهل بيت النبيﷺ، فردَّ كل من الجيشين دعوة عدوِّه، ثم حملوا على بعضهم والتحم الجيشان وكانت الدولة للتوابين حتى تراجع جيش الشام إلى معسكره، وما زال الظفر عامة اليوم حليف التوابين حتى حجز الليل بينهما.

12 ـ اليوم الثاني:

فلما كان من صبيحة اليوم الثاني أقبل ابن ذي الكلاع بثمانية آلاف فانضم إلى الحصين بن نمير فأصبحا جيشاً واحداً عشرين ألف مقاتل بقيادة ابن نمير، ثم حملوا على التوابين وحمل التوابون عليهم فوقع عامة اليوم قتال مهول لم ير الشيب والمُرد مثله، وكان في التوابين رجال يمرّون بين الصفوف يحرّضون على القتال ويذكرون بالله وبلقاء الأحبة في الجنة والراحة من الدنيا، ولم يكن في هذا اليوم دولة لأحدهما حتى حجز الليل بينهما فتحاجزا.

13 ـ اليوم الثالث:

فلما كان من صبيحة اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أقبل أدهم بن محرز الباهلي في عشرة آلاف فانضم إلى ابن نمير فأصبحوا ثلاثين ألفاً يمدّهم من خلفهم عشرات الآلاف بقيادة عبيدالله بن زياد، وفي رواية أبي مخنف أن جيش عبيدالله بن زياد كان ثلاثمائة ألف فارس، وكانت الفرقة المواجهة للتوّابين عددها مائة ألف.

14 ـ شهادة سليمان بن صرد:

وكيف كان فقد حمل أهل الشام على التوابين في قتال شديد ظهر فيه أهل الشام لكثرتهم، فأحاطوا بالتوابين من كل جانب وحينها نزل سليمان ابن صُرد فنادى: عباد اللّه من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده إليَّ ثم كسر جفن سيفه ـ وهذه علامة الإستماتة عند العرب ـ وتقدم نحو أهل الشام وهو يقول:

إليك ربي تبت من ذنوبي ... وقد علاني في الورى مشيبي
فارحم عبُيداً عرما تكذيب ... واغفر ذنوبي سيدي وحوبي

فجاءه ناس كثيرون فنزلوا عن خيولهم وكسروا جفون سيوفهم ومشوا مصلتين سيوفهم نحو أهل الشام، فقاتلوا مستميتين فاستشهد سليمان بن صرد رحمه اللّه.

15 ـ شهادة المسيب بن نجبة:

فأخذ الراية المسيب بن نجبه وقال لسليمان بن صرد: رحمَك اللّه يا أخي لقد صدقتَ ووفَيت بما عليك، وبقي ما علينا، ثم شدَّ على أهل الشام كرَّات عدة حتى استشهد، وكان قتاله مشهوداً حتى قيل فيه: واللّه ما رأيت أشجع منه إنساناً قط ولا من العصابة التي كان فيهم... وما ظننتُ أن رجلاً واحداً يقدر أن يُبلي مثل ما أبلى ولا ينكأ في عدوه مثل ما نكأ، وكان يقول قبل مقتله:

قد علمت ميَّالة الذوائب ... واضحة اللّبَّاتِ والترائب
أني غداة الروع والتغالب ... أشجع من ذي لَبِد مواثب
قطَّاع أقران مخوف الجانب

16 ـ شهادة عبد الله بن سعد:

ثم أخذ الراية عبدالله بن سعد بن نُفيل فقال: أخويَّ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلوا تبديلا، وفي هذه الأثناء وصل مائة وسبعين مقاتل مقدمة التوابين من أهل المدائن فقالوا: أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة، فقال لهم عبدالله بن سعد: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء، ثم حمل على أهل الشام فطعن فيهم وهو يقول:

ارحم إلهي عبدك التوابا ... ولا تؤاخذه فقد أنابا
وفارق الأهلين والأحبابا ... يرجو بذاك الفوز والثوابا

ثم شدَّ فقاتل حتى استشهد (ره).

17 ـ شهادة عبد الله بن وال:

وأخذ الراية عبدالله بن وال فقال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت والراحة التي لبس بعدها نَصَب والسرور الذي ليس بعده حَزَن فليتقرب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلّين والرواح إلى الجنة رحمكم اللّه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فرحين ـ

الآية، ثم قاتل حتى كشف أهل الشام وهو يقول:

نفسي فداكم اذكروا الميثاقا وصابروهم واحذروا النفاقا
لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعتاقا

ثم كشفوه واستشهد (ره).

ويروي أبو مخنف أن خسائر أهل الشام في هذه الوقعات الرهيبة كانت ما يزيد عن ستين ألف فارس، وأما شهداء التوّابين فكانت ما يقارب الأربعة آلاف رحمهم اللّه جميعاً.

18 ـ قرار الانسحاب:

عندما استشهد ابن وال أخذ الراية رفاعة بن شداد الذي كان يرى ضرورة الإنسحاب من المعركة ونصحه عبدالله بن عوف بن الأحمر بالصمود إلى الليل فينسحبون تحت غطاء الليل فيأخذون جرحاهم ويسيرون العشرة والعشرون، فاتبع رفاعة بن شداد هذه النصيحة وعمل بها.

حاول أهل الشام استئصالهم قبل الليل وجهدوا في هذا السبيل إلا أن التوابين صمدوا وكانوا فرساناً شجعاناً أشداء فصمدوا إلى العشاء.

19 ـ قرار المستميتين:

ولكن في التوابين جماعات رفضوا الانسحاب، واستماتوا حين علموا بقرار الإنسحاب، من هؤلاء الوليد بن غضين الكناني الذي رفض أن يمسك الراية فقال لرفاعة بن شداد: إني أريد لقاء ربي واللحاق بإخواني والخروج من الدنيا إلى الآخرة... ثم قاتل مع أصحابه يعينهم على الصمود والبقاء حتى الليل وقاتل حتى قتل قبل الانسحاب.

ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الإنسحاب فارس من بني كندة اسمه عبدالله بن عزيز الكندي (الكناني) وكان معه ابنه محمد غلام صغير فتقدم فنادى أهل الشام فقال: يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة

(كنانة)؟، فخرج إليه رجال فقالوا: نعم نحن هؤلاء، فدفع إليهم إبنه وقال لهم: دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة فأنا عبدالله بن عزيز الكندي، فقالوا له: انت ابن عمنا فإنك آمن، فقال لهم: واللّه لا أرغب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللأرض أوتاداً وبمثلهم كان اللّه يُذكر، عندما قال هذا القول أخذ ابنه الصغير يبكي في أثر أبيه، فقال له: يا بني، لو أن شيئاً كان آثر عندي من طاعة ربي إذاً لكنت أنت، عند ذلك شتد جزع ابنه وبكاؤه، فناشده قومه الشاميون أن يعود عن نيّته حتى أخذتهم الرقة وبكوا وجزعوا، ولكنه اعتزلهم وشدَّ على الصفوف فقاتل حتى قتل رحمه اللّه.

ومن هؤلاء المستميتين كريب بن زيد الحميري كان معه راية بلقاء على مائة فارس فبلغه عزم رفاعة بن شداد على الإنسحاب ليلاً فجمع أصحابه من حِمير وهمدان فقال لهم: عباد اللّه، روحوا إلى ربكم، واللّه ما من شيء من الدنيا خَلَف من رضاء اللّه والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم، فأما أنا فوالله لا أولّي هذا العدو ظهري حتى أرِد موارد إخواني، فأجابوه وقالوا: رأينا مثل رأيك، فحمل الراية ومضى متقدماً نحو أهل الشام فرأى الراية من أهل الشام ابن ذي الكلاع الحميري فقال: واللّه إني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية، فاقترب من الراية فسألهم فأخبروه، فقال لهم: إنكم آمنون، فقال له كريب ابن زيد: إنا قد كنا آمِنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم اللّه جميعاً.

ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الإنسحاب صُخير بن حذيفة بن هلال المزني في ثلاثين مقاتل من مُزَينة فقال لهم: لا تهابوا الموت في اللّه فإنه لاقيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى اللّه فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب اللّه فإن ما عند اللّه خير لكم، ثم تقدموا فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم اللّه.

ومن هؤلاء المستميتين رجل من مزينة اسمه عبيدة بن سفيان المزني

انسحب مع المنسحبين فلما غَفِل أصحابه عنه عاد راجعاً فشد على أهل الشام بسيفه يقاتلهم وهو يقول:

إنـي مـن الـلَّـه إلـى الـلَّـه أفِـر رضـوانـك الـلـهـم أبـدي وأُسِـرّ

وكان مغرقباً فرسه، فقالوا له: ممَّن أنت؟، فقال: من بني آدم، فقالوا له: ممن؟، فقال: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني، يا مخرِّبي البيت الحرام، فقاتلهم، فشدّوا عليه من كل جانب وشد عليهم كأشد رجل حتى قُتِل رحمه اللَّه.

ومن هؤلاء المستميتين عبدالله بن غزية الذي وقف على القتلى وهو يهم بالإنسحاب: فخاطب القتلى من إخوانه وقال: يرحمكم اللَّه فقد صدقتم وصبرتم، وكذبنا وفررنا، ثم سار منسحباً مع الناس حتى الصباح وإذا به مع عشرين رجلاً قد أراد الرجوع إلى العدو والاستقتال فجاء إليه رفاعة بن شداد وعبدالله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا له ولأصحابه: ننشدكم اللَّه ألا تزيدونا فلولاً ونقصاناً فإنا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوي النيَّات، ولم يزالوا بهم يناشدونهم حتى ردوهم عما كانوا قد عزموا عليه من العودة فبقوا مع المنسحبين.

20 ـ إنسحاب الفلول:

وهكذا عندما جنَّ الليل وحجز بين الفريقين انسحب رفاعة بن شداد فيمن بقي معه من الفرسان، وحمل الرجال الذين عُقر بهم أو الجرحى وسار بالقوم متستراً بالليل، وسار كل الليل والصباح وكان يعبر المعابر ولا يمضي على معبر إلا قطعه خلفه، فلم يزل كذلك مجدّاً حتى وصل قرقيسيا فاستضافهم زفر بن الحارث الكلابي كما استضافهم عند ذهابهم. ثم رجع كل رجل إلى قومه.

وبهذا يكون قد انتهى فصل من أروع فصول التوبة والندم في هذه الأمة على مقتل سيد الشهداء سبط رسول اللَّه الحسين بن علي عليه السلام.

وكان هؤلاء الذين استشهدوا من أكابر رجال الكوفة وأفاضلهم

وفرسانهم وشجعانهم وأبطالهم وأهل الدين المستبصرين، ولا أرى إلا أن اللّه تعالى قد غسل بدمائهم التي اراقوها في عين الورده ذنبهم في تخاذلهم عن نصرة الحسينعليه السلام في كربلاء فصلى اللّه عليهم وحشرهم مع سيدهم ومولاهم الذين غضبوا له، ونسأل اللّه أن يختم لنا بشهادة تلحقنا بسيدنا ومولانا الحسين بن عليعليه السلام.

الفصل السادس

ثورة المختار والأخذ بالثأر

الباب الأول

تاريخ المختار

1 ـ الإخبار بالمختار:

روي في الاخبار أن الحسينعليه السلام خطب بالقوم يوم عاشوراء يحذرهم وينذرهم، فقالعليه السلام في خطبته: . . . ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهد عهده إليَّ أبي عن جدّيصلى الله عليه وآله، فأجمعُوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً فلا تنظرون إني توكلت على اللّه ربي وربكم وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسفعليه السلام، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرّونا وكذّبونا وخذلونا.

سلام اللّه عليك يا أبا عبدالله، فلم تنقض السنين حتى بعث اللّه غلام ثقيف ـ أعني المختار ابن أبي عبيدة الثقفي ـ فانتقم منهم كما ستأتيك أخباره، وإليك التفصيل:

2 ـ المختار مع مسلم بن عقيل:

كان المختار ابن أبي عبيدة الثقفي ممن بايع مسلم بن عقيل حين أوفده الحسينعليه السلام إلى الكوفة، وقد نزل مسلم بن عقيل حين نزل الكوفة

في دار المختار، وكان المختار مناصحاً لمسلم بن عقيل في دعوته ولكنه كان يوم خروج مسلم بن عقيل خارج الكوفة في قرية تُدعى لقفا، وكان خروج مسلم بن عقيل واعلانه الحرب على عبيدالله بن زياد على غير ميعاد فعندما وصله الخبر أقبل في جماعته ومواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء، فوصلها بعد الغروب وكان مسلم قد اختفى حينها، فوقف المختار على باب من أبواب المسجد واسمه باب الثعبان، ويقال له باب الفيل، لا يدري ما يصنع فأشاروا عليه بالسكون فسكن، فجاء إلى عمرو بن حريث صاحب راية عبيدالله بن زياد فسلَّم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وذلك بعد أن أخِذ له الأمان من عمرو بن حريث على أن يشهد له عند عبيد الله بن زياد ويشفع له عنده.

3 ـ المختار عند ابن زياد:

وبعد ارتفاع النهار فُتِح باب عبيد اللّه بن زياد وأذِن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد اللّه بن زياد فقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث وبتُّ معه وأصبحت معه، فقال عمرو بن حريث: صدق، فرفع عبيداللّه بن زياد القضيب وضرب به وجه المختار فخبط به عينه فشترها، وقال له: أولى لك، أما واللّه لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، ثم أمر به إلى السجن.

4 ـ المختار في السجن:

بقي في السجن إلى حين قُتِل الحسين عليه السلام وأحضِرت السبايا إلى مجلس عبيداللّه بن زياد فأمر ابن زياد بإحضار المختار، فلما أحضِر المختار ورأى السبايا على هيئة منكرة زفر زفرة شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار، فغضب ابن زياد فأرجعه إلى السجن وعزم على أن يبقيه في السجن إلى أن يموت فيه، فجعله في السجن في طامورة تحت الأرض بعشرين ذراعاً، مغلولة يده إلى عنقه، لا يستطيع الإلتفات

يميناً ولا شمالاً بسبب القيد وهو مع ذلك قد اسودَّ وجهه وهو جريح وجرحه يخرج القيح.

بقي المختار في سجن عبيدالله بن زياد، وكان ابن زياد لا يشك أنه يموت في حبسه، وقد جهد المختار في إيصال خبره إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب ليشفع له ويسعى في إخراجه من هذا السجن ولم يجد إلى ذلك حيلة حتى يسر الله له قضاء حاجته في قصة[1] طريفه أدت إلى أن

---

(١) ملخص هذه القصة الطريفة التي رواها أبو مخنف أنه كان في الكوفة معلم صبيان ذو عقل وأدب وكان موالياً لأهل البيت عليهم السلام فشرب الماء مرة فقال: اللهم العن من قتل الحسين عليه السلام ومن منعه من شرب الماء، وكان في جملة الصبيان الذين يتعلمون عند هذا المعلم ولد سنان بن أنس النخعي الملعون، فلما سمعه قال: هكذا تببِّ الخليفة وتلعن الأمير عبيد الله بن زياد، ثم ما لبث الصبي أن جرح نفسه بسكين وفضخ رأسه بحجر وخضَّب وجهه بالدم ثم مضى إلى أمه فلما رأته أمه صرخت وسألته فقال: ان المعلم شرب الماء ولعن الخليفة ولعن الأمير عبيد الله بن زياد فلما لمته على ذلك فعل بي ذلك، فما كان من أمه إلى أن أخذته بهذا الحال إلى دار ابن زياد صارخة حتى خرج سنان بن أنس وأخبرته الخبر فأدخله على ابن زياد وحكى له، فأمر ابن زياد بإحضار المعلم مكتوف اليدين مكشوف الرأس، فأحضروه على هذا الحال ثم أمر به إلى السجن حتى يسأل الشهود.

فأمر أن يجعلوه في الطامورة وكان لها ثلاثة أبواب تحت الأرض على كل باب قفل يُقفَل ويُختَم بخاتم عبيد الله بن زياد.

قال المعلم ـ واسمه عمير بن عامر الهمداني ـ: أدخلوني الباب الأول والثاني حتى نزلت تحت الطامورة بعشرين ذراعاً، فلما نزلتُ لم أبصر شيئاً، فصبرت ساعة حتى أضاء بصري، فرأيتُ قوماً يستغيثون فلا يُغَاثون، وسمعت في آخر الطامورة أنيناً عالياً، فتخطَّيت الرقاب حتى وصلت إلى الأنين وإذا أنا برجل مقيَّد، مغلولة يداه إلى عنقه، وهو جالس لا يقدر أن يلتفت يميناً ولا شمالاً، وهو يتنفَّس الصعداء، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، ورفع رأسه ونظر إليَّ، وإذا بشعره قد غطَّى عينيه ووجهه، فقلتُ: يا هذا، ما الذي جنيت حتى نزلت بك هذه المصيبة فقال: استوجبت ذلك لأني من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام وموالي ولده الحسين عليه السلام، فقلت: من أنت من أصحاب الحسين عليه السلام؟، فقال: أنا المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، ثم قال المختار بعد أن عرف قصَّته: ليس هذا موضع المعلّمين بل موضع من يأخذ بثأر الحسين عليه السلام، ولكن أنت يا عمير لا تغتم وطب نفساً وقر عيناً فإنك تخرج عما قريب، ولم تمض الأيام حتى صار بين المعلم والمختار علقة، وما لبثا وهما يتحدثان أن سمعا فتح الأقفال، فقال المختار: هذه الساعة يفرِّج الله عنك وتخرج، فقال عمير: والله يصعب عليَّ فراقك وإن كنتُ كارهاً لهذا الموضع فلما =

يشفع فيه صهره وزوج أخته عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى يزيد بن معاوية فشفعه وكتب إلى ابن زياد يأمره بتخلية سبيلة، فأخلي سبيله وأجَّله ثلاثة أيام في الكوفة.

5 ـ خروج المختار من السجن:

خرج المختار من الكوفة إلى مكة وهو يتوعد عبيد اللّه بن زياد ويعلن أنه سيثأر للحسين بن علي عليه السلام وأنه سيقتل عبيد اللّه بن زياد وسيقتل على دماء الحسين عليه السلام عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام.

أقبل المختار إلى مكة فبايع عبدالله بن الزبير على أن لا يقضي الأمور دونه وعلى أن يكون أول من يأذن له وأنه إذا ظهر استعان به على

= وجدتك اشتهيتُ أن لا أفارقك طرفة عين، فقال المختار: أريد أن توصل إليَّ ورقة ولو قدر شبر، وقلماً ولو قدر إبهام، ومداداً ولو في قشر جوزة، وعندما خرج المعلم من السجن لم يكن له همَّة إلا تحقيق حاجة المختار وبذل في سبيل ذلك الأموال وصادف أن السجان ممن يوالي أهل البيت عليهم السلام ويكتم أمره، فاستطاع أن يوصل للمختار ما أراد فكتب كتابين أحدهما إلى أخته واسمها صفيَّة، وثانيهما إلى زوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب، أخذهما المعلم ولم يزل يجد السير أياماً وليالي حتى وصل إلى المدينة، فدخل دار عبد الله بن عمر وكانت زوجته أخت المختار لعظيم حزنها على أخيها لا تأكل وكان زوجها يحضر غرائب الطعام مطبوخاً ومشوياً لتأكل وهي تقول: لا آكل حتى أعرف خبر أخي بأنه طيِّب سالم، وما أن سمعت أن رجلاً من أهل الكوفة على باب دارها حتى خفق فؤادها وخرَّت مغشياً عليها، عندما قرأ عبد الله بن عمر الكتاب بكى وخنقته العبرة ودخل على زوجته فبشَّرها وأطلعها على الكتابين فبكت بكاءً شديداً وأصرَّت على زوجها أن تدخل على الكوفي لتنظر إلى من نظر إلى غرَّة أخيها، فأذن لها فدخلت عليه وجلست عنده واستخبرت أخباره واستقصت حتى وصف لها كل ما هو فيه من قيد وجروح فلما سمعت خرجت صارخة فجزَّت شعرها وشعر بناتها ورمت به بين يدي زوجها فقال لها: ويلك ما هذا، فقالت: والله لا اجتمعت أنا وأنت تحت سقف واحد وأخي على تلك الحال، عاجل عبد الله بن عمر الرسول إلى يزيد يطلب شفاعته في المختار وجعل مع الكتاب شعر زوجته وبناته، فلما وصل الرسول وهو هذا المعلم الكوفي احتال بأنواع الحيل للدخول على يزيد فلما دخل وأقرأه الكتاب ورأى الشعور اصفرَّ وجهه وتغيَّر لونه وقضى في الإفراج عن المختار وكتب بذلك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد.

أفضل عمله، وبقي معه في مكة وقاتل معه أيام القتال أحسن القتال، واستمر على ذلك حتى هلك يزيد بن معاوية وعلا شأن عبدالله بن الزبير في الحجاز والعراق، ولكن عبدالله بن الزبير لم يف للمختار بما بايعه عليه فلم يستعمله على شيء، فتركه بعد خمسة أشهر من هلاك يزيد وقدِم الكوفة معلناً شعار الثأر للحسين عليه السلام.

6 ـ المختار في الكوفة:

وكانت الشيعة في الكوفة قد أوكلت أمرها إلى سليمان بن صرد الخزاعي إلا أن المختار لم يرتض ذلك وأعلن أنه هو المتولي لأخذ الثأر وطلب من الشيعة أن يناصروه وأن يتركوا سليمان بن صرد مستنداً في ذلك إلى أسباب ثلاثة:

الأول: أنه وكيل محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بمحمد ابن الحنفية فكان يقول للشيعة: إن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء، وكان يقول: إني قد جئتكم من قبل ولي الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء.

الثاني: أنه يسعى إلى الثأر بعد إحكام الأمور وأما سليمان بن صرد فإنما يسعى إلى الشهادة والتوبة، وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا ـ يعني سليمان بن صرد ـ إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها، إني إنما أعمل مثال قد مُثّل لي وأمر قد بُيّن لي فيه عزُّ وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قولي وأطيعوا أمري ثم ابشروا وتباشروا فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم.

الثالث: إن المختار كان يرى أن الثأر للحسين عليه السلام ينطلق من السيطرة على الكوفة، بخلاف مقولة سليمان بن صرد الذي كان يرى أن الثأر ينطلق

من محاربة وقتال رأس قتلة الحسين عليه السلام وهم عبيدالله بن زياد وأهل الشام.

لأجل هذه الأسباب الثلاثة مال إلى المختار جماعة من الشيعة وعقدوا عليه وبايعوه على القتال معه وتركوا سليمان بن صرد واستمر في الدعوة إلى نفسه في أصحابه إلا أنه لم يعظم أمره لأن عامة الشيعة كانت في دعوة سليمان بن صرد ولم يكن للمختار في ظل سليمان بن صرد إلا قليل من الانصار والاعوان الذين اعتقدوا به ومالوا إليه.

7 ـ نبوءة المختار:

اشتهر عن المختار أنه كان ومن أول أمره يتنبأ بأنه سيقتل قتلة الحسين عليه السلام وقد روى المؤرخون كثيراً من هذه النبوءات على لسان المختار، وإليك بعض كلماته.

١ ـ روى ابن العِرق مولى لبني ثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة استقبلت المختار ابن أبي عبيدة خارجاً يريد الحجاز حين خلّى سبيله ابن زياد، فلما استقبلته رحَّبتُ به ـ وعطفت عليه فلما رأيتَ شتر عينه استرجعتُ له وقلت له بعدما توجَّعتُ له: ما بالُ عينك، صرف اللّه عنك السوء، فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترى، فقلت له: ما له شلَّت أنامله، فقال المختار: قتلني اللّه إن لم أقطع أنامله وأرجله وأعضاءه إرباً إرباً، فعجبتُ لمقالته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك اللّه، فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه... ثم قال المختار:... إن الفتنة قد ارعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرتُ فيه فقل: إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي عليه السلام، فوربك لأقتلن بقتله عدَّة القتلى التي قُتِلت على دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فقلت له: سبحان اللّه، وهذه الأعجوبة مع الأحدوثة الأولى، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه.

٢ ـ وعندما كان في مكة مضى فاستوطن في ثقيف مدة فكان يقول

لهم: أنا صاحب الغضب ومبير الجبارين.

٣ ـ دخل عليه يحيى بن أبي عيسى وحميد بن مسلم الازدي وهو في سجن الكوفة فقال لهما: أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامِة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفَين الأخيار لأقتلن كل جبَّار بكل لدن خطَّار ومهنَّد بتَّار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمتُ عمود الدين ورأبتُ شعب صدع المسلمين وشفيتُ غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين لم يكبر عليَّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

8 ـ سرّ النبوءات:

استغلَّ اعداء المختار هذه النبوءات ليصفوه بالكهانة وهو وصف مقارن للكذب والكفر في اذهان المسلمين في تلك الأيام، وبذلك استطاعوا أن يشيعوا بين الناس أنه كاهن كاذب سجَّاع كافر، ومن ثم نشروا عنه أكاذيب وأفعال وأوصاف غريبة لا أصدّق شيئاً منها ولا أراه إلا مسلماً ثار للثأر بدماء الحسين عليه السلام وفقه اللّه إلى النصر، ولعل السبب في هذه النبوءات الصادرة من المختار هي أن يكون المختار قد سمع بذلك من الصادقين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ولنا في ذلك خبر يقول بأنه عندما كان المختار في سجن ابن زياد كان في السجن معه عبدالله بن الحارث بن نوفل وصاحب علي عليه السلام ميثم التمار، فطلب عبدالله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه يتهيأ للموت وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيتُ ما على بدني من الشَعر، فقال ميثم للمختار، وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا ـ عبيدالله بن زياد ـ وتطأ بقدميك على وجنتيه.

الباب الثاني

دعوة المختار

1 ـ نداء المختار:

عندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي مع جماعة الشيعة من الكوفة إلى قتال عبيدالله بن زياد استغل أنصار عبدالله بن الزبير وقتلة الحسين عليه السلام ووالي الكوفة عبدالله بن يزيد هذا الأمر اعني غياب الشيعة من الكوفة فمشى عمر بن سعد وشبث بن ربعي ويزيد بن الحارث وهم من قتلة الحسين عليه السلام، مشوا إلى والي الكوفة عبدالله بن يزيد الانصاري فقالوا له: إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان بن صرد إنما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فساروا إليه فما شعر المختار إلا وقد أحاطوا به وبداره، فاستخرجوه وسجنوه وبقي في السجن إلى حين وصل الخبر إليه بعودة رفاعة بن شداد على رأس التوابين المنسحبين من معركة عين الوردة، فكتب المختار إلى رفاعة بن شداد من السجن:

أما بعد فمرحباً بالعُصَب الذين أعظم اللّه لهم الأجر حين انصرفوا ورضي انصرافهم حين قَفلوا، أما وربِّ البنية ما خطا خاط منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب اللّه له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه اللّه فجعل روحه مع أرواح الانبياء والصديقين والشهداء

والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تُنصرون، إني أنا الأمير المأمور والأمين المأمون، وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الأوتار، فأعدُّوا واستعدّوا وابشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب اللّه وسنة نبيهﷺ وإلى الطلب بدماء أهل البيتﷺ والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام.

وكتب بنحو ذلك إلى المثنى بن مخرِّبة العبدي في البصرة وإلى سعد ابن حذيفة بن اليمان في البصرة وإلى يزيد بن أنس وجماعة من أعيان الشيعة.

2 ـ إجابة الشيعة:

فكتبوا إليه وهو في السجن يقبلون دعوته ـ وأنهم مجتمعون عليه وإن شاء أخرجوه من السجن فاستمهلهم، ولم يلبث أن شفع فيه عبدالله بن عمر ابن الخطاب عند وال الكوفة عبدالله بن يزيد وصاحبه إبراهيم بن محمد بن طلحة فأخرجاه من السجن بعد أن حلف لهما أنه لا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحرار.

3 ـ الإستئذان من محمد ابن الحنفية:

بعد استشهاد سليمان بن صرد تعاظمت دعوة المختار وهو في السجن فانتشر دعاته يبايعون الناس له، فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يتعاظم وهو في السجن، وبعد خروجه من السجن عظمت شوكته وأجمعت عليه الشيعة وقوي جانبه، وكان الذي قوَّى جانبه، وشدَّد أمره أن جماعة من أكابر الشيعة ووجهائهم اجتمعوا في منزل سِعر ابن أبي سِعر الحنفي فقال جماعة منهم عبد الرحمن بن شريح الشبامي الهمداني: إن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا محمد ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتّباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فأجمع رأيهم على تعجيل الخروج

فخرجوا حتى لقوا محمد ابن الحنفية فقالوا له: أما بعد، فإنكم أهل بيت خصَّكم اللَّه بالفضيلة وشرَّفكم بالنبوة وعظَّم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أُصِبتم بحسينﷺ عظمت مصيبة اختُصِصتم بها بعدما عمَّ بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيدة يزعم لنا أنه قد جاءنا من تِلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب اللَّه وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك، ثم إنا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له فإن أمرتنا باتّباعه اتبعناه وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

فقال لهم محمد ابن الحنفية: أما بعد فأما ما ذكرتم ما خصَّصنا اللَّه به من فضل فإن اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم فلله الحمد، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسينﷺ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها اللَّه له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكأن أمر اللَّه مفعولاً، وكان أمر اللَّه قدراً مقدورا، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن اللَّه انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه، أقول قولي هذا واستغفر اللَّه لي ولكم.

وكانت هذه الكلمة من ابن الحنفية أكثر من كافية شافية إذ هي إذن صريح بقبول هذه الدعوة، فخرج هؤلاء الأشراف قد فهموا الإذن.

4 ـ الإستئذان من زين العابدينﷺ:

وروى جعفر بن نما أن محمد بن الحنفية لم يأذن من رأسه بل قال لوفد الكوفة: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسينﷺ فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قالﷺ: يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصَّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولَّيتك هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرج وفد الكوفة وهم يقولون أذن لنا زين العابدينﷺ ومحمد ابن الحنفية.

5 ـ اجتماع الشيعة على المختار:

جاء الوفد إلى الكوفة وكثير من الشيعة ينتظرون مقدمهم ليعلموا الخبر، لكنهم دخلوا على المختار قبل أن يدخلوا على بيوتهم وقالوا له: قد أمِرنا بنصرتك، فقال: اللّه أكبر أنا أبو إسحاق، إجمعوا إليّ الشيعة.

فجُمِع له من كان قريباً من الشيعة فقام المختار فقال: يا معشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئتُ به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبّأهم إني وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيت نبيكم المصطفين.

فقام هؤلاء الأشراف واحداً واحداً كل منهم يقرر ويقول بأنهم قدموا على محمد بن علي عليه السلام وأمرهم بمناصرة المختار ومؤازرته.

وعند ذلك استجمعت الشيعة للمختار وأطبقوا على طاعته ومؤازرته والانقياد له.

6 ـ إبراهيم بن مالك الأشتر:

إنقادت الشيعة إلى المختار ولم يبق منهم إلا إبراهيم بن مالك الاشتر وهو أحد أهم زعماء الشيعة ورؤساء عشائر اليمن وابن مالك الأشتر البطل المشهور الذي كان سيد الكوفة وعشائرها بلا منازع على الاطلاق.

وقد كان همَّ المختار أن ينطلق بثورته دون إبراهيم الأشتر إلا أن جماعة من أصحابه نصحوه وقالوا له: إن جامَعَنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن اللّه القوة على عدونا وألا يضرنا خلاف من خالفنا فإنه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عزٍّ وعدد.

فأمرهم المختار أن ينطلقوا ويسألوه النصرة، فجاؤوا إليه وقالوا له: إنا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه الملأ من الشيعة إلى كتاب اللّه وسنة نبيه

والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء، وقال له بعضهم: إن أباك قد هلك وهو سيّد الناس وفيك منه ـ إن رعيت حق اللّه ـ خَلَف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييتَ من ذلك أمراً قد مات، إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بني أولك مفتخراً.

فأجابهم الأشتر إلى دعوتهم إلا أنه رفض قيادة المختار فقال لهم: إني قد اجبتكم إلى ما وعدتموني إليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته على أن تولوني الأمر، فقالوا له: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أُمِرنا بطاعته.

فلم يرتض الأشتر ولم يوافق وانصرفوا عنه خائبين، ورجعوا إلى المختار الذي أصرَّ على إبراهيم فانتظر أياماً ثم جاءه مع أصحابه فلم يعلموا إلا وهم على باب إبراهيم بن مالك الأشتر، فاستأذنوا ودخلوا وجلس المختار على فراش إبراهيم وقال: الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا اللّه وصلى اللّه على محمد والسلام عليه أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي عليه السلام، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء اللّه ورسله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا فإن فعلت اغتُبِطتَ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيُغني اللّه محمداً وأولياءه عنك. ثم أراه الكتاب فإذا فيه:

7 ـ كتاب محمد ابن الحنفية إلى الأشتر:

بسم اللّه الرحمٰن الرحيم من محمد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيِّي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنَّة الخيل وكل جيش غازٍ وكل مصر

ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام، عليَّ الوفاء بذلك على عهد اللّه، فإن فعلت ذلك نلتَ به عند اللّه أفضل الكرامة وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً والسلام عليك.

8 ـ موافقة من الأشتر:

فلما انتهى إبراهيم من قراءة الكتاب ارتاب أن يكون كتبه محمد ابن الحنفية فقال: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إليَّ فقام جماعة من سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب (بضعة عشر نفراً) فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي عليه السلام إليك.

قبل إبراهيم شهادتهم فقام عن مجلسه وأجلس عليه المختار وبايعه ودعا عشيرته وإخوانه ومن يطيعه إلى طاعة المختار وأمسى إبراهيم الأشتر يروح كل عشية إلى المختار، وببيعة إبراهيم تمَّت العدة فتشاوروا في أمرهم واجتمع رأيهم على الثورة وحددوا الوقت ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين.

الباب الثالث

ثورة المختار

1 ـ الثورة:

هيأ المختار عدة الثورة واختلفت إليه رجاله وأُحصي عدد الذين بايعوه على الثورة اثنا عشر ألف رجل، فعلمت شرطة الكوفة بذلك وكان على رأس الشرطة إياس بن مضارب فجاء إلى والي الكوفة عبدالله بن مطيع فقال له: إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين، ثم قال له: لو بعثت في كل جبَّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة هاب المريبُ الخروج عليك.

2 ـ إستنفار السلطة:

وهكذا قررت قيادة الكوفة استنفار رجالها وهم عشرات الآلاف (أي سائر مجتمع الكوفة عدا الشيعة منهم) والسيطرة على طرق الكوفة الداخلية ومداخلها ومخارجها وجبَّاناتها ومواضع الاجتماع وجمع رجال الكوفة ومنع الحركة.

فكانت الرؤوس هم إياس بن مضارب على رأس الشرطة كلها، وراشد ابنه في كناسة الكوفة وحول السوق، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني في جبَّانة السبيع، وكعب ابن أبي كعب الخثعمي في جبَّانة بشر، وزخر بن قيس في جبَّانه كندة، وشمر بن ذي الجوشن في جبَّانة

سالم، وعبد الرحمن بن مخنف بن سُليم الأزدي في جبَّانة الصائديين، ويزيد بن الحارث بن رؤيم في جبَّانة مراد، وشبث بن ربعي في السَّبَخَة، وكل هؤلاء رؤوس عشائر مطيعون لوالي الكوفة أعداء للشيعة وللمختار ومعظمهم من قتلة الحسين عليه السلام ولذا كانوا عازمين على منع قومهم أو غيرهم من أي حدث فملؤوا هذه الجبابين وحشوها من العسكر.

وكان هذا الاستنفار يوم الإثنين أي قبل ثلاثة أيام من الموعد المحدد لثورة المختار.

3 ـ شرارة الثورة:

ولكن قبل ليلة واحدة من الموعد المقرَّر للثورة فيما كان إبراهيم بن مالك الأشتر يسير إلى دار المختار على رأس كتيبة من أصحابه نحو مائة مقاتل عليهم الدروع تحت الأقبية وليس معهم سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم قد أنِف أن يخضع لاستنفار السلطة وإرهابها فأبى إلا أن يسير بهذا النحو وإلا أن يمر وسط الكوفة جانب القصر ووسط السوق، فرآه إياس بن مضارب رئيس الشرطة فقال للجمع: من أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال إياس: ما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ واللّه إن أمرك لمريب، وقد بلغني أنك تمر كل عشية هٰهنا، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك، خلٍّ سبيلنا، فقال إياس: كلا واللّه لا أفعل، فقال إبراهيم لصديق له من الشرط من أصحاب إياس اسمه أبو قطن ومعه رمح طويل: أدنُ منِّي، فظن أبو قطن أنه يريد أن يجعله شفيعه لأنه صديقه، فدنا منه فتكلم معه وتناول إبراهيم الرمح من يد أبي قطن وقال: إن رمحك هذا الطويل، فعاجَلَه وأخذه وقال لإياس بن مضارب: يا عدو اللّه، ألستَ من قتلة الحسين عليه السلام، ثم حمل بالرمح على إياس بن مضارب فطعنه في نحره وصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل عليه فاحتز رأسه، فنزل واحتز رأسه وتفرقت الشرطة.

ومضى إبراهيم إلى المختار فقال له: حدث أمر لا بد من الخروج

الليلة، قال المختار ما هو؟ قال إبراهيم: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب، فقال المختار: فبشَّرك اللَّه بخير، فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح إن شاء اللَّه.

4 - إندلاع الثورة:

وهكذا أعلن المختار ساعة الثورة وأمر فنادوا بشعارهم المشهور (يا منصور أمت) وأشعلوا النيران ورفعوها للمسلمين، ونادى المنادي: يا لثارات الحسين عليه السلام، وكانت الخطة أن يبقى المختار في داره يضم إليه من يأتيه من الشيعة وأن يدور إبراهيم الاشتر في نواحي الكوفة وفي قومه لينضم إليه من لا يتمكن من المجيء إلى دار المختار حذراً من رجال ابن مطيع المنتشرين في كل نواحي الكوفة ولاسيما بعد مقتل إياس، ثم يرجع إلى المختار بمن انضم إليه.

خرج إبراهيم الاشتر في كتيبته يسير في سكك الكوفة طويلاً من الليل فمرَّ في مسجد السكون وجبَّانة كندة وجبَّانة أثير ووصل الكناسة ولم يدخلها ثم مرَّ بمسجد الأشعث، وقد التقى في أثناء سيره هذا كتائب وخيول للأعداء فكان يشد عليهم ويهزمهم، وربما شدَّ على كتائب تفوقه عدَّة وعدداً فيهزمهم ويشردهم ويقول لأصحابه: يا شرطة اللَّه إنزلوا فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، ولقد تعجب اعداؤه من هذه الإنتصارات التي يحققها الأشتر حتى قالوا: إن هذا الأمر يُراد، ما يلقون لنا جماعة إلا هزموهم.

ثم رجع إبراهيم الأشتر إلى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون يحاصرهم شبث بن ربعي وحجَّار بن ابجر، فعندما علموا بمجيء ابراهيم الأشتر من خَلفهم تفرقوا وذهبوا في الأزقة والسكك.

وعندما اجتمع إبراهيم بالمختار قررا الخروج من الدار إلى السبخة في ظهر دير هند وأرسلوا كتائب تدور في الأحياء لتخبر الشيعة بموقع المختار ومن هؤلاء، أبو عثمان النهدي الذي خرج في جماعة من أصحابه ينادي: يا منصور أمت ويا لثارات الحسين عليه السلام، ألا إن أمير آل محمد صلى الله عليه وآله

ووزيرهم قد خرج من منزل دير هند وبعثني إليكم داعياً ومبشراً، فاخرجوا إليه يرحمكم اللّه، فخرجت الشيعة من بيوتهم يتداعون وينادون: يا لثارات الحسين، وقاتلوا من منعهم حتى خُلّي لهم الطريق، فلم ينبلج الفجر حتى كان قد اجتمع للمختار ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل من أصل اثني عشر ألفاً بايعوه.

وكانت هذه الليلة ليلة ليلاء مهولة شبَّهوا القتال فيها بالقتال ليلة الهرير في صفين لهولها وشدتها ولولا بأس الشيعة وصبرهم وما أبلوه ولاسيما الأشتر والمختار وغيرهما من صناديد الشيعة لما كان بالامكان لهم أن يصمدوا هذه الليلة.

ويروى أن ممن انضم في هذه الليلة إلى جانب المختار عبيدالله بن الحر الجعفي فجاء في قومه وقاتل قتالاً شديداً.

5 ـ الانتصار الأول:

علم والي الكوفة عبداللّه بن مطيع بخروج المختار وبمقتل إياس بن مضارب رئيس شرطته فولّى مكانه ابنه راشد بن إياس في نفس الليلة وأمر فنادى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة، فتوافى الناس إلى المسجد، فبعث شبث بن ربعي في ثلاثة آلاف، وراشد بن إياس في أربعة آلاف وبعث حسان بن فائد العبسي في ألفين، وعمرو بن الحجاج في ألفين، وشمر بن ذي الجوشن في ألفين، ونوفل بن مساحق بن مخرمة في خمسة آلاف، فكانت عساكر الكوفة الذين حاربهم المختار نحواً من عشرين ألف مقاتل، فأرسل المختار إبراهيم الاشتر ليقاتل راشد بن إياس، ونعيم بن هبيرة ليقاتل شبث بن ربعي فهُزِم وقُتِل نعيم بن هبيرة وأُسر أصحابه وتفرق الباقي، فوصل خبر هزيمته إلى المختار وأصحابه فدخلهم همٌّ عظيم، وجاءهم شبث بن ربعي فحاصرهم، وأما إبراهيم الاشتر فإنه لقي راشد بن إياس بن مراد فقال لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء فواللّه لرب رجل خير من عشرة، ولربَّ فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن اللّه

واللّه مع الصابرين، ثم شدوا عليهم واشتد القتال فما لبث أن قتلوا راشد ابن اياس وانهزم أصحابه.

ثم مضى إبراهيم بن الأشتر فوافى حسان بن فائد العبسي فما لبث أن هزمه وأسر حسان بن فائد ثم أمنوه فأطلقوا سراحه.

لما وصل الخبر بهذه الانتصارات إلى أصحاب المختار المحصورين كبَّروا وصمدوا واستعدوا للحملة على شبث بن ربعي وجثوا على الركب وهم كذلك فإذا بابراهيم الأشتر وأصحابه قد حملوا على شبث بن ربعي من خلفهم فحمل أصحاب المختار من أمامهم فانهزم شبث بن ربعي وأصحابه حتى دخلوا بيوت الكوفة.

6 ـ السيطرة على الكوفة:

وبهذا يتحقق الانتصار الأول على جيوش الكوفة إذ رجعت هذه الآلاف منهزمة إلى ابن مطيع وقد فتَّ في اعضادهم مقتل راشد بن إياس، إجتمعت جماعة المختار خارج الكوفة عند مسجد وبيوت مُزينة وأحمس وبارق، واجتمعت جماعة ابن مطيع في وسط الكوفة ارادوا إعادة تنظيم صفوفهم، فقال إبراهيم الاشتر للمختار: قد هزمهم اللّه وفلّهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل هٰهنا!! سر بنا فوالله ما دون القصر احد يمنع ولا يمتنع كثير امتناع.

قبل المختار هذه النصيحة وبذلك تم القرار بالزحف نحو القصر وأي جيش للعدو يجدوه في الطريق لا يصمدوا له بل يسرِّحوا له كتيبة من كتائبهم ويستمروا بالمسير نحو القصر ليقتحموه، وهذا ما حدث إذ أمر المختار كل جريح أو ذي علة أو كبير السن أن يبقى في الموضع ويضع الباقي فيه وكل متاع وثقل وساروا إلى داخل الكوفة على مقدمتهم ابراهيم الاشتر.

في طريقهم التقوا بعمرو بن الحجاج فتركوا له يزيد بن أنس ليصمد له واستمروا بالمسير، ثم التقوا بشمر بن ذي الجوشن فتركوا له سعيد بن

منقذ الهمداني واستمروا بالمسير، فالتقوا نوفل بن مساحق في خمسة آلاف فاصطفّ له إبراهيم بن الأشتر وأمر الخيول وقرّبها من بعضها ثم قال: امشوا إليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم أن يُقال جاءكم شبث بن ربعي وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل يزيد بن الحارث وآل فلان فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال: إن هؤلاء لو قد وجدوا حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب، ثم هيّأ نفسه ثم شدّ على القوم وقال: شدّوا عليهم فدى لكم عمي وخالي، فما لبث أن هزمهم وركب بعضهم بعضاً، ووصل الأشتر إلى نوفل بن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه ليضربه، فقال ابن مساحق: يابن الأشتر، أنشدك اللّه، أتطلبني بثأر، هل بيني وبينك من إحنة، فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له: اذكرها.

7 ـ استسلام السلطة:

وبهذه الهزيمة لم يبق بين الاشتر وبين القصر أحد فساروا ودخلوا الكناسة ثم السوق والمسجد ثم حاصروا القصر وتفرقت شراذمة الناس والشرطة وغيرها ولم يبق مع ابن مطيع في القصر إلا جماعة من أعيان ووجهاء الكوفة والكل محاصر غير قادر على أي فعل وقد جاءت بقية المبايعين إلى المختار حتى استتموا عشرة آلاف.

استمر الحصار ثلاثة أيام وبعدها فرَّ ابن مطيع خارج القصر واختبأ في دار ابي موسى، وأما بقية من في القصر فإنهم أخذوا الأمان من ابن الأشتر، ثم فتحوا القصر وخرجوا منه ودخله المختار وبايعه الناس وأشراف الكوفة.

وبذلك تم انتصار المختار وسيطرته على الكوفة وبث عماله في آذبايجان وأرمينية وجوخى وحلوان وغيرها من نواحي أعمال الكوفة.

8 ـ نصرة أهل البيت عليهم السلام:

كان عبدالله بن الزبير كما تقدم قد بويع له بالخلافة واستولى على الحجاز وعلى بصرة العراق، وكان هذا الرجل من ألد اعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وكان يهددهم ويتوعدهم حتى يبايعوا له، وهم يأبون ذلك إلى أن حصرهم في مكة وهدَّدهم بالقتل والحرق بالنار إن لم يبايعوا، وأعطى اللّه عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم، وضرب لهم أجلاً.

فبعث محمد ابن الحنفية ثلاثة رجال من أصحابه إلى المختار وإلى من بالكوفة يعلمهم الحال ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين عليه السلام وأهل بيته، وصل الرسل إلى المختار فدفعوا إليه الكتاب فبكى ونادى في الناس فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وقد تُرِكوا محظوراً عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار. . . فانتدب من الشيعة أربعة آلاف على رأسهم أبو عبدالله الجدلي إلا أنه سرحهم قطعات قطعات تتلو بعضها بعضاً، المائة ونحوها.

فجدَّ أبو عبدالله الجدلي البسير بمن معه من اولي القوة ما يقارب المائة والخمسين، فوصل إلى المسجد الحرام فدخل هو وأصحابه المسجد وهم ينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، فانتهوا إلى زمزم قبل أجل التحريق بيومين ووجدوا الحطب قد أحاط بذرية آل محمد صلى الله عليه وآله ليشعل به عند انقضاء الأجل، فطردوا الحرس، وطمع بهم ابن الزبير ظناً منه أن هؤلاء كل الجيش وكاد يقاتلهم عند المسجد الحرام لكن ما لبث أن بدأت الرايات تصل تباعاً، فوصل أبو المعتمر في مائة، وهانىء بن قيس في مائة، وظبيان ابن عمارة في مائتين، دخلوا المسجد يكبرون وينادون: يا لثارات الحسين عليه السلام، ولم تمض الأيام حتى اجتمع مع محمد ابن الحنفية أربعة آلاف رجل فهابه ابن الزبير وكفَّ عنه.

ثم بعث المختار بجيش من ثلاثة آلاف على رأسهم شرحبيل بن ورس

إلى المدينة، فالتقى بجيش للزبير على رأسه عباس بن سهل بن سعد بالرقيم فكايدهم عباس بن سهل وأخذهم غيلة فأفنى الجيش عن آخره إلا ثلاثمائة رجل تمكنوا من الفرار وقتل شرحبيل بن ورس.

الباب الرابع

الثأر من قتلة الحسين عليه السلام

1 ـ النبوءة بقتل قتلة الحسين عليه السلام:

ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عن الحسين عليه السلام: اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، واذبح من ذبحه، ولا تمتعه بما طلب.

كما ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال في كربلاء يدعو على جيش اليزيديين: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا...

وما كان اللّه تعالى بالذي يخيِّب عبده فاستجاب لرسوله صلى الله عليه وآله كما استجاب للحسين عليه السلام، ولم تمض السنون حتى أذن اللّه بفناء القتلة أعداء اللّه بأن سلَّط عليهم شيعة آل البيت الأطهار.

قال الشيخ المفيد (ره): تظاهرت الأخبار أنه لم ينج أحد من قاتلي الحسين عليه السلام من قتل أو بلاء افتضح به قبل موته.

2 ـ إنتقام الله تعالى:

لقد انتقم الله تعالى من قتلة الحسين عليه السلام بطرق شتى وسنتعرض في هذا البحث لمن انتقم الله منه بطريقة إعجازية، ولن نستطيع أن نذكر كافة الأخبار والحكايات الواردة في هذا الشأن نظراً إلى كثرتها وضعف أسانيد أو رواة بعضها فمن أراد تتبعها فليراجع مدينة المعاجز للسيد هاشم

البحراني فقد ذكر من ذلك الشيء الكثير إلا أننا لن نخلي كتابنا من اليسير تبركاً، فنقول:

١ ـ روي عن عبد الله بن رباح القاضي قال: لقيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن بصره، فقال: كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير أني لم أطعن برمح ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم فلما قُتِل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الآخرة ونمت، فأتاني آت في منامي فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: مالي وله، فأخذ بتلابيبي وجرَّني إليه فإذا النبي صلى الله عليه وآله جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه آخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي العشرة، فكلما ضرب ضربة إلتهبت أنفسهم ناراً، فدنوت منه وجثوت بين يديه وقلت: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يرد عليَّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقِّي وفعلتَ وفعلتَ، فقلتُ: يا رسول الله ما ضربتُ بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال: صدقت ولكنك كثَّرت السواد، ادنُ مني، فدنوت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين عليه السلام، فكحلني من ذلك الدم، فانتبهت وحتى الساعة لا أبصر شيئاً.

٢ ـ وروي عن رجل من بني أبان بن دارم قد اسودَّ وجهه بعد أن كان جميلاً شديد البياض، فقيل له في ذلك، فقال: إني قتلت شاباً أمرد (أبيض) مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي، وقالت جاريته: ما يدعنا ننام الليل من صياحه، وسألوا امرأته، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم.

٣ ـ وكان رجل لا تزال تفوح منه رائحة القطران فسألوه فأخبرهم أنه كان يبيع أوتاد الحديد في جيش عمر بن سعد لعنه الله فرأى في منامه علياً عليه السلام فسقاه قدحاً من القطران فلما استيقظ ما زال يبول القطران ثلاثة أيام ثم انقطع البول وما زالت تفوح منه رائحة القطران أبداً.

٤ ـ وقالت جارية: كان عندنا رجل خرج على الحسين عليه السلام ثم جاء

بجمل وزعفران، قالت: فلما دقُّوا الزعفران صار ناراً، قالت: فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتلطخه على يدها فيصير منهٔ برص، قالت: ونحروا البعير فلما جزّوا بالسكين صار مكانها ناراً وجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً، قالت: فقطعوه فخرج منه النار، قالت: فطبخوه ففارت القدر ناراً فجعلوه في الجفنة فصار ناراً.

٥ ـ وعن السدي أنه سمر في طفّ كربلاء وكان قريب العهد من قتل الحسين عليه السلام وكان سميره الأخنس بن زيد وهو الذي أمر على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطي جسم الحسين عليه السلام بسنابك الخيل وهشّم أضلاعه وخرم أذني صفية بنت الحسين لقرطين كانا في أذنيها، وجرَّ نطعاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل فكبَّه على وجهه؛

فقال السدي: فتأوهت الصعداء وتزفرت كملاً، فقال الأخنس: ما بالك فقد ذكرت مصاباً يهون عنده كل مصاب، ثم قال: أما كنت حاضراً يوم الطف؟ فقال السدي: لا، والحمد لله، فقال: أراك تحمد الله على أي شيء؟ قال السدي: على الخلاص من دم الحسين عليه السلام لأن جدّه صلى الله عليه وآله قال: إن من طولب بدم ولدي الحسين عليه السلام يوم القيامة لخفيف الميزان ثم ساق أحاديث أخرى في عقوبة قتلة الحسين عليه السلام، فقال الأخنس: لا تصدق هذا الكلام يا أخي ثم قال: ترى قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قاتل ولدي الحسين عليه السلام لا يطول عمره وها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين ثم ساق إجرامه بحق الحسين عليه السلام وأهله.

قال السدي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً وخرجت أعالج على إهلاكه وإذا السراج قد ضعفت فقمت أزهرها، فقال: اجلس ـ وهو يحكي متعجباً من نفسه وسلامته ـ ومدَّ إصبعه ليزهرها فاشتعلت به ففركها في التراب فلم تنطفء، فصاح بي: أدركني يا أخي فكببت الشربة عليها وأنا غير محب لذلك، فلما شمَّت النار رائحة الماء ازدادت قوة، وصاح بي: ما هذه النار، وما يطفئها؟؟ قلت: ألق نفسك في النهر، فرمى بنفسه، فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارد، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطفأ حتى صار

فحماً وسار على وجه الماء ألا لعنة الله على الظالمين وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

٦ ـ ومن الذين عجَّل الله تعالى نقمته عليهم رجل يُقال له ابن أبي جويرية المزني وهذا الرجل قتله الله في عرصة كربلاء عندما أوقد الحسين عليه السلام وأصحابه النار من خلفهم فلما نظر هذا الرجل إلى النار تتقد صفق بيده ونادى: يا حسين وأصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، فقال الحسين عليه السلام: مَن الرجل، فقيل له: ابن أبي جويرية المزني، فقال الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا، فنفر به فرسه فألقاه في تلك النار فاحترق في الدنيا قبل نار جهنم لعنه الله وأرداه.

٧ ـ ويُحكى مثل ذلك عن ابن خوزة التميمي الذي دعا عليه الحسين عليه السلام فقال: اللهم جره إلى النار، فاضطرب به فرسه في جدول فوقع وتعلَّقت رجله اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى وشدَّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فأطارت، وعدا به فرسه فضرب برأسه كل حجر وكل شجر حتى مات.

٨ ـ ورجل آخر يُقال له: تميم بن الحصين الفزاري نادى في عرصة كربلاء: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيَّات، والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل، فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات إلى لعنة الله.

٩ ـ ويُحكى مثل هذا الحديث عن عبد الله بن حصين الأزدي البجلي الذي نادى بأعلى صوته: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم والله لعدته في مرضه بعد ذلك فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيته يشرب الماء حتى يبغر ثم يقيئه ويصيح العطش العطش ثم يعود ويشرب حتى يبغر ثم يقيئه ويتلظى عطشاً، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ أنفاسه.

3 ـ ثورة قتلة الحسين عليه السلام:

بعد أن استتبّ الأمر في الكوفة ونواحيها لزعامة المختار بدأ في مواجهة جيش الشام القادم بزعامة عبيد الله بن زياد، فأرسل يزيد بن أنس في حملة سيأتي بيانها إلا أن يزيد بن أنس مات مريضاً فرجع أصحابه وتفرق بعضهم، فكان الخبر عظيماً عند أهل الكوفة، فأمر المختار إبراهيم الأشتر أن يخرج في سبعة آلاف رجل ويضم إليه جيش يزيد بن أنس فخرج إبراهيم الأشتر من الكوفة، وعندما خرج إبراهيم الأشتر طمع أعداء المختار وقتلة الحسين عليه السلام أن ينالوا من المختار، واجتمع شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب ابن أبي كعب وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم ممن كان من أعوان بني أمية وممن اشترك في قتل الحسين عليه السلام كحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج، وعزموا على الخروج على المختار.

انتظروا حتى ابتعد إبراهيم الاشتر ووصل إلى ساباط فخرجوا وأخذوا الجبابين كجبَّانة السبيع وجبانة كندة وجبَّانة بشر وجبَّانة مخنف وجبَّانة بني سلول وجبَّانة مراد كما أخذوا الكناسة والتمارين والسبخة.

عندما رأى المختار هذه الثورة العظيمة الخطر بعث رسولاً فأمره أن يسرع إلى إبراهيم الأشتر ليبلغه كتابه، وفي الكتاب: أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إليّ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المختار صار يماطل مع أعدائه ويمنّيهم أنه يفعل ما يحبون.

وصل رسول المختار إلى إبراهيم الأشتر عشية اليوم، فلما وصل الخبر إلى ابراهيم سار من نفس هذه العشية حين بلغه الخبر، وسار الليل كله لم يسترح إلا استراحة كلا استراحة، حتى وصل صباحاً إلى سورا، ومنها سار بقية يومه حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد.

وفي صبيحة اليوم الثالث وقعت الواقعة وهزم إبراهيم بن الاشتر قبائل مضر وعليها شبث بن ربعي ولم ينقض النهار حتى تم القضاء على ثورة

الجبارين، وأحصي عدد من قتل من الخارجين في هذه الوقعة فكان ستمائة وأربعين رجلاً. فنادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمدﷺ، ثم جعل أصحاب المختار يفتشون الدور ويُخرجون القوم مكتَّفين إلى المختار، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه فإن كان ممن قاتل الحسينعليه السلام أمر به فضربت عنقه.

4 ـ قرار استئصال قتلة الحسينعليه السلام:

وبالفعل فعند انتهاء هذه الثورة علم المختار أن العداء بينه وبين قتلة الحسينعليه السلام من أشراف وعيون الكوفة قد استحر وأنه آن الأوان لتجريد السيف فيهم فقال لأصحابه: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسينعليه السلام يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بئس ناصر آل محمدﷺ أنا إذاً في الدنيا، أنا إذاً الكذاب كما سمّوني، فإني باللّه استعين عليهم، فسمُّوهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم، ثم قال: اطلبوا لي قتلة الحسينعليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم.

5 ـ تتبع قتلة الحسينعليه السلام:

وبالفعل فإن المختار جهد في قتل قتلة الحسينعليه السلام ومن شهد قتله وعُدَّ من أعدائهعليه السلام فلم يمض الزمان حتى كان قد قتل منهم ثمانية عشر ألف قتيل ممن شهد مقتل الحسينعليه السلام، ولم يسلم إلا الذين فروا من الكوفة وهربوا إلى آفاق البلاد وكثير منهم هرب إلى البصرة، ومع ذلك لم يسلموا من انتقام المختار إذ عمد إلى دورهم فهدَّمها.

وما زال المختار يتتبع قتلة الحسينعليه السلام حتى استأنس لذلك آل محمدﷺ وشيعتهم فقد ورد في الخبر أن شيخاً من أهل الكوفة دخل على الإمام الباقرعليه السلام يوم النحر فتناول يده ليقبّلها فمنعه الإمامعليه السلام، ثم قال له: مَن أنت، قال الشيخ: أنا أبو محمد الحكم بن المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، فمدَّ الإمامعليه السلام يده إليه يقربه ـ وكان متباعداً ـ حتى كاد يقعده في حجره، ثم قال الشيخ: أصلحك اللّه إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا ـ

والقول واللّه قولك ـ قال عليه السلام: وأي شيء يقولون، قال الشيخ: يقولون كذّاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال عليه السلام: سبحان اللّه، أخبرني أبي ـ واللّه ـ أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أو لم يبن دورنا!! وقتل قاتلينا!! وطلب بدمائنا، فرحمة اللّه، وأخبرني ـ واللّه ـ أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي عليه السلام يمهّد لها الفراش ويثني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحم اللّه أباك، رحم اللّه أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا.

وكان الذي يعين المختار ويحرضه على الثأر هو أبو عمرة صاحب شرطته، وكان لقبه (كيسان)، وكان أبو عمرة مولى لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فكان صاحب سر المختار والغالب على أمره، وكان يدله على قتلة الحسين عليه السلام ولا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليه السلام أنه في دار أو في موضع إلا قصده وهدم داره بأسرها وقتل كل مَن فيها من ذي روح حتى قيل ان أهل الكوفة اصبحوا يضربون به المثل فيقولون لمن يضربه الفقر (دخل أبو عمرة بيته) وحتى غلب لقبه (كيسان) على دعوة المختار وعلى المذهب المنسوب إليه وهو مذهب الكيسانية.

6 ـ تفاصيل الثأر:

ونحن سنذكر هنا بعض التفصيلات التي وصلتنا من حوادث الثأر التي رواها المؤرخون:

١ ـ أتوه بخمسمائة اسير من الوادعيين فقال المختار: انظروا كل من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني به، فقتل نحواً من مائتين وخمسين رجلاً منهم قيل انه ممن شهد قتل الحسين عليه السلام فكان كل واحد منهم يقدم فتضرب عنقه.

٢ ـ قتل في الثورة عبد الرحمن بن سعيد بن قيس في سبعمائة وثمانين من قومه من همدان.

٣ ـ قتل عبدالله بن أسيد النزال الجهني ومالك بن النسير ـ وهو

الذي ضرب الحسين عليه السلام وأخذ البرنس ـ وحمل ابن مالك المحاربي، بعث إليهم مالك بن عمرو النهدي فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم وجاء بهم إلى المختار، فقال لهم: يا أعداء اللّه، وأعداء كتابه، وأعداء رسوله، وآل رسوله، أين الحسين بن علي عليه السلام ، أدّوا إليَّ الحسين عليه السلام ، قتلتم من أُمِرتم بالصلاة عليه في الصلاة، فقالوا: رحمك اللّه، بُعِثنا ونحن كارهون، فامنن علينا واستبقِنا، فقال المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله واستبقيتموه وسقيتموه، ثم أمر بقطع يدي ورجلي صاحب مالك بن النسير صاحب برنس الحسين عليه السلام فلم يزل ينزف حتى مات، وقدَّم الآخرين فقتلهما.

٤ ـ بعث عبدالله بن كامل إلى بني ضبيعة فأخذ زياد بن مالك، وبعثه إلى بني عنزة فأخذ منهم عِمران بن خالد ثم أخذ عبد الرحمٰن ابن أبي خشكارة البجلي ـ وهو قاتل مسلم بن عوسجة ـ وعبدالله بن قيس الخولاني فأدخلوهم على المختار فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون اللّه قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الورس بيوم نحس ـ والورس هو الذي نهبوه من متاع الحسين عليه السلام ـ ثم أمر بهم فأُخرجوا إلى السوق وضُرِبت أعناقهم.

٥ ـ بعث المختار السائب بن مالك الأشعري فأخذ عبدالله وعبد الرحمن ابنا صخلب ثم أخذ عبدالله بن وهب بن عمرو إلى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق.

٦ ـ بعث عبدالله بن كامل ليحضر عثمان بن خالد الدهماني الجهني وبشر بن سوط القابضي وكانا قد اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل ابن أبي طالب وفي سلبه، فوصل عبدالله بن كامل بمسجد بني دهمان وقد اختفيا، فقال عبدالله بن كامل: عليَّ مثل خطايا بني دُهمان مند يوم خُلقِوا إلى يوم يُبعثون إن لم أُوت بعثمان بن خالد إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم. فاستمهلوه فأمهلهم، فخرجوا يطلبوهما فوجدوهما يستعدان للخروج إلى أرض الجزيرة، فأخذهما وضرب أعناقهما، ثم أتى إلى

المختار فأخبره فأمره أن يرجع ويحرقهما بالنار وقال: لا يدفنان حتى يُحَرقا.

٧ ـ بعث المختار عبدالله بن كامل ليحضر كليم بن طفيل الطائي السبنسي ـ وكان قد رمى الحسينعليه السلام بسهم وسلب العباس بن عليعليه السلام ـ فأتاه عبدالله وأخذه، فاستغاث أهله بعدي ابن حاتم الطائي وهو سيد أشراف بني طيء ومن أعيان أصحاب عليعليه السلام، فلحقهم في الطريق فكلم فيه عبدالله بن كامل، فقال عبدالله ما إليَّ من أمره شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار، فذهب عدي بن حاتم إلى المختار، فقالت الشيعة لعبدالله ابن كامل: إنا نخاف ان يشفّع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله، قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف، نصبوه ثم قالوا له: سلبت ابن عليٍّعليه السلام ثيابه، واللّه لنسلبنَّ ثيابك وأنت حي تنظر، فنزعوا ثيابه، ثم قالوا: رميت حسيناًعليه السلام واتخذته غرضاً لنبلك... فرموه رشقاً واحداً فوقعت به منهم نبال كثيرة حتى أصبح كالقنفذ من كثرة النبل فخرَّ ميتاً.

٨ ـ رأى الشيعة المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على باب قصر الامارة قد بايع المختار أيام انتصاره الأول وكان معه ابنه حيان، فلما رأوه قالوا: هذا والله من رؤوس الجبارين، فشدوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما.

٩ ـ كان قاتل حبيب بن مظاهر(رض) اسمه بديل بن صريم التميمي وقد احتز رأس حبيب (ره) فعلقه في لبان فرسه، ثم أقبل به إلى القصر فرآه ابنه القاسم بن حبيب وكان في الكوفة وهو يومئذ مراهق فأقبل مع الفارس لا يفارقه إذا دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه، فارتاب به الرجل فقال: ما لك يا بني؟!، قال: لا شيء، قال: بلى يا بني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتى أدفنه، قال: يا بني، لا يرضى الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يثيبني الأمير على قتله ثواباً حسناً. فقال له: ولكن اللّه لا يثيبك إلا أسوأ الثواب، أما واللّه لقد قتلت خيراً منك، ثم بكى، ثم مضى القاسم حتى أدرك فلم يكن له هم إلا اتباع أثر قاتل أبيه ولم يدركه إلا زمن مصعب بن الزبير عندما غزا باحميرا، دخل

عسكر مصعب فإذا قاتل حبيب في فسطاط فعرفه فأقبل يلتمس غِرَّته فدخل عليه وهو نائم نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد لعنه اللّه.

١٠ ـ أخذ المختار بجدل بن سليم الكلبي ـ وهو الذي قطع اصبع الحسين عليه السلام ليسلب الخاتم ـ فأمر به فقُطِعت يداه ورجلاه وتركه يتشحَّط بدمه حتى هلك لعنه اللّه.

١١ ـ وبعث المختار عبدالله بن كامل ليحضر زيد بن الرقاد الجنبي ـ وهو قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل ـ فأحاط به الرجال، فخرج ليقاتلهم فقال لهم ابن كامل: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فوقع، فقال ابن كامل: إن كان به رمق فأخرجوه، فكان به رمق فأخرجوه واحرقوه وهو حي لم تخرج روحه حتى مات حريقاً بالنار لعنه اللّه.

١٢ ـ وطلب المختار إحضار عمرو بن صبيح وكان يقول: لقد طعنت بعضهم ـ الحسين وأهل بيته عليهم السلام ـ وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحداً ـ وكان ممن رماهم عبدالله بن مسلم بن عقيل ـ فأتوه ليلاً وهو على سطح بيته لا يشعر بعدما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذاً وأخذوا سيفه، فأدخلوه على المختار وهو يشتم الشيعة ويتمنى أن بيده السيف حتى يقاتلهم ويقتلهم، فأمر المختار بطعنه بالرماح فطعنوه حتى مات لعنه اللّه.

١٣ ـ وطلب المختار عبدالله بن عقبة الغنوي ـ يقال أنه قتل احد وِلد الحسين عليه السلام ـ لكنه كان قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره.

١٤ ـ وطلب عبدالله بن عروة الخثعمي ـ قتل جعفر بن عقيل ـ وكان يقول: رميت فيهم باثني عشر سهماً ضيعة، فقدموا ليأخذوه إلا أنه فرَّ هارباً إلى مصعب بن الزبير فهدموا داره.

١٥ ـ وكان المختار قد عزم على قتل أسماء بن خارجة الفزاري، فوصله الخبر فولّى هارباً إلى البادية، فأمر بداره فهدمت وكذا دور بني عمه، ويُقال أن أسماء بن خارجة ممن سعى في قتل مسلم بن عقيل.

١٦ ـ بلغ المختار أن شمر بن ذي الجوشن سلب من أملاك

الحسين عليه السلام إبلاً فأخذها وقدم بها إلى الكوفة فنحرها وقسَّم لحومها، فقال المختار: أحصوا لي كل دار دخل فيها شيء من ذلك اللحم فأحصوها، فأرسل إلى كل من أخذ منها شيئاً فقتلهم وهدم دورهم.

١٧ ـ ولم يكتف المختار بقتل قَتَلَة الحسين عليه السلام بل أمر صاحب شرطته أبا عمرة أن يستأجر ألف رجل من الفَعَلَة بالمعاول ويتبع دور من خرج إلى قتال الحسين عليه السلام فيهدمها، وهذا ما فعله أبو عمرة الذي كان عارفاً بقَتَلَة الحسين عليه السلام ومتحمساً إلى قتلهم والتنكيل بهم فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدمها على من فيها فإن خرج منها أحد قتله، ما زال هذا دأبه حتى ضُرِب به المثل فيُقال لمن فجأه الفقر والمصائب: (دخل أبو عمرة داره).

الباب الخامس

قتل أكابر المجرمين

1 ـ قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام:

بعث معاذ بن هانيء بن عدي لإحضار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين عليه السلام، فأحاطوا بداره فاختبأ فخرجت امرأته، فقالوا لها: أين زوجك، فقالت: لا أدري أين هو ـ وأشارت بيدها إلى مكان اختبائه ـ فاستخرجوه وأتوا به إلى المختار الذي أخذه إلى جانب أهله ثم أمر بإحراقه ولم يتحرك المختار من مكانه حتى أصبح رماداً لعنه اللّٰه.

2 ـ قتل عمرو بن الحجاج الزبيدي:

عند هزيمة الثورة التي قام بها أشراف الكوفة وقتلة الحسين عليه السلام على المختار، خرج عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان من الذين شهدوا مقتل الحسين عليه السلام، على رأس خمسة آلاف مقاتل، فركب راحلته هارباً من طريق واقِصة فلم يُرَ حتى الساعة ولا يُدرَى أرض بخسته أم سماء حَصَبته، وهذا ممن ثأر اللّٰه منه، وقيل: بل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

3 ـ قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع عليه السلام:

قتل المختار حرملة بن كاهل الاسدي وهو قاتل عبدالله الرضيع ابن

الحسين عليه السلام، تفصيل ذلك أن المنهال بن عمرو كان في الحج فدخل على علي بن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: يا منهال ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي، فقال المنهال: تركته حياً بالكوفة، فرفع علي بن الحسين عليه السلام كلتا يديه ثم قال: اللهم أذقه حرَّ الحديد، اللهم اذقه حرَّ الحديد اللهم أذقه حرَّ النار، فلما قدم المنهال إلى الكوفة لقي المختار وحدَّثه، فوجَّه في طلب حرملة فلم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدُّون حتى قالوا: أيها الأمير البشارة قد أُخِذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيء به فلما نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكنني منك، ثم قال: الجزَّار الجزَّار، فأُتي بجزَّار فقال له: إقطع يديه، فقطعها ثم قال له: اقطع رجليه، فقطعها ثم قال: النار النار، فأتي بنار وقصب فأُلقي عليه فاشتعل فيه النار، فسبَّح المنهال تعجباً من تحقق كلام زين العابدين عليه السلام، وأخبر المختار بموافقة دعاء زين العابدين عليه السلام لما حدث لحرملة فنزل المختار عن دابته وصلى ركعتين شكراً وأطال السجود.

أقول: توضيح ذلك أن زين العابدين عليه السلام دعا اللّه أن يذيقه حرَّ الحديد مرَّتين ودعا أن يذيقه حرَّ النار مرَّة واحدة، وهذا ما تحقق بعينه إذ قد ذاق حر الحديد عندما قطع يديه، ثم ذاق حرَّ الحديد عندما قطع رجليه، ثم ذاق حرَّ النار عندما أُحرق، ويقال أن المختار عندما علم أن فعله كان موافقاً لدعاء زين العابدين عليه السلام وأن اللّه تعالى استجاب لزين العابدين عليه السلام على يديه بقي يومه صائماً للّه تعالى شكراً على هذه النعمة.

4 ـ قتل مرَّة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام:

وبعث المختار عبدالله بن كامل ليحضر مُرَّة بن منقذ العبدي ـ وهو قاتل علي بن الحسين عليه السلام ـ فقاتلهم وأفلت منهم إلا من ضربه ضربها عبدالله بن كامل فاتقاها مُرَّة بيده اليسرى فشلت يده ثم فرَّ إلى مصعب بن الزبير.

5 ـ قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام:

وطلب المختار إحضار سنان بن أنس ـ ادَّعى قتل الحسين عليه السلام ـ لكنه كان قد هرب إلى البصرة فأمر بداره فهدِّمت، ثم إنه خرج من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار فأرسل اليه من أخذه بين العذيب والقادسية فقطع أنامله ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له زيتاً في قدر ورماه فيه.

وفي رواية أبي مخنف أن الذي قبض على سنان بن أنس النخعي هو إبراهيم الأشتر فقال لسنان: يا ويلك أصدقني، ما فعلت يوم الطف؟!، قال سنان: ما فعلت شيئاً غير أني أخذت تكة الحسين عليه السلام من سرواله، فبكى إبراهيم الأشتر عند ذلك، فجعل يشرِّح لحم فخذ سنان ويشويها على نصف نضاجها ويطعمه إياه، وكلما امتنع من الأكل ينخزه بالخنجر، فلما أشرف على الموت ذبحه وأحرق جثته عجل اللّه عليه النار.

6 ـ قتل محمد بن الأشعث آسر مسلم بن عقيل:

وطلبوا محمد بن الأشعث كبير كندة والذي أسر مسلم بن عقيل فذهبوا إليه وهو في قرية بالقادسية، فخرج هارباً إلى البصرة ولحق بمصعب ابن الزبير فأمر المختار بداره فهدمت، وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي التي كان هدمها زياد بن سميَّة لعنه اللّه.

فبقي محمد بن الأشعث عند مصعب في البصرة إلى أن جاء مصعب ابن الزبير ليدخل الكوفة فجاء معه محمد بن الأشعث على رأس قتلة الحسين عليه السلام الذين فرُّوا من الكوفه، ولما وقع القتال بينهم وبين جيش المختار فأبصر به مالك بن عمرو أبو نمران النهدي فاستقتل هو وأصحابه نحو من خمسين رجلاً فكرّوا على محمد بن الأشعث وأصحابه فقتلوه وقتلوا جماعة وقُتِلوا رحمهم اللّه، وقيل أن قاتله هو عبدالله بن قراد، وقيل بل عبد الملك بن أشاءة الكندي واللّه العالم.

ومحمد بن الأشعث هذا هو الذي قال للحسين عليه السلام يوم كربلاء: يا

حسين ابن فاطمة أيّة حرمة لك من رسول الله ﷺ ليست لغيرك، فقال الحسين عليه السلام: هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ثم قال عليه السلام: والله إن محمداً لمن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمد، مَن الرجل، فقيل: محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أرِ محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزُّه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرَّز فسلَّط الله عليه عقرباً فلذعه فمات بادي العورة.

7 ـ قتل قيس بن الأشعث:

وكان قيس بن الأشعث من قتلة الحسين عليه السلام وهو الذي سلبه القطيفة حتى كان يُقال له (قيس القطيفة)، فلما رأى ثورة المختار أنف أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها فأتى إلى عبدالله بن كامل فاستجار به، وكان عبدالله بن كامل من أخص أصحاب المختار ـ فأجاره وأقبل إلى المختار وأخبره، فسكت المختار وشغله بالحديث ثم قال له: أرني خاتمك، فناوله إياه، فجعله في إصبعه، ثم دعا أبا عمرة فدفع إليه الخاتم وقال له سراً أن ينطلق إلى امرأة عبدالله بن كامل فيقول لها: هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني إلى قيس بن الأشعث، فذهب أبو عمرة فأدخلته عليه فانتضى سيفه فضرب عنقه وأخذ رأسه فأتى به المختار فألقى بالرأس بين يديه وقال للمختار: هذا بقطيفه الحسين عليه السلام، فاسترجع ابن كامل وقال للمختار: قتلت جاري!!، فقال له المختار: لله أبوك، أسكت، اتستحل أن تجير قَتَلَة ابن بنت نبيك ﷺ.

8 ـ قتل شبث بن ربعي:

وقبض ابراهيم بن مالك الاشتر على شبث بن ربعي وهو من أكابر المجرمين الذين ولغوا بدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته، فقال له إبراهيم: أصدقني ما فعلتَ يوم الطف، فقال شبث بن ربعي لعنه اللّه: ضربت وجهه

بالسيف، فقال إبراهيم: يا ويلك، يا ملعون، ما خفت من اللّه تعالى ولا من جده رسول اللّهﷺ، ثم جعل يشرِّح أفخاذه حتى مات، ثم قطع رأسه وأحرق جثته.

9 ـ قتل أبجر بن كعب:

وقبض إبراهيم الأشتر على ابجر بن كعب الطاغي الملعون، فقال له إبراهيم: يا ويلك، ما فعلتَ يوم الطف؟!، فقال الملعون: أخذت قناع زينب عليها السلام من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى خرمت أذنيها، فقال إبراهيم وهو يبكي: يا ويلك، ما قالت لك؟، قال أبجر: قالت لي: قطع اللّه يديك ورجليك وأحرقك اللّه تعالي بنار الدنيا قبل نار الآخرة، فقال ابراهيم: يا ويلك، ما خجلت من اللّه تعالى، ولا راقبتَ جدَّها رسول اللّهﷺ، ولا أدركتك الرأفة عليها، ثم قطع رجليه وقلع عينيه وعذَّبه بأنواع العذاب، وإنما لم يقطع يديه لأنهما كانت قد قُطِعتا سابقاً.

10 ـ قتل الذين رضّوا صدر الحسين عليه السلام:

أخذ المختار الأشخاص العشرة الذين وطئوا صدر الحسين عليه السلام بخيولهم (وقد ذكرنا أسماءهم فيما سبق) ـ فأمر بهم فشدَّت أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد ثم أمر الخيل فوطأت صدورهم حتى هلكوا لعنهم اللّه.

11 ـ قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام:

وفر الشمر بن ذي الجوشن الملعون المعروف عند هزيمة الثورة التي قام بها هو وأصحابه على المختار حتى وصل إلى قرية اسمها الكلتانية، فأقام هناك سراً يكاتب مصعب بن الزبير في البصرة، وكان المختار قد بعث مسالح إلى تلك المنطقة، فعلموا بمكان اختباء الشمر بن ذي الجوشن وأصحابه فشنّوا الغارة عليهم ليلاً وهم نائمون فلم يفجأهم إلا والفرسان فوقهم، فأعجلوا الشمر قبل أن يلبس ثيابه وسلاحه فقتلوه ورموا جثته

للكلاب، وقيل بل أخذوه أسيراً فجاؤوا به إلى المختار فاغلى له دهناً في قدر نقذفه فيها فتفسخ وأما رأسه ورؤوس من معه فنصبوها في الكوفة في رحبة الخدائين.

12 ـ قتل عمر بن سعد:

ـ روي أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد في كربلاء: أي عمر، أتزعم إنك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع فإنك لن تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، فكأني برأسك على قصبة قد نُصِب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم.

وفي خبر آخر أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: قطع الله رحمك وسلَّط عليك من يذبحك على فراشك.

وفي خبر ثالث أنه عليه السلام قال له: انه لن يأكل من برِّ العراق بعده إلا قليلا، فقال عمر بن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية يا أبا عبدالله.

استهزأ عمر بن سعد بهذا القول كما استهزأ بالقولين السابقين، ولكن حدث ما قاله الحسين عليه السلام فلم يستطع عمر بن سعد الوصول إلى الري، ثم لم يلبث أن قتله المختار بأن أرسل من يذبحه وهو على فراشه ونصب رأسه في الكوفة وغيرها، وكان من قصته أن المختار كان قد أعطى أمانا لعمر بن سعد كتب فيه: أنه لا يؤخذ بحدث كان منه قديماً... إلا أن يحدث حدثاً.

فكان عمر بن سعد يعيش في الكوفة مطمئناً مستنداً إلى هذا الأمان، فذهب جماعة من الشيعة إلى الحجاز ودخلوا على محمد ابن الحنفية ثم جرى الحديث فذكروا المختار وأنه يدعو إلى الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، فقال محمد ابن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عليه السلام جلساؤه على الكراسي يحدِّثونه، والظاهر أنه كان يكنِّي بذلك عن عمر بن سعد وأضرابه.

وصل الكلام إلى المختار فعزم على إرضاء محمد ابن الحنفية وقتل البقية الباقية من قَتَلَة الحسين، فعزم على قتل عمر بن سعد، فقال لأصحابه: لأقتلنَّ غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقرَّبين، بعض الجالسين فهم أنه يشير إلى عمر بن سعد فأرسل إليه يحذره، إلا أن عمر بن سعد آثر أن يبقى في بيته مستنداً إلى الأمان وأن لا يخرج من بيته لأن في خروجه من البيت نقض لشرط الأمان.

عند الصباح أرسل المختار نوائح يبكين الحسين عليه السلام على باب دار عمر بن سعد، فلما جئن يبكين قال عمر بن سعد لإبنه حفص: يا بني إئت الأمير فقل له: ما شأن النوائح يبكين الحسين عليه السلام على بابي، فأتاه فقال له ذلك، فقال المختار: إن الحسين عليه السلام أهل أن يُبكى عليه، فقال حفص: أصلحك اللّه انههن عن ذلك، قال المختار: نعم، فأرسل أبا عمرة، وأمرُه أن يأتيه برأس عمر بن سعد، فذهب أبو عمرة ودخل على عمر بن سعد وقال له: أجب الأمير، دخله الرعب فلم يدر كيف يقوم حتى عثر في جبَّته فضربه أبو عمرة بالسيف واحتز رأسه وجاء به إلى المختار، وقد كان ما زال عنده حفص ابن عمر بن سعد، فدخل عليه أبو عمرة فوضع الرأس بين يديه، فنظر المختار إلى حفص وهو ابن أخت المختار فقال له: أتعرف هذا الرأس، فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فقال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده فأمر به فقتل واحتزُّوا رأسه فجعلوه إلى جنب رأس أبيه، فقال المختار: هذا بالحسين عليه السلام، وهذا بعلي بن حسين عليه السلام، ولا سواء واللّه لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وَفَوا أنملة من أنامله.

ويُروى أنهم سألوا الإمام الباقر عليه السلام، عن أن المختار كيف خالف الأمان فقال: ان الأمان كان مشروطاً بأن لا يُحدِث حَدَثاً وإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث.

وقد روى بعضهم قتل عمر بن سعد بكيفية أخرى، وهي أن عمر بن سعد اختفى في الكوفة فأرسل المختار من ظفر به وأحضره بين يدي المختار، فقال له: يا عمر بن سعد أنت قتلت رضيع الحسين عليه السلام قبَّحك

اللَّه من بين الأخوة، لا ذمَّة النبي ﷺ حفظت، ولا حق الأخوة رعيت، واللَّه العظيم لئن لم تنشدني أبياتك النونية لأعذبنك أشدّ العذاب، فأنشدها عمر بن سعد وهي القصيدة التي قالها حينما عزم على قتال الحسين عليه السلام وهي:

فواللـه ما أدري وإني لصادق	أفكر في امري على خطرَين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمّي والحوادث جمَّة	ولكن لي في الري قرَّة عيني
يقولون إن اللّه خالق جنَّة	ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا بما يقولون إنني	أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة	وملك عقيم دائم الحجلين
وإن إله العرش يغفر زلَّتي	ولو كنتُ فيها أظلم الثقلين
ولكنما الدنيا بخير معجل	وما عاقل باع الوجود بدين

فلما سمع المختار هذه القصيدة قال له: يا ويلك، هكذا يكون اعتقاد المسلمين!!، ثم أمر به فقتل.

13 ـ رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية:

ثم إن المختار أرسل بالرأسين ـ رأس عمر بن سعد ورأس ابنه حفص ـ إلى محمد ابن الحنفية وكتب إليه:

بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم:

. . . أما بعد فإن اللَّه بعثني نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد للَّه الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقد بعثتُ إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شَرَكَ في دم الحسين عليه السلام وأهل بيته ـ رحمة اللَّه عليهم ـ كل من قدرنا عليه ولن يُعجز اللَّه من بقي، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أدمياً . . .

ويقال بينا محمد ابن الحنفية جالساً في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد، فما تم كلامه إلا والرأسان عنده فخرَّ

ساجداً وبسط كفيه وقال: اللّهم لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيت نبيّك محمدﷺ خير الجزاء، فواللّه ما على المختار بعد هذا من عتب.

14 ـ رأس عمر بن سعد عند زين العابدينعليه السلام:

ثم إن محمد ابن الحنفية بعث برأس عمر بن سعد إلى زين العابدينعليه السلام فخرَّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

الباب السادس

قتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام

1 ـ الوقعات:

فور انتصار المختار وسيطرته على الكوفة لم تكن همته إلا مقارعة جيش أهل الشام، وبالفعل فقد تحقق عدة وقعات:

١ ـ وجه المختار يزيد بن أنس على رأس ثلاثة آلاف فارس ليقاتل عبيدالله بن زياد الذي كان يرابض في أرض الجزيرة على حدود الموصل، وصل يزيد بن أنس إلى منطقة يُقال لها بنات تلى، فالتقى جيشاً من جيوش عبيد اللّه بن زياد من ثلاثة آلاف فارس على رأسه ربيعة بن مخارق فواقعهم فهزمهم وقُتِل ربيعة بن مخارق وحازوا العسكر وغنموه وقتلوا أهل الشام قتلاً ذريعاً.

٢ ـ التقى يزيد بن أنس المتقدم ذكره بجيش آخر على رأسه عبدالله ابن حملة فيه ثلاثة آلاف فارس مضافاً إليه جميع فلول المنهزمين من جيش ربيعة من مخارق المتقدم ذكره، وكان النصر في هذه الوقعة أيضاً حليفاً ليزيد بن أنس وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وقُتِلوا قتلاً ذريعاً وقُتِل عبدالله ابن حملة، وأسر ثلاثمائة أسير من أهل الشام فضربوا أعناقهم من عند آخرهم.

2 ـ جيش ابن الأشتر:

بعد أن قضى المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر على ثورة قتلة الحسين عليه السلام لم يمض يومان حتى تجهَّز إبراهيم للخروج إلى قتال جيش عبيد اللَّه بن زياد، فخرج الأشتر مع عشرين ألف مقاتل وفيهم عشرة آلاف فارس. ومشى معه المختار وودَّعه وأمره بتعجيل القتال وأمره بالإحسان إلى عبيد اللَّه بن الحر الجعفي الذي خرج مع إبراهيم الأشتر خشية غدره، وأنشأ المختار يقول:

أما وربِّ المرسلات عرفا لنقتلنَّ من بعد صفٍّ صفًّا
وبعد ألف القاسطين ألفا
إنا وحقِّ المرسلات عرفا حقًّا وحقِّ العاصفات عصفا
لنعسفن من بغانا عسفا حتى نسوم القوم منا خسفا
زحفاً إليهم لا نمل الزحفا حتى نلاقي بعد صفٍّ صفًّا

3 ـ إلتقاء الجيشين:

مضى الأشتر حتى خرج من العراق ودخل في أرض الموصل حتى التقى بجيش ابن زياد في أرض خَازَر، فنزل الأشتر في قرية باربيثا ونزل عبيد اللَّه بن زياد بجيشه قريباً من القرية على شاطىء خازَر وكان جيشه ثلاثة وثمانين ألف مقاتل، فيهم ستون ألف فارس، وفي رواية أبي مخنف أن عدَّة جيش ابن زياد كانت تربوا على أربعمائة ألف مقاتل.

وكانت هذه البلاد (بلاد الجزيرة) موطن سكن القبائل القيسية التي كانت دماؤها ما زالت تقطر من معركة مرج راهط التي أُبيدت فيها قيس قُتِلت قتلا ذريعاً، ولذلك كان معظم جيش ابن زياد من قبائل كلب المعادية للقبائل القيسية عداءً مستحرّاً، ولهذا فإنه عندما اصطف جيش ابن زياد في مقابل جيش الاشتر كان منية القيسيين أن يُهزم جيش ابن زياد، ولذلك فإن عُمير بن الحباب السُلمي ـ القيسي ـ وهو على ميسرة جيش ابن زياد، أرسل إلى ابراهيم الأشتر أنه يريد أن يلقاه الليلة، فلقيه ليلاً فبايعه، وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم بالناس عند احتدام

المعركة، فأراد الاشتر أن يتأكد من صدق نيَّته فسأله عن تعجيل الحرب أو تأجيلها بقوله: ما رأيك؟ أخندِق عليَّ وأتلوَّم يومين أو ثلاثة؟، فقال عمير ابن الحباب: إنا للّه! لا تفعل، هل يريد القوم إلا هذه، إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليلُ الكثيرَ في الطاولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد مُلئوا منكم رُعباً. . . ، فقال إبراهيم الاشتر: الآن علمت أنك مناصح لي، صدقتَ، الرأيُ ما رأيتَ، أما إن صاحبي ـ المختار ـ أوصاني بهذا، وبهذا الرأي أمرني، فقال عمير بن الحباب، فلا تعدون رأيه، فإن الشيخ ـ المختار ـ قد ضرَّسته الحروب، وقاسى منها ما لم تُقاسِ، أصبح فناهِض الرجل.

4 ـ الإستعداد للحرب:

وهكذا عزم الأشتر على الشروع في الحرب صباحاً فهيأ لها طوال الليل ولم يدخل عينه غمض حتى إذا كان في السَحَر الأول عبّأ أصحابه وكتَّب الكتائب، وأمَّر الامراء، فلما انفجر الفجر صلى بهم الغداة بغَلَس، ثم زحف بالجيش على رسله رويداً رويداً حتى وقف على تل عظيم مشرف على جيش ابن زياد وهم غارُّون لم يتحرَّكوا بعد، فأصابهم الدَهَشُ والفشل عندما رأوا الأشتر قد أشرف عليهم، فركب الأشتر فرسه ودار على الرايات كلما مرَّ على راية وقف عليها وقال لهم: يا أنصار الدِّين وشيعة الحق وشرطة اللَّه، هذا عبيد اللَّه بن مرجانة قاتل الحسين ابن علي عليه السلام ابن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه، هذا الذي بعث إلى الحسين بن علي عليه السلام أن لا أمان لك عندي أو تنزل على حكمي ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته وساق حرم رسول اللَّه ﷺ كسبايا الروم والترك والديلم من بلد إلى بلد حتى أُدخِلوا على يزيد، فواللَّه ما عمل فرعون ببني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول اللَّه ﷺ الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا، قد جاءكم اللَّه به وجاءه بكم، فواللَّه إني لأرجو ألا يكون اللَّه جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا ليشفي

صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم اللّه إنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم ﷺ.

5 ـ المعركة.. وإبادة أهل الشام:

ثم وقعت المعركة وكان إبراهيم الأشتر ابن أبيه، وموقفه حميد ورأيه رشيد، وقوله سديد، وبأسه شديد، فكان إذا انهزمت ميسرته كرَّ عليها وكشف عن رأسه وناداها: يا شرطة اللّه إليّ، أنا ابن الأشتر، إنَّ خير فُرَّاركم كُرَّاركم، فترجع الرايات فتثبت، وكان إذا حمل بالقلب على قلب جيش ابن زياد يقول لصاحب رايته: إنغمس فيهم، فيشد بأصحابه شدة رجل واحد، ولا يضرب رجلاً إلا صرعه، وكانت الرجال تنفر من بين يديه فرار الغنم بين يدي الذئب، فلم ينقض النهار حتى وقعت الهزيمة في جيش ابن زياد ولاذوا بالفرار، فتبعهم اصحاب المختار يضربون في ظهورهم فدخل الفرَّار في النهر فغرقوا، ولم يفلت من الجيش كثير أحد حتى حاز الأشتر كل جيش ابن زياد.

6 ـ قتل عبيد الله بن زياد:

ولم يهدأ فورة الاشتر وأصحابه حتى رأوا عبيد اللّه بن زياد الملعون ابن الملعون مقتولاً في القتلى، فأخذوا رأسه وأحرقوا جثته وكان جسده مشحماً فجعلوا شحمه وقوداً يضيئون به طوال الليل، وقيل: بل صلبوه منكساً.

وفي رواية أبي مخنف أن الأشتر كمن لعبيد اللّه بن زياد وتمكن من أخذه أسيراً مكتوفاً ثم شرَّح لحمه بيده ثم شوى لحمه ثم أطعمه منها ثم ذبحه وأحرقه بالنار.

وقيل ان الذي قتل عبيد اللّه بن زياد هو شريك بن جدير كان من أصحاب عليٍّ عليه السلام وشهد معه صفين ثم سكن بيت المقدس، فلما بلغه قتل الحسين عليه السلام عاهد اللّه إن ظهر من يطلب بدمه أن يقتل ابن زياد أو يموت

في ذلك، فلما ظهر المختار سار مع الأشتر ولم يكن له همَّة إلا قتل عبيد الله بن زياد، وقيل أن قاتله هو إبراهيم الأشتر.

7 ـ إبادة أهل الشام:

ولم يُقْتَل من أهل العراق إلا ثلاثمائة وسبعون، وكان قتلى أهل الشام في هذه الوقعة ما لا يحصى عدداً، وعن الشعبي أنه قال: لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الوقعة، وعن عمر بن شبَّة مسنداً أنهم عدَّدوا القتلى بالقصب لكثرتهم فكانوا سبعين ألفاً.

أقول: وهذا ما عدا القتلى الذين غرقوا في النهر وجرفهم التيار، ولقد كان في القتلى رؤوس أهل الشام وعظماؤهم كالحصين بن نمير السكوني ـ وهو الذي استهزأ بالحسين عليه السلام في كربلاء وردَّ عليه مقالته ـ وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري، وابن حوشب، وغالب الباهلي، وأبي أشرس بن عبدالله، وشرحبيل وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام على عارضه يوم كربلاء من خلفه، وغيرهم كثير لا يحصى.

8 ـ إرسال الرؤوس:

وثم إن إبراهيم الأشتر حزَّ الرؤوس وجعلوها على الرماح والخشب ومشوا بها فكان منظراً مهيباً نحواً من سبعين ألف رأس من رؤوس أعداء اللَّه وأعداء رسوله وأهل بيته عليهم السلام مشى بها الجيش إلى الكوفة، وأرسل رؤوس عبيد اللَّه بن زياد وكبار الرؤساء من أهل الشام إلى المختار وجعل في آذانهم الرقاع بأسمائهم، فوصلت الرؤوس إلى المختار وهو يتغدى فحمد اللَّه على النصر ثم قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بالنعل إلى غلامه وقال له: اغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر، ويروى أن مقتل عبيد اللَّه بن زياد في هذه الوقعة كان في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام، وقيل في صفر.

ثم إن المختار ألقى الرؤوس في القصر ثم جعلها في المسجد في

الرحبة، فجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد اللّه بن زياد ثم خرجت من منخره، ثم خرجت وذهبت حتى غابت ثم جاءت فدخلت من منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، وهذا الخبر رواه الترمذي في صحيحه وعن ابن بطة وعن خصائص النطنزي وهم من علماء أهل السنة.

9 ـ رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه السلام:

ثم إن المختار أرسل برأس عبيد اللّه بن زياد ورؤوس أصحابه إلى محمد ابن الحنفية بمكة فلما وصلت الرؤوس إلى محمد ابن الحنفية خرَّ ساجداً ودعا للمختار فقال: جزاه اللّه خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل من وَلَدَه عبد المطلب بن هاشم، اللهم واحفظ لإبراهيم الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى، ويروى أن زين العابدين عليه السلام كان يدعو كل يوم أن يريه اللّه قاتل ابيه الحسين عليه السلام مقتولاً، فلما قتل المختار عبيد اللّه بن زياد وأنفذ الرؤوس إلى علي بن الحسين عليه السلام وأمر رسوله فقال له: إنه يصلي من الليل وإذا أصبح وصلى صلاة الغداة هجع ثم يقوم فيستاك ويُؤتى بغدائه، فإذا أتيت بابه فاسأل عنه فإذا قيل لك إن المائدة وُضِعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين (رأس عبيد اللّه وعمر بن سعد) على مائدته وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا بن رسول اللّه قد بلّغك اللّه ثأرك، ففعل الرسول ما أمره به المختار فأدخل عليه الرؤوس وهو يتغدى صلوات اللّه عليه فقال عليه السلام: أُدخلتُ على ابن زياد لعنه اللّه وهو يتغدى ورأس أبي عليه السلام بين يديه فقلت: اللهم لا تمتني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى، فالحمد للّه الذي أجاب دعوتي، ثم أمر بالرأس فرُمي، ويروى أن علي بن الحسين عليه السلام خرَّ ساجداً فقال: الحمد للّه الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً.

الخاتمة

الأمة الملعونة:

لقد عرفت أن الله تعالى غضب على هذه الأمة التي قُتِل فيها الحسين عليه السلام، غضب عليها جميعها إلا قليلاً منها لأنها قتلته أو شاركت في قتله بيدها أو سيفها أو مالها أو لسانها أو أعانت عليه أو رضيت ولقد سنَّ الله تعالى في خلقه أن الإثم لثلاثة الفاعل والمعين والراضي فكل من قتل أو أعان أو رضي فهو من قتلة الحسين عليه السلام.

وركب معهم في سفينة السوء أو أبحر معهم في بحر الخطايا أمةٌ خذلت حسيناً عليه السلام وهم يعلمون فلم ينصروه وهم بالنصرة مأمورون ضنُّوا بأنفسهم عن نفسه وبولدهم عن ولده ولم يبالوا ـ بعد أن غيَّبوا دمهم الخبيث إلى حين ـ بدم الحسين عليه السلام أن يُهْدَر ولا بالحق أن يُهجر ولا بالمعروف أن يُنكر ولا بدين الله أن يُنحر.

غضب الله على هذه الأمة فكانت أمة ملعونة لعنها الله تعالى فصُبَّ عليها العذاب صبّاً وألقي بأسها بينها فأريقت دماؤها أنهاراً وذلَّت أعناق كانت طوالاً حتى صافحوا بأيديهم أرجل أعدائهم وأقرُّوا بألسنتهم وبطلاقة أنهم العبيد وأن نساءهم الإماء فتباً وترحاً.

بقاء غيظ المؤمنين والملائكة:

كما عرفت أن الله تعالى غضب على قتلة الحسين عليه السلام ولعنهم لعناً وبيلاً فسلَّط عليهم ـ على كثرتهم ـ شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله ـ على قلّتهم ـ فتتبّعوهم تحت كل حجر ومدر وبين أوراق الشجر فضيّقوا عليهم الآفاق حتى هدَّموا بيوتهم وقتلوهم وصلبوهم وأحرقوهم ـ غير مأسوف عليهم ـ فلم يبقوا منهم باقية.

ولكن هل شفى الله صدور المؤمنين وهل أذهب غيظ قلوبهم؟؟؟

وهل انتقم الله تعالى لدماء الحسين عليه السلام؟؟؟ وهل انتصر له؟؟؟

أما في الجواب على السؤال الأول فنقول وبأعلى أصواتنا:

لا، لم يشف الله صدور المؤمنين ولم يُذهب غيظ قلوبهم.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك فانظر إلى الإمام القائم عليه السلام واسمع زيارة الناحية حين يقول لأندبنك صباحاً ومساءً.

وانظر إلى ملائكة الله الحافين بقبر الحسين عليه السلام وهم ألوف يبكونه عند قبره وهم شعث غبر منذ يوم قتل إلى قيام القائم عليه السلام فقد جاء في الخبر الموثوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: وكَّل الله تعالى بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلُّون عليه كل يوم شعثاً غبراً من يوم قتل إلى ما شاء الله ـ يعني بذلك قيام القائم عليه السلام ـ.

وجاء في الزيارة الطويلة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: يا أبا عبد الله يا حسين ابن رسول الله، جئتك مستشفعاً بك إلى الله، اللهم إني أستشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجُّون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيتك مشفقون، ومن عذابك حذرون، لا تغيِّرهم الأيام ولا يهرمون، في نواحي الحير يشهقون، وسيِّدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، واشتد منهم الحزن بحرقة لا تطفأ.

وانظر إلى المؤمنين وهم يبكون الحسين عليه السلام كل حين وقد قال

الحسينعليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

عدم تحقق الإنتقام لدماء الحسينعليه السلام:

أما في الجواب على السؤال الثاني فنقول وبأعلى أصواتنا أيضاً:

لا، لم ينتقم الله تعالى للحسينعليه السلام ولم ينتصر له، ومصداق ذلك ما جاء في الخبر المعتبر عن الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام أنه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾، فقالعليه السلام: الحسين بن عليعليه السلام منهم، ولم يُنصر بعد، ثم قال: والله لقد قُتِل قتلة الحسينعليه السلام ولم يُطلب بدمه بعد.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك ومعدنه فانظر إلى كل شيء كان حين قتل الحسينعليه السلام تجده اليوم ما زال على حاله في جوهره وحقيقته وإنما تبدَّل شكله وتغيَّر منظره وهذا تبدل لا يعني أهل الحقيقة ولا ينظرون إليه من قريب ولا بعيد.

نظرة بسيطة إلى الأشياء تجعلك تدرك بسهولة هذه الحقيقة المهولة:

قادة المسلمين:

انظر إلى قادة المسلمين وملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم فلا ترى إلا يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشبث بن ربعي وحجار ابن أبجر وشمر بن ذي الجوشن وشريح القاضي وأضرابهم وأشباههم نسخاً عنهم معدَّلة وغير معدَّلة، وربما نجد في هؤلاء نسخاً مشوَّهة عن أولئك، وربما يختجل أولئك من هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسينعليه السلام، ولو كانوا لما كان فعل هؤلاء يقصر عن فعل أولئك.

عامة المسلمين:

وانظر إلى جماهير المسلمين فلا تجد إلا أهل الشام أو أهل الكوفة

إما أناس يؤمنون بالباطل فينصرونه وإما أناس يجهلون الحق أو لم يدخل إلى أعماق قلوبهم فيخذلونه، ما زالوا ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا إلى ركن وثيق همج رعاع همُّهم الدنيا وزينتها وزبرجها وعلفهم ولباسهم وزينتهم ووجاهتهم لا يبالون ـ بعد أن تُحفظ لهم دنياهم ـ أيَّة حرمة هتكت وأيَّة كريمة انتهكت وأيَّة دماء سفكت، إن هؤلاء نسخة عن أولئك نسخاً معدَّلة وغير معدَّلة، وربما تجد في هؤلاء نسخاً مشوَّهة عن أولئك وربما يختجل أولئك من هؤلاء وأفعال هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليه السلام، ولو كانوا لكانوا ما بين قاتل ومعين وراضٍ خاذل فقبحاً لفلول الشرك وإخوان الشياطين.

الحق وأهله:

وانظر إلى الحق فما زال مجهولاً أو مهجوراً أو محارباً أو منكوراً، ما زال الحق لا يُعمل به وما زال الباطل لا يتناهى عنه بل لقد تنامى وتعاظم وانظر إلى أهل الحق أنصار الحسين عليه السلام وشيعته الصالحين الذين قصروا أنظارهم إلى محمد صلى الله عليه وآله وآله وحبسوا أنفسهم عليهم فهم بحبلهم مستمسكون وبأمرهم يعملون فإنهم ـ وإن كثر المدَّعون ـ ما زالوا أقل من القليل وأندر من الكبريت الأحمر ما زالوا مشرَّدين مقهورين إذا غابوا لم يُفقَدوا، وإذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا نطقوا لم يُسْمَعوا، وهم ملح الدنيا وجمالها وأوتاد الأرض وجبالها، إذا دُعوا لبُّوا، وإذا سمعوا الهيعة هبُّوا، يستأنسون بالمنية دون إمامهم كأُنس الرضيع بثدي أمه، أيديهم على مقابض سيوفهم وعيونهم في عيون أئمتهم المعصومين وآذانهم على كلماتهم مقصورين، لا يسمعون غيرهم ولا يلتفتون إلى من هو دونهم ولا يتخذون من دون الله ولا المؤمنين وليجة، إنما هؤلاء نسخة عن أنصار الحسين لا يقصرون عنهم فضيلة إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليه السلام ولو كانوا لكانوا معهم مضرَّجين بدمائهم كالأضاحي على صعيد كربلاء، ويا لها من فضيلة فاتت فيا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً وانظر إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فما زالوا سبايا وإن تبدل نحو السبي وطريقته، وهذا سيد ذرية

رسول الله ﷺ وعترته وروحه ولحمه ودمه غائب يترقب.

بقاء قضية الحسين عليه السلام:

إذن ما زال كل شيء على حاله حين قُتِل الحسين عليه السلام، وكأنه قتل البارحة بل إنما قُتِل الساعة، وما هذه القرون التي مرَّت في عداد ساعة الدهر الكبير إلا لحظات بارقة.

كل شيء استفز الحسين عليه السلام واستوجب خروجه ما زال موجوداً...

وكل شيء حارب الحسين عليه السلام وأعان عليه وقتله ما زال موجوداً...

وكل شيء طالب الحسين عليه السلام به ما زال مفقوداً...

وبكلمة واحدة ما زال رأس قضيَّة الحسين عليه السلام معلقاً على رماح الظالمين في كربلاء وفي أزقة الكوفة وفي أنحاء العراق والشام وعلى أعواد المسجد الكبير وفي كل أنحاء العالم، ما زال إسلام محمد ﷺ بلا ناس وما زال الناس بلا إسلام محمد ﷺ.

فأين الانتقام وأين الانتصار وأين الثأر وأين الطالب بالثأر لقد ظهر لك أن دماء الحسين عليه السلام ما زالت تغلي وتصرخ وهي في محلها الأعلى، وحق للملائكة الحافين بقبر الحسين عليه السلام أن يستمروا بالصراخ والعويل.

متى الإنتقام لدماء الحسين عليه السلام:

والسؤال الآن... متى يتحقق الثأر والانتصار لدماء الحسين عليه السلام؟.

وجوابنا على هذا السؤال واضح جلي لا يشوبه لبس ولا يعتريه غموض وهو بصريح العبارة ومختصرها على يد حفيده الإمام القائم عليه السلام حين خروجه وإنما يتحقق الانتصار للحسين عليه السلام والثأر لدمائه على يده فقط وفي زمانه فقط ولن يثأر له أو ينتصر له أو ينتقم له غيره، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ فقال عليه السلام: ذلك

قائم آل محمد ﷺ يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً.

وفي خبر آخر معتبر عن الصادق عليه السلام قال: لما كان من أمر الحسين ابن علي عليه السلام ما كان ضجَّت الملائكة إلى الله تعالى وقالت: يا ربِّ يُفْعَل هذا بالحسين صفيِّك وابن نبيِّك، قال: فأقام الله لهم ظلَّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه.

وفي خبر آخر عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله ﷺ، ألستم كلكم قائمين بالحق؟ قال عليه السلام: بلى، قلت: فلم سُمِّيَ القائم قائماً، قال عليه السلام: لما قُتِل جدي الحسين عليه السلام ضجَّت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيدنا أتغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عز وجل إليهم: قرُّوا ملائكتي فوعزتي وجلالي لأنتقمنَّ منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسُرَّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم.

وفي خبر آخر عن كرام قال: حلفت فيما بيني وبين نفسي أن لا آكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد ﷺ، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: رجل من شيعتكم جعل لله عليه أن لا يأكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد ﷺ، قال عليه السلام: فصم إذا يا كرام ولا تصم أيام العيدين ولا ثلاثة أيام التشريق ولا إذا كنت مسافراً ولا مريضاً، فإن الحسين عليه السلام لما قُتِل عجَّت السماوات والأرض ومن عليهما والملائكة فقالوا: يا ربنا ائذن لنا في هلاك الأرض حتى نجدَّهم من جديد الأرض بما استحلوا حرمتك وقتلوا صفوتك، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي اسكنوا، ثم كشف حجاباً من الحجب فإذا خلفه محمد ﷺ واثنا عشر وصيّاً له، ثم أخذ بيد فلان القائم من بينهم فقال: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي بهذا انتصر لهذا، قالها ثلاث مرات.

وجاء في أخبار الملائكة الذين يقاتلون مع الإمام القائم أن منهم الأربعة آلاف ملك الذين أذن لهم في نصرة الحسين عليه السلام وهم فرقة المنصور

وأنهم عندما هبطوا إلى الأرض وجدوا الحسين عليه السلام شهيداً فهم في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام يبكون إلى وقت خروجه، وهذا ما يفيدنا أنهم إنما ينصرون للحسين عليه السلام عند خروج القائم عليه السلام.

وجاء في الخبر المعتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال لشيخ من الشيعة: أين أنت من قبر جدي المظلوم الحسين عليه السلام فقال الشيخ: إني لقريب منه، فقال عليه السلام: كيف إتيانك له، قال: إني لآتيه وأكثر فقال عليه السلام: يا شيخ، ذاك دم يطلب الله تعالى به.

وجاء في زيارة من الزيارات المروية عن الإمام الصادق عليه السلام لجده الحسين عليه السلام: أشهد أنك صادق صدِّيق صدقت فيما دعوت إليه وصدقت فيما أتيتَ به وأنك ثأر الله في الأرض من الدم الذي لا يُدْرَك ثارُهُ من الأرض إلا بأوليائك.

وفي زيارة أخرى عنه عليه السلام قال: وانك ثأر الله في الأرض والدم الذي لا يُدرِك تِرته أحدٌ من أهل الأرض، ولا يدركه إلا الله وحده.

معنى ثأر الله:

وعندما نقول أن الحسين عليه السلام ثأر الله فلهذا معنى عظيم أوضحه الصادق عليه السلام في قوله في الخبر قال: إن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشرار خلقه وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه ولقد انتصر ليحيى بن زكريا عليه السلام ببخت نصر.

لقد أوضح الإمام عليه السلام في الزيارات المتقدمة وما شابهها من الأخبار أن دم الحسين عليه السلام يختلف عن بقية دماء الأولياء لأنه دم يطلبه الله بنفسه لنفسه.

ولكنه عليه السلام أوضح في هذا الخبر المنتقم لهذا الدم هو ولي الله تعالى مع أن دماً مثل دم يحيى بن زكريا عليه السلام وهو نبي قديس فقد انتقم الله له بشرير من شرار خلق الله هو بخت نصر.

ومن ثم فقد أصبح ظاهراً أن دم الحسين عليه السلام له مزية على دم مثل دم

يحيى بن زكريا عليه السلام، فإنَّ دم يحيى هو ثأر أولياء الله وأما دم الحسين عليه السلام فهو ثأر الله تعالى وهو دم يطلبه الله لنفسه.

لماذا الحسين عليه السلام ثأر الله:

وأما السبب الذي استلزم هذه المزية واستوجب هذه الخصيصة في دم الحسين عليه السلام حتى كان ثأر الله دون دم يحيى بن زكريا عليه السلام وإخوانه من الأنبياء والأولياء الشهداء فهو أحد أمرين:

الأول: ميزة في ذات الحسين عليه السلام تميز بها عن يحيى بن زكريا عليه السلام، ولعل هذه الميزة تكون في عمق ولاية الحسين عليه السلام لله تعالى بعد اشتراكه مع يحيى بن زكريا عليه السلام في أصل الولاية، وذلك على اعتبار أن الحسين كجدِّه وأبيه وأخيه والأوصياء من بنيه صلوات الله عليهم أجمعين حازوا أعلى درجات الفناء في الله تعالى شأنه وبهذه الدرجة الخاصة التي لم يدركها أحد من أولياء الله تعالى كان لهم هذه الميزة بأن يكون ثأرهم ثأر الله ودمهم دماً يطلبه الله.

الثاني: ميزة في أهداف ثورة الحسين عليه السلام وأسباب مقتله، توضيح ذلك: ان الحسين عليه السلام الذي هو خالصة الله تعالى إنما تحرَّك بأمر من الله تعالى ولهدف يريده الله تعالى ألا وهو حاكميته تعالى على عباده وبلاده هذه الحاكمية التي أُزيحت يوم السقيفة.

وقد قُتِل الحسين عليه السلام في خروجه هذا ولم يقتله من قتله إلا لهذا السبب وبانقياد لحاكمية الشيطان ولهذا كان بعض من قتل تجري دموعه على خديه حين قتل الحسين عليه السلام، وما كان الظالمون يريدونْ قتل الحسين عليه السلام لو لم يصر على معاندة حاكمية الشيطان ونصرة حاكمية الله وبأمر من الله، فالحسين إذن كبش الله تعالى قدَّمه بيده لغرض من أغراضه وبذلك كان دمه دماً تعالى يطلبه بذاته جلَّ جلاله، فلا جرم كان المنتَقِم هو الله تعالى بيده التي لا تكون إلا ولياً من أوليائه وخالصة من خالصاته، ولا جرم كان المنتَقَم منه هو حاكمية الشيطان التي مآلها الزوال والفناء حين يتحقق إنتقام الله تعالى لدماء الحسين عليه السلام.

ما بين قتل الحسين عليه السلام والإنتصار:

وما بين قتل الحسين عليه السلام والإنتقام له مرحلة عظمى من مراحل الدهر الكبير سمتها البارزة حاكمية الشيطان وغياب حاكمية الله تعالى ففي الخبر عن الصادق عليه السلام قال: لما قُتِل الحسين عليه السلام سمع أهلنا قائلاً بالمدينة يقول: اليوم نزل البلاء على هذه الأمة فلا يرون فرحاً حتى يقوم قائمكم...

وفي خبر آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا جرم ما وُفقوا ولا يوفقون أبداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام.

وعن الصحابي الصالح أبي ذر الغفاري عندما أخرجه عثمان إلى الربذة قال له الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قُتِل الحسين بن علي عليه السلام قتلاً أو قال ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإن الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً ويبعث ناقماً من ذريته فينتقم من الناس.

وستستمر حاكمية الشيطان بروزاً وظهوراً حتى تصبح هذه الأمَّة أذلَّ من الأَمَة وأضعف من المشلول، وحتى يصبح أفرادها كغنم في زريبة لا يبالي القصَّاب على أي رأس وضع يده وحتى يعود الإسلام غريباً وحتى تمتلىء الأرض ظلماً وجوراً وحتى تدلهم الظلمات.

فقد جاء في الخبر المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء.

وفي الخبر المشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله بين الخاصَّة والعامَّة أن المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً منها الخبر الصحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وهذا الخبر الصحيح بأسانيد جليلة والذي له شواهد قوية في بعضها

(له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم) يدل على استمرار الضلال وتحكمه ليس في ملة الإسلام فحسب بل في سائر الأديان وكل الخلق حتى يضل الخلق جميعاً عن أديانهم.

وفي خبر آخر عن علي(ع) أنه قال: لتملأن الأرض ظلماً وجوراً حتى لا يقول أحد (الله) إلا متخفياً، ثم يأتي الله بقوم صالحين يملؤونها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين(ع) يقول فيه لحذيفة بن اليمان... ثم يلي الحسين(ع) فتقتله، فلُعِنت أمة تقتل ابن بنت نبيها، ولا تعز من أمة، ولعن القائد لها والمرتب لفاسقها، فوالذي نفس علي بيده لا يزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلال، وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف في الدين، وتغيير وتبديل لما أنزل الله في كتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، واختلال، وقياس مشتبهات، وترك محكمات حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى والتلدد والتكسع... الحديث طويل أخذنا بعضه.

والأخبار في هذا النحو كثيرة قد رأينا مصداقها بأعيننا ولمسنا تحققها بأيدينا حتى باتت أعمال هذه الأمة يستبشعها ويمجُّها أبناء الشرك والضلالة.

معنى حاكمية الشيطان:

وعندما نقول ان هذه هي مرحلة غلبة حاكمية الشيطان على حاكمية الله تعالى فلا نعني أبداً ولا نقصد بأي وجه من الوجوه غلبة ولي الشيطان على ولي الله فإن هذا محال لأن ولي الله من الله وكما أن الله هو القهَّار الغالب على أمره فكذلك ولي الله فهو قهَّار غالب على أمره وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وإنما المعنى المقصود من غلبة حاكمية الشيطان هو أن العباد والبلاد تركت تولِّي الله ووليِّه وانقادت إلى الشيطان وأشركت به وتولَّت وليَّه، فالمغلوب للشيطان حقيقة هو العباد والبلاد حيث سيطر عليهم ظلمات الشيطان وحُرِموا من إشراقة نور الله تعالى، وأما ولي الله فهو على حاله في الحالين لا يضرُّه إدبار العباد عنه كما لا ينفعه إقبالهم عليه، وإنما سعيه إذا سعى لإنقاذهم من براثن الشيطان إلى يد الرحمن ولإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو في الحالين على حاله يد الرحمٰن ونور الله في عباده وبلاده، وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

السبب في غلبة حاكمية الشيطان:

ومن الضروري جداً أن تعرف أن السبب الذي يستدعي غلبة حاكمية الشيطان على حاكمية الله تعالى في أكثر مراحل التاريخ هو أن حاكمية الشيطان لها طرق شتَّى من القهر والغلبة والجهل والغرور والمال والتغرير والمكر والخيانة والغدر والخديعة والأموال والشهوات وأما حاكمية الله تعالى فليس لها إلا طريق واحد وهو الثقة بالله تعالى والإعتصام بحبله وهو معنى ولاية الله فحاكمية الله تعالى في الأرض ليس لها إلا طريق واحد وهو ولايته تعالى شأنه.

طهارة حاكمية الله تعالى:

ولو أن الله تعالى كان يقبل تحقق حاكميته عن أي طريق كان ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ـ لكان هو الحاكم على مرِّ التاريخ ولكان الشيطان هو المعزول المقهور على مرِّ التاريخ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، ولكن الله ـ جلَّت عظمته وتقدَّست كلمته ـ شاء أن تكون حاكميته عن طريق إنقياد العباد إلى ولايته وما ومضات حاكمية الله تعالى التي تحقَّقت في تاريخ هذه الأرض إلا من خلال هذا الطريق

العظيم. والحكمة التي تدعونا إلى فهم هذا الحكم الإلهي والاعتقاد به إعتقاداً راسخاً هو معرفتنا وإقرارنا المطلق بأن الله تعالى سبوح قدوس ذو الجلال والإكرام فجلَّ عن كل سوء ونقص، ومن جلاله تعالى أن يجلَّ كل ما ينتسب إليه عن كل نقص وسوء، ومن ثم فلا ينتسب إلى الله تعالى شأنه إلا القدوس المطهَّر ومن ثم فالحاكمية إذا انتسبت إلى الله لا ريب كانت مقدَّسة مطهَّرة عن كل نقص وسوء، فلا جرم ينحصر طريقها بالولاية المقدَّسة التي تفرزها التقوى المقدَّسة.

طهارة حاكمية الله من معرفته:

ومن هنا ظهر لك أن طهارة ولاية الله تعالى هي وصف من أوصاف الله تعالى ومن هنا فمن عرف الله تعالى المعرفة الواجبة إستحال عليه أن ينسب إلى الله تعالى نسبة غير مقدسة في أي ميدان ومن كل الجهات.

وفي الخبر المعتبر المروي بأسانيد متكثرة عن زرارة بن أعين عن الصادق عليه السلام قال: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم فقال زرارة: ولِمَ؟، قال عليه السلام: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر وهو الذي يشك الناس في ولادته... إلى أن يقول: غير أن الله تعالى يحبُّ أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون، قال زرارة: فقلت: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزمان فأي شيء أعمل، قال: يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء: «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرِّفني نفسك لم أعرف نبيَّك، اللهم عرِّفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجَّتك، اللهم عرِّفني حجَّتك فإنك إن لم تعرِّفني حجَّتك ضللت عن ديني»... الحديث.

وهذا الحديث صريح في أن معرفة النبي صلى الله عليه وآله والولي إنما هي تبع معرفة الله وليس العكس كما يتخيَّله كثير من الجهال ـ وإن كان للعكس معنى صحيحاً ليس المجال مجال بيانه ومعنى هذه التبعية ـ كما أفهمه ـ هو أن من عرف الله وآمن به وعرف أنه القيوم ذو الجلال علم أنه لا يمكن أن

يهمل عباده كيف يهملهم وهو القيوم، وإذا نصب لهم علماً فلا يمكن إلا أن يكون مطهراً كيف وهو ذو الجلال والإكرام، فمن عرف الله تعالى ونزَّهه نزَّه النبي والولي عن كل سوء ونقص ومن لم يعرف الله تعالى ولم ينزهه إحتمل في النبي والولي كل احتمال فعرض على قلبه الريب ودخلت عليه المذاهب والاحتمالات وضاع عن دينه. ومن ثم فكل من ينسب إلى النبي أو الولي ما لا يليق به أو يحتمل بهما ذلك فقد جهلهما وكان جهله بهما ناشئاً عن جهله بالله تعالى شأنه جل جلاله.

أسباب خروج المهدي عليه السلام:

ومن هذه العصارة السريعة نستنتج أن هذه الأمة ـ من حين قتل الحسين عليه السلام ـ قد غرقت في ظلمات الظلم والبدع وستبقى تغوص في بحر الظلمات حتى ترتطم بقعره وستبقى ترتطم إلى حين خروج الإمام المهدي عليه السلام الذي سينتقم لدماء الحسين عليه السلام وينتصر لقضيته ويعيد الحق إلى نصابه ويخرج الأمة من الظلمات إلى النور، لا محيص ولا مفر عن ذلك مهما اغتر المغترُّون ومهما جهل الجاهلون.

ونستنتج أيضاً أن المهدي عليه السلام إنما يخرج إذا تهيَّأت أسباب استقرار حاكمية الله تعالى وتغلبها على ولايات الشيطان.

وقد عرفت فيما قدمناه أن السبب الوحيد لحاكمية الله تعالى هو إنقياد العباد لولايته تعالى وإعراضهم عن ولاية الشيطان، فعندما يشيع بين الناس الإعراض عن ولاية الشيطان بكل أشكالها العجيبة وألوانها الغريبة وعندما لا تستطيع ولاية الشيطان بكل ألوانها وأشكالها أن تستميل قلوب الناس وأفئدتهم عندها فقط تتهيأ القلوب للإنقياد إلى ولاية الله تعالى شأنه.

أسباب الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن إعراض القلوب عن ولاية الشيطان بكل أشكالها إنما يكون عندما تدرك هذه القلوب عقم هذه الولايات عن تحقيق الطموح الذي

تهوي إليه هذه القلوب، وبعبارة أخرى فإن الناس بنحو عام إنما تهوى قلوبهم السلام والعدل وهذا هو ما يبحثون عنه بادىء ذي بدء وهذا هدف سام. ولأنهم أهل الجهل والضلالة يبحثون عن هذا الهدف السامي في الأوحال والأوساخ أعني في ولاية الشيطان وهم لا يعلمون أن السلام والعدل إنما يكون في القداسة والطهارة أعني في ولاية الله تعالى.

ولأجل هذا الجهل والضلال الذي هو فخ الشيطان الذي وقعت فيه البشرية الضالّة في أغلب الأحيان إنحاز كل فرقة لعصبيتهم وتعددت الرايات ومن ثم اختلفوا فتنازعوا فذهب ريحهم الطيب وجاء ريحهم النتن.

وكرّت الأيام والسنون وستكر الأيام والسنون على هذا المنوال حتى يكتشف الناس هذا الفخ الخبيث ويستيقنوا قبحه ويدركوا بما لا مزيد عليه أن هدفهم المنشود السامي لن يتحقق عن هذا الطريق.

كيف السبيل إلى الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن الناس في اكتشافهم لهذا الفخ وإدراكهم عقم ولايات الشيطان على صنفين:

الصنف الأول: هو الذي يدرك ذلك بعقله الكريم وقلبه السليم ولو بمعرفة تعاليم الأنبياء والأولياء فلطالما كان الأنبياء والمرسلون مهتمين بهذه الناحية ويبلغون جماعاتهم بأعلى أصواتهم هذا المعنى ولا سيما نبينا الكريم محمدﷺ وآله الطيبين، وهذا الصنف من الناس هم الصنف الأجود والأندر وما أشد ندرته في هذا الزمان والأزمنة السابقة.

الصنف الثاني: هو الذي لا يدرك إلا عن طريق الحس والتجربة فإن كثيراً من الناس يدخلون في الشيطان بهدفهم السامي ولا تمضي الأيام والسنون حتى يدركوا بأم أعينهم قبيح ما جنته أيديهم وربما طالهم هذا القبيح بأنفسهم حتى كانوا صرعى وضحايا أفعالهم قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، ولقد تحقق حتى هذا اليوم

من هذه التجارب الفردية والجماعية مما عُرِف ومما لم يُعرف ما لا تحصيه حسابات البشر ولا يحيطون به وستبقى هذه التجارب الفردية والجماعية تتحقق على مرِّ التاريخ القادم حتى ينتشر بين الناس ويعلم الكبير والصغير عقم هذا الطريق وقبحه ولؤمه وغروره، حتى يدرك الإنسان قبل دخوله في أي ولاية من ولايات الشيطان أنها لا تحقق هدفه السامي المنشود وأنه إذا دخلها فإنما يدخلها لتحقيق مآرب أخرى ظالماً أو معذوراً وحسابه على ربه.

سقوط الولائج:

وهذه النتيجة تقتضيها حتمية تطور العلم وانتشاره فإن كل علم مهما دقَّ أو جلَّ فإنه سينتشر بين الناس إن عاجلاً أو آجلاً، واكتشاف فخ الشيطان وعقم ولايته هو معلومة من المعلومات وحقيقة من الحقائق التي سيأتي يوم وتنكشف للناس بشكل عام.

على هذه النتيجة على حتميتها قد دلَّت عليها النصوص قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقد ورد عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله: ﴿... حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني بذلك خروج القائم هو الحق من الله عز وجل يراه هذا الخلق لا بد منه.

وفي الخبر المعتبر الذي رواه محمد ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولوا من الناس حتى لا يقول قائل: لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم بالحق والعدل.

هذا الخبر الذي رواه أعاظم الرواة الثقات الأجلاء الذين لا ريب في صدقهم وضبطهم صريح في أن زمن الفرج وحاكمية الله هو زمن اليأس من حاكمية الشيطان أعني زمن يعلم فيه الجميع بطلان دعوى الرايات والولايات التي تدَّعي العدالة.

وفي خبر آخر معتبر أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: إنه سيكون - يا حسن - فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة وذلك عند فقدان[1] الشيعة الثالث من ولدي...

والولائج والبطائن في الولايات والعصبيات تسقط جميعاً بظهور عورتها لا بفنائها لوضوح وجوب بقائها لامتناع خلو الأرض من وال بر أو فاجر.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام قال: إنه لا بد من أن يكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا، وهذا الخبر كسابقه في الدلالة على سقوط سائر الولايات والعصبيات حتى تلك الولايات البالغة الفطنة والقدرة حتى القادرة على شق الشعرة إلى شعرتين.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام يقول:... فخروجه إذا خرج يكون اليأس والقنوط من أن يروا فرحاً...

وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن ذكر ظلمهم لعلي عليه السلام وولده قال: وأخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربه عز وجل أن ذلك يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم وأجمعت الأمة على محبتهم وكان الشانىء لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم وذلك حين تغيّر البلاد وتضعف العباد والإياس من الفرج وعند ذلك يظهر القائم فيهم.

ومن هذه الأخبار الشريفة وما بمضمونها من أخبار أخرى يظهر أن المقدمة الأساسية لظهور الإمام القائم عليه السلام روحي فداه هي ما قدمناه من انتشار حكمة إعراض ويأس البشر من ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها بمعنى إدراكهم الكامل لعقم هذه الولاية وعدم إيصالها إلى ما ينشده عموم بني البشر من العدل والسلام.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم الخبر الصحيح الذي رواه الثقات

---

(١) أقول: فقدان الثالث هو موت الحسن العسكري عليه السلام كما يدل عليه بقية الخبر.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كل راية تُرفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله عز وجل[1].

فإن غرض الأئمة صلوات الله عليهم التعجيل والإسراع بقطع آمال الأمة من الرايات البشرية التي ستكون حتماً شكلاً من أشكال ولاية الشيطان. لعدم قدرتها على إقامة العدل والسلام فضلاً عن الإنتساب إلى الله السبوح القدوس.

وبما أن خروج الإمام المهدي عليه السلام وتحقيق العدل والسلام عن طريق ولاية الله هو الهدف الأسمى للخلق فلا جرم كان تهيئة مقدمات هذا الخروج هو من أسمى الأعمال وأقدسها وأعظمها فضلاً وارتباطاً بالهدف الإلهي.

ومن هذه الزاوية نفهم عمق الخبر المروي عن الإمام الجواد عليه السلام والذي يقول: أفضل أعمال شيعتنا إنتظار الفرج.

فإن هذا الإنتظار أصبح عملاً إيجابياً يتضمن إيجاد المقدمة الأساسية لأعظم وأقدس عمل في الوجود حيث أصبح هذا الإنتظار باعثاً على تعجيل قطع الآمال من ولاية الشيطان ولا بد أن نفترض أو نحرض فئة من البشر المتميزين على عدم قطع آمالها من إقامة العدل والسلام - وإن قطعت آمالها بإقامتهما عن طريق ولاية الشيطان - وبالتالي ستكون آمال هذه الفئة متعلقة بالطريق الإلهي الذي تعتقد أنه الوحيد القادر على تحقيق آمالها، وهذه الفئة المتميزة ستكون هي السبَّاقة إلى نصرة الإمام المهدي عليه السلام حين خروجه.

نداء دماء الحسين عليه السلام:

ومن هذا المنطلق نوجه النداء الذي نستوحيه من صدى دماء الحسين عليه السلام...

---

(١) وروى مالك بن أعين الجهني نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كل راية تُرفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت.

إلى كل الذين ينشدون دم المظلوم...

وإلى كل الذين ما زالوا غاضبين على قتل الحسين عليه السلام...

وإلى كل الذين ما زالوا جزعين يبكون دماء الحسين عليه السلام...

وإلى كل المؤمنين العاشقين لرفع كلمة الله تعالى وجعلها العليا...

وإلى كل الأحرار في العالم الذين ينشدون إرساء السلام والعدل في العالم...

أن يبادروا إلى اختصار متاعب وأهوال البشرية بسلوك مذهب واحد لا ثاني له ألا وهو تعبيد طريق استقرار حاكمية الله تعالى شأنه في عباده وبلاده بالإعراض عن ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها.

فليؤمنوا بذلك وليظهروه وليبيّنوه لسائر المساكين والمستضعفين من بني البشر مهما أمكنهم ذلك والله ولي التوفيق أولاً وآخراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأقل محمود علي قانصو

بلدة الشهابية في ١٢/ ١/ ٢٠٠٢ م

الموافق ٢٨/ شوال/ ١٤٢٢ هـ

الفهرس

مدخل ٥

الفصل الأول
أحوال الأجساد

الباب الأول: الأجساد في كربلاء ١٣
١ ـ فصل الرؤوس ١٣
٢ ـ إقتسام الرؤوس ١٤
٣ ـ سلب الجثث ١٥
٤ ـ رض ضلوع الحسين عليه السلام وأصحابه ١٦
٥ ـ ترك أجساد الشهداء ١٨
٦ ـ دفن الجثث ١٩
الباب الثاني: الرؤوس في الكوفة ٢٣
١ ـ إرسال الرؤوس إلى الكوفة ٢٣
٢ ـ وعند عبيد الله بن زياد ٢٥
الباب الثالث: الرؤوس في الشام ٢٧

١ ـ الرؤوس إلى الشام ٢٧
٢ ـ الرؤوس تدخل الشام ٢٧
٣ ـ رأس الحسين عليه السلام عند يزيد ٢٨
٤ ـ استهتار يزيد برأس الحسين عليه السلام ٣٠
٥ ـ صلب رأس الحسين عليه السلام ٣١
الباب الرابع: حوادث مع الرأس الشريف ٣٣
١ ـ البلدان التي وصلها رأس الحسين عليه السلام ٣٣
٢ ـ مدفن الرأس الشريف ٣٤
٣ ـ معجزات الرأس ٣٦

الفصل الثاني

أحوال السبايا

الباب الأول: آل محمد صلى الله عليه وآله في أيدي الأعداء ٤٣
١ ـ الغارة على النساء وسلبهم ٤٣
٢ ـ كشف ستور حرم الرسول صلى الله عليه وآله ٤٤
٣ ـ إحراق الخيام ٤٥
٤ ـ السبايا تودع حماتها ٤٦
٥ ـ سوق النساء ٤٧
٦ ـ ضرب النساء ٤٧
٧ ـ جمع النساء ٤٧
الباب الثاني: آل محمد صلى الله عليه وآله في الكوفة ٤٩
١ ـ السبايا من كربلاء إلى الكوفة ٤٩

٢ ـ السبايا يدخلون الكوفة ٥٠
٣ ـ خطاب زينب عليها السلام في أهل الكوفة ٥٢
٤ ـ خطاب أم كلثوم ٥٣
٥ ـ خطاب فاطمة الصغرى ٥٤
٦ ـ خطاب زين العابدين عليه السلام ٥٦
٧ ـ إحضار الرؤوس ٥٧
٨ ـ السبايا إلى السجن ٥٨
٩ ـ السبايا عند ابن زياد ٥٩
١٠ ـ موقف زين العابدين عليه السلام ٦٠
الباب الثالث: آل محمد صلى الله عليه وآله في شام الأعداء ٦١
١ ـ أوامر يزيد بن معاوية ٦١
٢ ـ السبايا في الطريق إلى الشام ٦٢
٣ ـ السبايا في تكريت ٦٣
السبايا في نصيبين ٦٣
٥ ـ السبايا في قنسرين ٦٣
٦ ـ السبايا في حلب ٦٤
٧ ـ السبايا في حماة ٦٤
٨ ـ السبايا في بعلبك ٦٤
٩ ـ السبايا على باب الشام ٦٥
١٠ ـ السبايا يدخلون الشام ٦٥
١١ ـ عيد الشام ٦٧
١٢ ـ السبايا على درج المسجد ٦٩

١٣ ـ السبايا عند يزيد ٧٠
١٤ ـ استقبال نساء آل يزيد ٧١
١٥ ـ خطاب زينب عليها السلام عند يزيد ٧١
١٦ ـ محنة فاطمة بنت الحسين عليه السلام ٧٤
١٧ ـ كلام زين العابدين عليه السلام مع يزيد ٧٥
١٨ ـ زين العابدين عليه السلام على منبر الشام ٧٧
١٩ ـ خطبة زين العابدين عليه السلام ٧٧
٢٠ ـ السبايا في المحبس ٧٩
٢١ ـ تبدل سياسة يزيد ٨٠
٢٢ ـ موقف في الشام ٨٢
الباب الرابع: العودة الحزينة ٨٥
١ ـ خروج السبايا من الشام ٨٥
٢ ـ السبايا في كربلاء ٨٦
٣ ـ موقف جابر بن عبد الله الأنصاري ٨٧
٤ ـ عيال محمد صلى الله عليه وآله على باب مدينته ٨٨
٥ ـ اجتماع زين العابدين مع أهل المدينة وخطبته عليه السلام فيهم ٨٩
٦ ـ قصيدة أم كلثوم ٩٠
٧ ـ دخول السبايا إلى المدينة ٩١

الفصل الثالث

حزن الكائنات

الباب الأول: أحزان الحق وأهله ٩٥

١ ـ أحوال الكائنات ٩٥

٢ ـ غضب الله ونداؤه ٩٦

٣ ـ حزن الملائكة فرقة المنصور ٩٧

٤ ـ حزن كافة الملائكة ٩٨

٥ ـ حزن الأنبياء عليهم السلام ٩٩

الباب الثاني: حزن السماوات والأرضين وما بينهن ١٠١

١ ـ بكاء السماء ١٠١

٢ ـ دفع تشكيك ١٠٢

٣ ـ بكاء الأرض ١٠٤

٤ ـ بكاء الجن ١٠٥

٥ ـ بكاء الطير والوحش والحوت والجن ١٠٥

٦ ـ حزن البوم وهيامها ١٠٥

٧ ـ والحمام الراعبي ١٠٥

٨ ـ والغراب ١٠٦

٩ ـ وحصان الحسين عليه السلام ١٠٦

١٠ ـ بكاء جهنم ١٠٦

١١ ـ سرور الشيطان ١٠٧

الباب الثالث: حزن أهل البيت عليهم السلام ١٠٨

١ ـ حزن رسول الله ﷺ ١٠٨
٢ ـ حزن علي بن أبي طالب عليه السلام ١١١
٣ ـ حزن فاطمة عليها السلام ١١٣
٤ ـ حزن الحسن بن علي عليه السلام ١١٦
٥ ـ حزن زينب بنت علي عليه السلام ١١٧
٦ ـ تشريد زينب عليها السلام إلى مصر ١١٩
٧ ـ حزن زين العابدين عليه السلام ١٢٠
٨ ـ حزن الإمام الباقر عليه السلام ١٢٢
٩ ـ حزن الإمام الصادق عليه السلام ١٢٢
١٠ ـ حزن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ١٢٥
١١ ـ حزن الإمام الرضا عليه السلام ١٢٥
١٢ ـ حزن الإمام الجواد عليه السلام ١٢٧
١٣ ـ حزن بقية الأئمة ١٢٧
١٤ ـ حزن الإمام القائم عليه السلام ١٢٨
الباب الرابع: حزن الهاشميين ١٢٩
١ ـ وصول خبر الفاجعة إلى المدينة ١٢٩
٢ ـ وأم سلمة زوج النبي ﷺ ١٣٠
٣ ـ وابن عباس ١٣١
٤ ـ بشير السلطان ١٣١
٥ ـ حزن بني هاشم ١٣٢
٦ ـ وأم البنين ١٣٧
٧ ـ موقف عبد الله بن جعفر ١٣٧

٨ ـ محمد ابن الحنفية ١٣٨

الفصل الرابع
إنتقاض الممالك

الباب الأول: عقوبة دماء الحسين عليه السلام ١٤١
١ ـ التحذير ١٤١
٢ ـ إدراك الخطر ١٤٢
الباب الثاني: الخلاف على الخلافة ١٤٧
١ ـ هلاك يزيد ١٤٧
٢ ـ اختلاف أهل الشام ١٤٨
٣ ـ هياج الفتنة في الشام ١٤٩
٤ ـ معركة مرج راهط ١٤٩
٥ ـ البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة ١٥٠
الباب الثالث: فتنة البصرة ١٥١
١ ـ عبيد الله بن زياد يطمع في الخلافة ١٥١
٢ ـ البيعة لعبيد الله بن زيادة بالخلافة ١٥١
٣ ـ اختلاف أهل البصرة ١٥٢
الباب الرابع: فتنة عبد الله بن الزبير ١٥٥
١ ـ خروج عبد الله بن الزبير ١٥٥
٢ ـ حصار مكة المكرمة ١٥٦
٣ ـ إحراق الكعبة ١٥٦
الباب الخامس: ثورة أهل المدينة ١٥٩

١ ـ خروج أهل المدينة ١٥٩

٢ ـ موقف علي بن الحسين عليه السلام ١٦٠

٣ ـ قدوم جيوش أهل الشام ١٦٠

٤ ـ وقعة الحرة وتدمير المدينة ١٦١

٥ ـ استعباد أهل المدينة ١٦٢

الباب السادس: فتن مختلفة ١٦٣

١ ـ وفتن أخرى ١٦٣

٢ ـ وحروب بين أهل الشام والعراق ١٦٣

٣ ـ ثورة نجدة بن عامر الحنفي ١٦٤

الفصل الخامس
إنتفاضة الشيعة

الباب الأول: ندم عام واحتجاجات أفراد ١٦٧

١ ـ ندم الشيعة ١٦٧

٢ ـ إحتجاجات سلمية ١٦٧

٣ ـ إحتجاجات عنيفة ١٦٨

٤ ـ إحتجاج عبد الله بن عفيف ١٦٩

٥ ـ إحتجاج جندب بن عبد الله الأزدي ١٧١

٦ ـ إحتجاج عبيد الله بن الحر الجعفي ١٧١

الباب الثاني: مقدمات ثورة التوَّابين ١٧٥

١ ـ التوبة والندم ١٧٥

٢ ـ اجتماع الشيعة ١٧٦

٣ ـ كلام المسيب بن نجبة ١٧٦
٤ ـ كلام رفاعة بن شداد ١٧٧
٥ ـ خطاب سليمان بن صرد ١٧٧
٦ ـ إجابة الشيعة ١٧٨
٧ ـ إستنهاض الشيعة ١٧٨
٨ ـ إستنهاض شيعة المدائن ١٧٩
٩ ـ إستنهاض شيعة البصرة ١٨٠
١٠ ـ إعلان الثورة ١٨١
١١ ـ وفاق الشيعة والسلطة ١٨٢
الباب الثالث: ثورة التوَّابين ١٨٣
١ ـ خروج التوَّابين من الكوفة ١٨٣
٢ ـ قرار المسير ١٨٤
٣ ـ إقتراح جديد ١٨٤
٤ ـ إقتراح السلطان ١٨٥
٥ ـ إعلان المسير وبدايته ١٨٥
٦ ـ عند قبر الحسين عليه السلام ١٨٦
٧ ـ وداع الحسين عليه السلام ١٨٦
٨ ـ التوَّابون في الطريق ١٨٧
٩ ـ التوابون في قرقيسيا ١٨٨
١٠ ـ التهيئة للحرب ١٨٩
١١ ـ الحرب ١٩٠
١٢ ـ اليوم الثاني ١٩١

١٣ ـ اليوم الثالث ١٩١
١٤ ـ شهادة سليمان بن صرد ١٩١
١٥ ـ شهادة المسيب بن نجبة ١٩٢
١٦ ـ شهادة عبد الله بن سعد ١٩٢
١٧ ـ شهادة عبد الله بن وال ١٩٢
١٨ ـ قرار الإنسحاب ١٩٣
١٩ ـ قرار المستميتين ١٩٣
٢٠ ـ إنسحاب الفلول ١٩٥

الفصل السادس
ثورة المختار والأخذ بالثأر

الباب الأول: تاريخ المختار ١٩٩
١ ـ الإخبار بالمختار ١٩٩
٢ ـ المختار مع مسلم بن عقيل ١٩٩
٣ ـ المختار عند ابن زياد ٢٠٠
٤ ـ المختار في السجن ٢٠٠
٥ ـ خروج المختار من السجن ٢٠٢
٦ ـ المختار في الكوفة ٢٠٣
٧ ـ نبوءة المختار ٢٠٤
٨ ـ سر النبوءات ٢٠٥
الباب الثاني: دعوة المختار ٢٠٧
١ ـ نداء المختار ٢٠٧

٢ ـ إجابة الشيعة ٢٠٨
٣ ـ الاستئذان من محمد ابن الحنفية ٢٠٨
٤ ـ الاستئذان من زين العابدين عليه السلام ٢٠٩
٥ ـ إجتماع الشيعة على المختار ٢١٠
٦ ـ إبراهيم بن مالك الأشتر ٢١٠
٧ ـ كتاب محمد ابن الحنفية إلى الأشتر ٢١١
٨ ـ موافقة بن الأشتر ٢١٢
الباب الثالث: ثورة المختار ٢١٣
١ ـ الثورة ٢١٣
٢ ـ إستنفار السلطة ٢١٣
٣ ـ شرارة الثورة ٢١٤
٤ ـ إندلاع الثورة ٢١٥
٥ ـ الانتصار الأول ٢١٦
٦ ـ السيطرة على الكوفة ٢١٧
٧ ـ استسلام السلطة ٢١٨
٨ ـ نصرة أهل البيت عليهم السلام ٢١٩
الباب الرابع: الثأر من قتلة الحسين عليه السلام ٢٢١
١ ـ النبوءة بقتل قتلة الحسين عليه السلام ٢٢١
٢ ـ انتقام الله تعالى ٢٢١
٣ ـ ثورة قتلة الحسين عليه السلام ٢٢٥
٤ ـ قرار استئصال قتلة الحسين عليه السلام ٢٢٦
٥ ـ تتبع قتلة الحسين عليه السلام ٢٢٦

٦ ـ تفاصيل الثأر ٢٢٧
الباب الخامس: قتل أكابر المجرمين ٢٣٣
١ ـ قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام ٢٣٣
٢ ـ قتل عمرو بن الحجاج الزبيدي ٢٣٣
٣ ـ قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع ٢٣٣
٤ ـ قتل مرَّة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام ٢٣٤
٥ ـ قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام ٢٣٥
٦ ـ قتل محمد بن الأشعث آسر مسلم بن عقيل ٢٣٥
٧ ـ قتل قيس بن الأشعث ٢٣٦
٨ ـ قتل شبث بن ربعي ٢٣٦
٩ ـ قتل أبجر بن كعب ٢٣٧
١٠ ـ قتل الذين رضّوا صدر الحسين عليه السلام ٢٣٧
١١ ـ قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام ٢٣٧
١٢ ـ قتل عمر بن سعد ٢٣٨
١٣ ـ رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية ٢٤٠
١٤ ـ رأس عمر بن سعد عند زين العابدين عليه السلام ٢٤١
الباب السادس: قتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام ٢٤٣
١ ـ الوقعات ٢٤٣
٢ ـ جيش ابن الأشتر ٢٤٤
٣ ـ إلتقاء الجيشين ٢٤٤
٤ ـ الاستعداد للحرب ٢٤٥
٥ ـ المعركة. . وإبادة أهل الشام ٢٤٦

٦ ـ قتل عبيد الله بن زياد ٢٤٦
٧ ـ إبادة أهل الشام ٢٤٧
٨ ـ إرسال الرؤوس ٢٤٧
٩ ـ رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه السلام ٢٤٨
الخاتمة ٢٤٩
الأمة الملعونة ٢٤٩
بقاء غيظ المؤمنين والملائكة ٢٥٠
عدم تحقق الانتقام لدماء الحسين عليه السلام ٢٥١
قادة المسلمين ٢٥١
عامة المسلمين ٢٥١
الحق وأهله ٢٥٢
بقاء قضية الحسين عليه السلام ٢٥٣
متى الانتقام لدماء الحسين عليه السلام ٢٥٣
معنى ثأر الله ٢٥٥
لماذا الحسين عليه السلام ثأر الله ٢٥٦
ما بين قتل الحسين عليه السلام والانتصار ٢٥٧
معنى حاكمية الشيطان ٢٥٨
السبب في غلبة حاكمية الشيطان ٢٥٩
طهارة حاكمية الله تعالى ٢٥٩
طهارة حاكمية الله من معرفته ٢٦٠
أسباب خروج المهدي عليه السلام ٢٦١
أسباب الإعراض عن ولاية الشيطان ٢٦١

كيف السبيل إلى الإعراض عن ولاية الشيطان ٢٦٢
سقوط الولائج ٢٦٣
نداء دماء الحسين عليه السلام ٢٦٥
الفهرس ٢٦٧